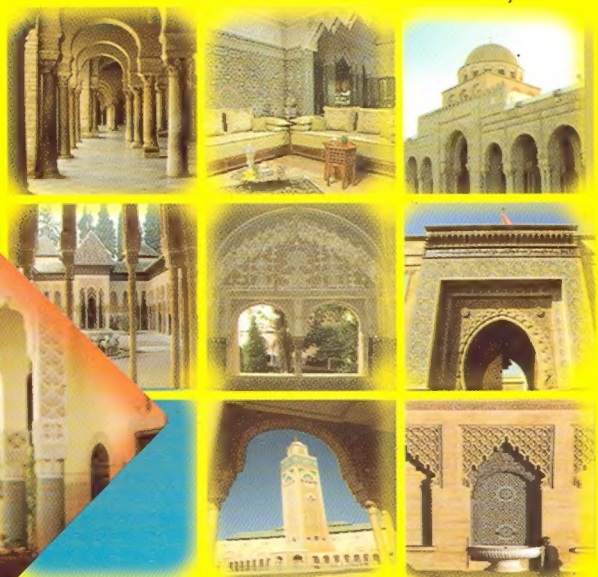
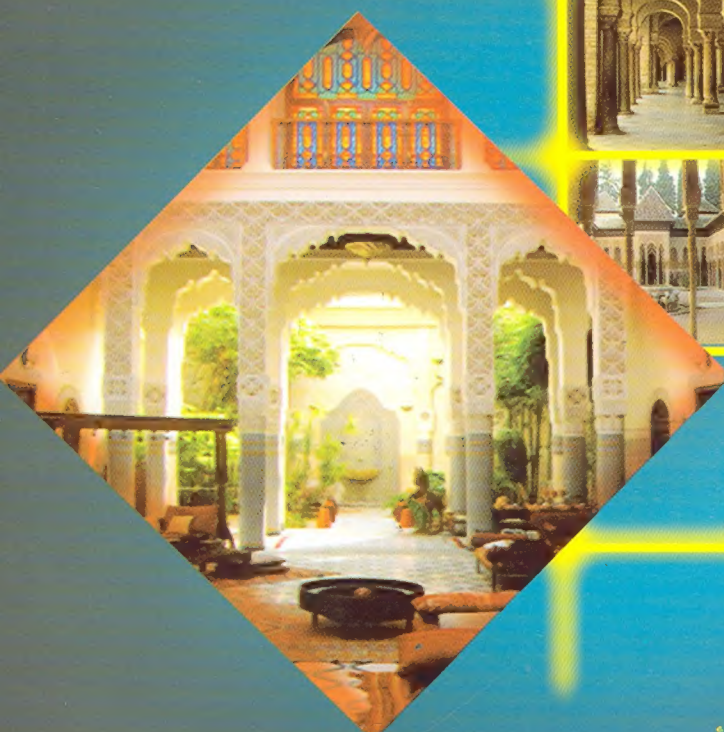


التعليم المفتوح

جامعة عين شمس
كلية الآداب

عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي

د | صلاح أحمد البرنسي



مراجعة

أ.د. أحمد عبد الرازق أحمد

جامعة عين شمس
التعليم المفتوح
كلية الآداب

عمارة المغرب والأندلس

في العصر الإسلامي

د. صلاح أحمد البهنسي

كلية الآداب - جامعة عين شمس

مراجعة

أ.د. أحمد عبد الرزاق أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى قرة عيني وبهجة عمري

إلى ابنتي إسراء

تحية وأعزازاً

مقدمة :

تمثل عمارة بلاد المغرب والأندلس طرازاً متميزاً بين طرز العمارة الإسلامية ، فهي وإن كانت تتفق مع غيرها من حيث بعض أنماط التخطيط وكذلك بعض العناصر المعمارية ، إلا أنها تختص بطابع معماري وفني متميز في بعض عناصرها مثل المآذن " الصوامع " ، والقباب التي تغطي أجزاء من بيت الصلاة ، وطرز الأعمدة وتيجانها وكذلك المعالجات الزخرفية . وقد كان لبعض هذه العناصر تأثيرها الواضح في عمارة بعض بلاد شرق العالم الإسلامي ، كما كان للصلات السياسية والتجارية مع دول أوروبا أثرها في نقل الكثير من هذه العناصر إلى تلك البلاد .

وقد نالت عمارة بلاد المغرب والأندلس في الفترة الأخيرة اهتمام الباحثين وصدرت عدة كتابات في هذا المجال . إلا أن المجال مازال يتسع لمزيد من الدراسات والبحوث التي تميّط اللثام عن مظاهر التفرد والأبداع في هذا التراث . وفي هذا المجال فإننا نقدم هذا الكتاب ليكون إسهاماً في توضيح الملامح المعمارية المميزة لعمارة بلاد المغرب والأندلس . ونظراً لتعدد المنشآت المعمارية التي تزخر بها هذه البلاد على إمتدادها الجغرافي والزمني فإنه من الصعوبة بمكان تناولها جميعاً بالدراسة ، مما تطلب الإكتفاء بنماذج منها ، روعي في إختيارها إشتغالها على الخصائص المعمارية المميزة لكل من الطراز المعماري المغربي والأندلسي .

وكما هو الحال بالنسبة للعمائر في مختلف بلاد العالم الإسلامي فإنه تطرأ على كل منها تعديلات وإضافات في الفترات التالية لإنشائها ، مما ينتج عنها تغلب سمات طراز معماري على غيره . لذلك فإننا إتبعنا نسبة الأثر إلى فترة

إنشائه في حال تبقي بعض العناصر من تلك الفترة . أما إذا كانت الوحدات والعناصر المعمارية المضافة في فترات تالية قد أكتسبت المنشأة طابعاً مختلفاً عما كانت عليه، وأصبحت ممثلة لطراز معماري آخر فإننا ننسبها لتلك الفترة مع الإشارة إلى نشأتها الأولى .

ويشتمل الكتاب على تمهيد لمجمل تاريخ بلاد المغرب والأندلس ، والأسرات الحاكمة التي تعاقبت على كل منها وأهم الأحداث السياسية المؤثرة. ويعقب ذلك عشرة فصول. يتناول الأول عرض للخصائص المميزة للطراز المعماري المغربي ، والطراز المعماري الأندلسي. ويشتمل الفصل الثاني على دراسة لنماذج من عمائر الأغالبة ، سواء منها المساجد الجامعة والصغيرة والأربطة . أما الفصل الثالث فيتناول العمارة في العصر الفاطمي والمرابطي ، وهي نماذج قليلة خاصة ما ينسب منها إلى العصر الفاطمي نظراً للعوامل السياسية المؤثرة مثل إغارة قبائل بني سليم وبني هلال على بلاد المغرب وما نتج عن ذلك من أعمال التخريب والدمار ، بالإضافة إلى خروج بعض الولاة عن الطاعة للدولة الفاطمية بعدما أنتقل مقرها إلى مدينة القاهرة . وفي الفصل الرابع دراسة لنماذج من عمائر الموحيدين في بلاد المغرب الأقصى ، وتتبع لما طرأ على الطراز المعماري المغربي في تلك الفترة . وخصصنا الفصل الخامس لدراسة نشأة المدارس في بلاد غرب العالم الإسلامي ، والسمات المعمارية المميزة لها ومظاهر اختلافها عن مدارس شرق العالم الإسلامي ، وما طرأ على طراز المدرسة من تغير إبان الحكم العثماني لهذه البلاد . ولأن الطرز المعمارية تخضع لعوامل التأثير والتاثر نتيجة للعلاقات والصلات بين البلاد ، فقد تعرضت بلاد المغرب الإسلامي لتأثيرات معمارية وفنية ، تتبعنا منها في الفصل السادس أهم هذه

التأثيرات وهي التأثيرات الأندلسية ، والتأثيرات العثمانية التي غيرت كثير من ملامح الطراز المعماري المغربي في البلاد التي خضعت للحكم العثماني في كل من ليبيا وتونس والجزائر إذ تغيرت طرز التخطيط والعناصر المعمارية حتى ما كان منها مميزاً للطراز المعماري المغربي مثل المآذن المربعة. ويتناول الفصل السابع العمارة في بلاد الأندلس في عصر الخلافة وملوك الطوائف والتي شملت المساجد والقصور ، ومن أهمها بالطبع مسجد قرطبة الجامع أما الفصل الثامن فقد خصص للعمارة في عصر الموحدين ، والتي ترتبط بشكل أساسي بعمارة مدينة أشبيلية . وفي الفصل التاسع تناولنا العمارة في بلاد الأندلس في عصر دولة بني نصر ، التي ترتبط بشكل أساسي بمدينة غرناطة ، وبصفة خاصة قصور الحمراء وملحقاتها ، وتعرضنا في الفصل العاشر لتعريف ببعض العكائر الأندلسية مثل المنزل والقصر والفندق والتحصينات . وبعد الخاتمة ذيلنا الدراسة بملحق يتناول أهم مصطلحات العمارة في بلاد المغرب والأندلس ، حيث أن لعمارة هذه البلاد مصطلحاتها الخاصة بها والتي تختلف عن مثيلاتها في بقية بلاد العالم الإسلامي . وزود الكتاب بمجموعة من الأشكال بالإضافة إلى مجموعة من اللوحات التي توضح مادة الكتاب. والله نسأل أن نكون قد وفقنا لما قصدنا وعلى الله قصد السبيل .

د. صلاح أحمد البهنسي

القسم الأول

العمارة الإسلامية في بلاد المغرب

تمهيد تاريخي

مجلد تاريخ بلاد المغرب والأندلس في العصر الإسلامي

أطلق المؤرخون والجغرافيون العرب على بلاد شمال إفريقيا اسم بلاد المغرب، وذلك لوقوعها في الجهة الغربية من حواضر الخلافة الإسلامية في المدينة ودمشق وبغداد . وكان يسكن هذه البلاد عند الفتح الإسلامي لها قبائل البربر الذين كانوا ينقسمون إلى " البرانس "، وهم سكان المدن، وقد سموا بهذه التسمية نظراً لأنهم كانوا يلبسون البرنس الذي يغطي الجسم بكامله بما فيه الرأس . أما القسم الآخر فهم " البتر "، وهم سكان سفوح الجبال والصحراء . وكانت هذه البلاد تخضع للدولة البيزنطية، وبالتالي فإنه بالإضافة إلى قبائل البربر كانت توجد جماعات من الرومان، ومجموعات من سكان دول أوربية أخرى وخاصة بلاد البحر المتوسط . وكان البربر وثنيون، أما الأوربيون فكانوا يدينون بالمسيحية، كما كانت توجد أعداد كبيرة من اليهود يعملون بالتجارة والربا .

وقد وجد العرب صعوبات حمة في فتح هذه البلاد كما ارتد أهلها أكثر من مرة . إلا أن العرب استطاعوا إستمالة البربر إليهم، وذلك بضمهم للجيش الإسلامي، فقد استعان بهم موسى بن نصير في فتح باقي بلاد شمال أفريقيا والأندلس، وكانت هناك عدة محاولات لفتح المناطق الجنوبية من أفريقية، فقد سار معاوية بن حديج على رأس جيش من قبل عثمان بن عفان، وذلك في سنة 34 هـ/654م بعدما تمكن عمرو بن العاص من فتح مصر وبرقة وطرابلس، إلا أن جيش معاوية لم يتمكن من ذلك. وقتل عدد كبير منهم كان ضمنهم

الصحابي الجليل عبد الله بن أبي زمعة البلوي، الذي دفن بمنطقة جلولة بالقرب من القيروان.

ويرجع الفضل إلى عقبة بن نافع في توطيد أركان الحكم الإسلامي في شمال إفريقيا، وخاصة بعد تأسيس مدينة القيروان سنة 55هـ/674م، التي اتخذها في مكان بعيد عن البحر لكي يتجنب خطر الأساطيل الرومانية التي كانت تجوب البحر المتوسط. وقد أسس جامعاً في وسطها إلى جانبه دار الإمارة، وكانت المدينة محاطة بسور يتخلله أربعة عشر باباً. كما انتصر على الكاهنة البربرية "داهية" التي كانت تحكم قبائل البتر البربرية في بعض المعارك، إلا أنه لم يستطع القضاء عليها، وظلت تغير على قبائل البرانس، لذلك فقد استنجد البرانس بحسان ابن النعمان، وتمكن من قتل الكاهنة. وقام بعد ذلك بتوحيد البتر والبرانس، كما أنشأ في موقع مدينة تونس الحالية داراً لصناعة السفن مستعيناً في ذلك بصناع من مصر. ونظم أفريقية إدارياً، وأنشأ بها الدواوين.

ظلت بلاد المغرب تابعة للخلافة الأموية في دمشق، وعندما قامت الدولة العباسية انقسمت هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام، وهي المغرب الأدنى ويشمل ليبيا وطرابلس، والمغرب الأوسط ويشمل إفريقية "تونس"، والجزائر، والمغرب الأقصى ويشمل مراكش "المغرب". كما حدثت في ذلك العصر حركات إستقلالية عن الدولة العباسية، فقامت دولة الأغالبة في المغرب الأوسط وذلك سنة 185هـ/800م، والذين استطاعوا ضم صقلية ومالطة وسردينية إلى ملكهم، كما غزوا شواطئ فرنسا الجنوبية، وشواطئ إيطاليا، وينسب إليهم أقدم رباط في هذه المنطقة وهو رباط سوسة. وفي سنة 192هـ/807م قامت دولة الأدارسة، واتخذوا من فاس عاصمة لهم، وامتد حكمهم حتى مدينة تلمسان في

الجزائر. وفي سنة 297هـ/910م قامت الدولة العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي، واستولت على جميع أملاك دولة الأغالبة، وقاموا بتأسيس مدينة المهديّة عاصمة لهم، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مصر، حيث أسسوا الدولة الفاطمية، كما أنشأوا مدينة القاهرة كعاصمة لهم. ولكن هذه الدولة وجدت هي الأخرى من يتمرد عليها مثل بني زيري حكام تونس الذين أعلنوا ولائهم للدولة العباسية، فأرسل إليهم الفاطميون قبائل بني هلال للإنتقام منهم. وقد حدث مثل ذلك في الجزائر حيث تمردت أسرة بني حماد على الدولة الفاطمية. وقد استطاعت دولة المرابطين جمع شتات هذه الدويلات المتفرقة، إذ قامت هذه الدولة سنة 448هـ/1057م واتخذت من مراكش عاصمة لها، ثم بسطت نفوذها على معظم بلاد شمال إفريقيا، وجزء من بلاد الأندلس. ويرجع الفضل إلى يوسف بن تاشفين في تأسيس مدينة مراكش. كما أنه انتصر على مسيحي الأندلس في أشبيلية عندما اشتبكوا مع المسلمين، وكان ذلك في موقعة الزلاقة سنة 480هـ/1087م، والتي وطدت الحكم الإسلامي في معظم بلاد الأندلس. وأدى ذلك إلى ظهور عصر جديد أصبح يعرف بالعصر المغربي الأندلسي، نظراً للإمتزاج الذي حدث بين بلاد المغرب والأندلس. وقد انتهت دولة المرابطين على أيدي الموحدين، حيث أنه في سنة 542هـ/1147م قتل الموحدون إسحاق بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين آخر حكام المرابطين، وقامت دولة الموحدين، ونقلت العاصمة إلى مراكش، وأنشأوا في عاصمتهم الدينية " تين ملل " في الجزائر جامعاً وروضة، اشترك في بناؤها معماريون من المغرب والأندلس. وقد حقق أبو يوسف يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين أعظم

الانتصارت على ملك قشتالة في معركة الأرك في شعبان 591هـ/ يوليو 1195م .

وقد استمر ملك الموحدين وسطوتهم حتى انتهى ذلك في عهد المرتضي آخر حكام الموحدين، وكان ذلك سنة 666هـ/1266م. وقد خلفت دولة الموحدين دولة بني مرين، حيث استطاع عبد الحق تأسيس هذه الدولة، إلى أن توطدت أركانها في فترة حكم أبو يوسف يعقوب، واستمرت هذه الدولة تحكم أجزاء من بلاد المغرب الأقصى حتى عهد عبد الحق، والذي انتهت فترة حكمه سنة 871هـ/1466م. هذا في الوقت الذي كانت تحكم فيه بلاد المغرب الأدنى الدولة الحفصية. وفي الوقت الذي سقطت فيه كل من بلاد المغرب الأدنى والأوسط تحت حكم العثمانيين، فقد خلفت دولة بني مرين في المغرب الأقصى الدولة السعدية التي أسسها محمد بن أحمد الملقب بالقائم، الذي توفي سنة 923هـ/1517م. واستمرت هذه الدولة حتى فترة حكم أحمد العباس، التي انتهت سنة 1069هـ/1658م لتخلفها الدولة العلوية التي أسسها مولاي علي الشريف، والذي خلفه مولاي إسماعيل في الفترة من سنة 1083هـ/1672م حتى سنة 1140هـ/1727م لتكون هذه الدولة ركيزة للحكم الذي استمر في بلاد المغرب حتى الآن .

هذا في الوقت الذي كانت فيه كل من بلاد المغرب الأدنى والأوسط تخضع لحكم الدولة العثمانية، وقد قامت دول مستقلة استقلالاً اسمياً عن الدولة العثمانية. ففي افريقية "تونس" قامت الدولة المرادية التي أسسها مراد باي سنة 1041هـ/1631م، وانتهت في عهد إبراهيم الشريف في سنة 1114هـ/1702م، والدولة الحسينية التي بدأت سنة 1114هـ/1702م،

وأول من تولاها حسن بن علي تركي 1114-1117هـ/1702م-1705م، وآخر من تولاها محمود بن محمد الرشيد 1362هـ/1943م. كما قامت في طرابلس الغرب الدولة القره مانليه في سنة 1123هـ/1711م على أيدي أحمد باشا القره مانلي واستمرت حتى سنة 1250هـ/1835م لتبدأ بذلك مرحلة أخرى من الوجود العثماني في طرابلس، وهي الفترة التي عرفت بالعصر العثماني الثاني، الذي استمر حتى سنة 1330هـ/1911م.

أما بالنسبة لبلاد الأندلس والتي كانت تشغل الجزء الأكبر من شبه جزيرة أيبيريا في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، فقد تم فتحها على ثلاث مراحل؛ تمت الأولى سنة 91هـ/710م بقيادة طريف بن مالك، والثانية سنة 92هـ/711م بقيادة طارق بن زياد، أما الثالثة فكانت سنة 93هـ/712م بقيادة موسى بن نصير والي إفريقية.

وقد تعاقبت الدول على بلاد الأندلس، ومنها ملوك عصر الإمارة الذي استمر من النصف الثاني من القرن 2هـ/8م حتى النصف الثاني من القرن 4هـ/10م حيث يبدأ عصر الخلافة، والذي يعرف أيضاً بعصر ملوك الطوائف، والذي استمر في الفترة من 400 أو 422-484هـ/1009 أو 1031-1091م، وذلك لأنهم انقسموا فيما بينهم، وكونوا دولاً مستقلة، فقد حكم بني حمود في مالقة في الفترة من 407-449هـ/1016-1057م، كما حكم بني عباد في أشبيلية في الفترة من 414-484هـ/1023-1091م، بينما حكم بني زيري غرناطة في الفترة من 403-482هـ/1012-1089م، وقد حكم بني جهور في قرطبة في الفترة من 422-463هـ/1031-1070م. بينما حكم بني ذي النون في طليطلة من 427-478هـ/1036-1085م.

هذا في الوقت الذي كان العامريون يحكمون منطقة بلنسيا في الفترة من سنة 412-478هـ/1021-1085م، بينما كانت منطقة سرقسطة يحكمها بني هود سنة 431-512هـ/1041-1118م.

وخضعت الأندلس لسلطان المرابطين وذلك بعد أن شارك يوسف بن تاشفين مع ملوك الطوائف في صد هجمات ألفونسو السادس ملك قشتالة على الأندلس، واستطاع الانتصار عليهم في موقعة الزلاقة، واستمر حكم المرابطين للأندلس في الفترة من سنة 484-541هـ/1091-1146م. كما خضعت بلاد الأندلس لحكم الموحدين وبني مارين، وانتهى الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس بسقوط غرناطة التي كانت حاضرة بني نصر " بني الأحمر " في أيدي الأسبان، وذلك سنة 897هـ/1492م .

الفصل الأول

مميزات الطراز المعاري

المغربي والأندلسي

أولاً: مميزات الطراز المعماري المغربي:

— اتبعت بيوت الصلاة نمطين ، الأول يتبع الإمتداد الموازي لجدار القبلة وقد ارتبط ذلك بالمساجد التي تتبع النمط التقليدي في التخطيط . أما النمط الثاني وهو بيوت الصلاة المغلقة بجدارن فقد كان أمتدادها المتعامد على جدار القبلة أكبر طولاً عن الإمتداد الموازي لجدار القبلة .

— الاهتمام بالبلاط الأوسط المؤدي إلى المحراب، وجعله أكثر إتساعاً وإرتفاعاً عن بقية البلاطات التي على جانبيه ، وزخرفة واجهته من ناحية الصحن بالزخارف المتنوعة .

— قصر أبدان الأعمدة وقد انتشرت هذه الظاهرة في العمارة في شمال إفريقيا ، وأصبحت من المميزات المعمارية. وقد وجد مثل ذلك قبل العصر الإسلامي، فقد استخدم الساسانيون أعمدة قصيرة يكاد ارتفاعها يساوي نصف قطر العقد بل ينقص عنه أحياناً . على عكس ما كان متبعاً في العمارة الهلنستية والرومانية، إذ كانت العقود ترتكز على أعمدة ارتفاعها ثلاثة أضعاف نصف قطر العقد⁽¹⁾.

(1) (فريد شافعي (د) : العمارة العربية في مصر في عصر الولاة . المجلد الأول . القاهرة . 1971 . ص 175 .

— استخدم نظام "الأبلق" في العقود، ومن أمثلتها عقود المدرسة السلیمانیة التي أسسها علي باشا الأول سنة 1168هـ/1754م، وأتمها ابنه سلیمان فعرفت به ⁽¹⁾.

— إتساع الصحن ، وذلك بتقليل عدد الأساكيب في المجنبات، والتي كانت تقتصر في معظم الأحيان على إسكوب واحد أو إسكوبين. وقد ظهر شكل آخر للصحن عبارة عن فضاء مكشوف يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات ومن أمثلة ذلك الفضاء المكشوف الذي يحيط ببيت الصلاة في جامع الهواء الذي أنشأته الأميرة عطف في مدينة تونس في منتصف القرن 7هـ/13م.

— عمل بايين صغيرين على جانبي المحراب، يدخل منهما إلى المقصورة، وظهر ذلك في جامع القرويين في فاس، وشاع في المساجد في عصر الموحدين، ويوجد مثال لذلك في جامع تازي، وجامع تنملل .

— تخصيص حجرة في جدار القبلة لحفظ المنبر في غير أوقات الجمعة، ومن أمثلة ذلك الغرفة المخصصة للمنبر في كل من جامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين في فاس، وكذلك تخصيص حجرة للخطيب .

— إستخدام الأسقف الخشبية المسطحة، ولكن في فترات لاحقة أصبح يعلو هذا السقف سقف محدب أو (جمالوني)، يغطي من الخارج بطبقة من القرميد الأحمر أو الأخضر، وذلك لتجنب تسرب مياه الأمطار إلى جانب بيت الصلاة.

⁽¹⁾ (سلیمان مصطفى زبيس : آثار الدولة الحسنية بالقطر التونسي، إدارة الآثار والفنون الجميلة بتونس - مطبعة سابي تونس 1374-1955. ص 15.

— عمل قبة فوق المحراب، وقبة على بداية البلاط الأوسط من ناحية الصحن "قبة البهو"، وفي فترة لاحقة أقيمت ثلاث قباب على إمتداد إسكوب المحراب، وذلك بعمل واحدة فوق المحراب، وواحدة عند نهاية الإسكوب من كل جهة. وقد أستعمل هذا الأسلوب في جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة، ولكنه أصبح أكثر انتشاراً في المساجد الموحدية، ومن أمثلة ذلك، إسكوب المحراب في جامع تازى. وقد أصبح من المتبع عمل خمس قباب بدلاً من ثلاث على إسكوب المحراب في مساجد الموحدين، ومنها مسجد الكتبية الأول، ومسجد الكتبية الثاني، حيث وضعت قبة فوق المحراب، وعلى كل جانب منها قبة أخرى، بينما وضع عند نهاية إسكوب المحراب من كل جانب قبة .

— إلحاق خزائن الكتب بالمساجد، فقد ألحق بن عبد المؤمن بن علي عدد كبير من الخزائن بمسجده، حتى أطلق عليه مسجد الكتبية أو الكتبيين .

— استخدام الصوامع المربعة، التي تتكون من قاعدة مربعة، تنحسر إلى الداخل كلما ارتفعت، وتنتهي بشرفة للآذان، يقوم في وسطها طابق آخر مربع ، وتنتهي الصومعة بقببية مضلعة ، كما تتخلل جدران القاعدة والبدن فتحات صغيرة للإضاءة والتهوية . وتشغل الصومعة في معظم مساجد بلاد المغرب حيزاً في الضلع المقابل لجدار القبلة، كما أنه من المتبع أن يكون لها فتحة باب من خارج المسجد، وباب آخر من صحن المسجد . أما في كل من جامع تنمّل، وجامع سلا فقد اتخذت الصومعة موضعاً مختلفاً، حيث تركز على المحراب مباشرة.

— ظلت الصوامع المغربية تحتفظ بالشكل المربع، ولم يحدث بها تغيير إلا في المساجد التي أنشئت على الطراز العثماني في كل من ليبيا وتونس والجزائر،

حيث أصبحت الصومعة من قاعدة مربعة، يعلوها بدن مثنى، ينتهي بشرفة المؤذن، يعلوه بدن آخر أقل إتساعاً وإرتفاعاً، وينتهي بقمة مخروطية مدببة. ويمكن ملاحظة ذلك في مساجد محمد باشا شائب العين، وصومعة جامع أحمد باشا القره مانلي، وصومعة جامع مصطفى قورجي بطرابلس الغرب، وكذلك صومعة جامع يوسف داي، وجامع حمودة باشا، والجامع الجديد في تونس، ومسجد علي بشنين، ومسجد محمد باشا، ومسجد حسن باشا، وجامع الباي حسين، وجامع كيتشاوة بالجزائر.

— وجود أبراج في الجدران الخارجية للجوامع التي ترجع إلى الفترات المبكرة، وخاصة في عصر الأغالبة، وكانت هذه الأبراج تستعمل في بعض الأحيان للآذان. كما كان الهدف منها دفاعياً في أحيان أخرى، حيث كانت تستخدم للمراقبة، وإشعال النار عند وجود خطر، إذ كان يتم التنبيه إلى تعرض البلاد لخطر، وذلك بإشعال النار من برج إلى آخر، فتكون النار أداة إنذار ليلاً، بينما يكون الدخان دليلاً على ذلك نهاراً.

— وجود فوارات مخصصة للوضوء تتوسط صحن المساجد، ويرتبط وجود هذه الفوارات بالصهريج الذي يتوسط الصحن، والذي كان سمة مميزة للمساجد الموحدية، ومن أمثلة ذلك مسجد عبد المؤمن في مراكش، ومسجد رباط تازي. وعلى الرغم من أن تيراس يعتبر هذا العنصر من العناصر المميزة للمساجد الموحدية في القرن 6هـ/12م، إلا أنه ظهرت مثل هذه الصهاريج دون الفوارات قبل ذلك، ومن أمثلتها الصهريج في جامع القيروان.

— وجدت في المناطق الداخلية في كل من ليبيا والجزائر، وبصفة خاصة في واحة أوجلة، وواحة غدامس في ليبيا، وفي منطقة زيان، ومنطقة وادي ميزاب بالجزائر مساجد بسيطة التكوين، حيث أنها تبنى بالطوب اللبن، وتتكون من بيت صلاة قليل العمق، يقوم على أعمدة من الخشب أو جذوع النخيل، كما أن صوامعها قليلة الارتفاع، وتضيق كلما إرتفعت من أعلى .

— احتفظت العمارة في بلاد المغرب بنماذج من الأربطة، وهي منشآت تعد لمراقبة المجاهدين للزود عن البلاد، ومن أهم أمثلتها رباط المنستير في تونس ورباط سوسة.

— ظهرت في بعض العماائر الدفاعية التونسية مداخل منعرجة على شكل أفعى ومن أمثلتها باب القصبة الموحدية وباب السور وباب الدرب اللذان أنشئهما المستنصر سنة 660هـ/1260م في المنستير.

— أمدتنا عماائر إفريقية "تونس" بنماذج للكتابات التسجيلية، تعد من أقدم نماذج الكتابات على العماائر في العصر الإسلامي، ومن ذلك الكتابات على برج رباط المنستير، وترجع إلى سنة 206هـ/821م والكتابات المسجلة على واجهة سقيفة مسجد بو فتاة في سوسة، وترجع إلى سنة 223هـ/838م، والكتابات على قبة المحراب وواجهة الإسكوب السابع في جامع الزيتونة، وترجع إلى سنة 250هـ/864م .

— احتفاظ الطراز المغربي بخصائصه، ولم تطرأ عليه تأثيرات خارجية إلا في القرن 5هـ/11م عندما ظهرت التأثيرات الأندلسية واضحة في عمارة بلاد المغرب، وتمثل ذلك بشكل أساسي في الثراء الزخرفي الذي ظهر في جدران المساجد، وفي أهدان الصوامع . ويرجع السبب في عدم ظهور التأثيرات

الخارجية في العمارة المغربية إلى أن هذه البلاد لم تتعرض لما تعرضت له بلاد الشرق الإسلامي من الغزو الصليبي، والغزو المغولي وغيرها، وقد ظهرت التأثيرات العثمانية في كل من ليبيا وتونس والجزائر على أثر الغزو العثماني لهذه البلاد .

وإن كانت هذه الخصائص التي أصبحت من مميزات الطراز المعماري المغربي، إلا أن ذلك لا يعني أن كل هذه العناصر نشأت في بلاد المغرب، بل أن بعضها نشأ في بلاد المشرق الإسلامي، وانتقل منها إلى عمارة المغرب، وأصبح أكثر ظهوراً بها . ومن ذلك على سبيل المثال أن نظام البائكات التي تمتد متعامدة على جدار القبلة قد ظهر أولاً في المسجد الأقصى بالقدس، وذلك في عمارة الخليفة العباسي المهدي سنة 163هـ/779م . كما أن نظام البلاط الأوسط الأكثر اتساعاً وارتفاعاً عن بقية البلاطات ظهر في الجامع الأموي في دمشق 86-96هـ/705-715م، وفي المسجد الملحق بقصر الحير الشرقي 105-124هـ/724-743م، والذي شيد على نمط الجامع الأموي، ولكن بمقياس أصغر. ومن ذلك أيضاً طراز الصوامع المربعة الذي ظهر في العمارة الأموية في بلاد الشام وانتقل إلى بلاد المغرب.

ثانياً: مميزات الطراز المعماري الأندلسي:

مر الطراز المعماري الأندلسي بثلاث مراحل متميزة ، لكل منها خصائصه التي تميزه عن الآخر ، وهذه الطرز هي :-

— طراز عصر الخلافة : تظهر خصائص هذا الطراز بوضوح في الجامع الكبير

بقرطبة، وذلك في عدة مظاهر يمكن إجمالها فيما يلي :-

— رصانة البناء وضخامته ، والاعتماد على الحجر المنحوت .

— استخدام الأعمدة الرخامية النحيلة التي تتركز على قواعد حجرية .
— العقود المتبادلة الصنجات من الحجر المنحوت وقوالب الآجر .
— العقود المزدوجة والمقامة على مستويين من الارتفاع .
— الأسقف الخشبية الخفيفة، والتي لجأ المعمار إليها حتى لا تشكل ثقلا على الأعمدة النحيلة، وما يتركز عليها من عقود .
— تعدد أشكال الفتحات في الجدران، وكذلك وجود دعائم سائدة للجدران، وكثافة الزخارف وتنوعها . وقد لجأ المعمار إلى ذلك للتخفيف من شكل إرتفاع الجدران . كما لجأ إلى معالجة معمارية تمثلت في استخدام الدعائم السائدة ، والعقود على مستويين ، وكذلك الأسقف الخشبية الخفيفة .

— الطراز المستعري : ينسب إلى المستعريين، وهم أهل الأندلس الذين استعربوا، ولكنهم بقوا على دينهم. وقد إكتملت خصائص هذا الطراز في القرن 5هـ / 11م، وهو مقتبس من طراز عصر الخلافة، وقد إستخدم أولا في بناء الكنائس، إلا أنه ظهر بعد ذلك في العمائر الإسلامية . ومن مميزاته :-
— إستخدام الآجر بدلا من الحجر .
— استخدام العقود النصف دائرية .

— الطراز المدجني : ينسب إلى المدجنيين، وهم المسلمون الأندلسيون الذين بقوا في المناطق التي استولى عليها الأسبان . ويظهر هذا الطراز بشكل واضح في الكنائس، إلا أنه استخدم أيضا على نطاق ضيق في العمارة الإسلامية. وتتضح أهم مميزاته في :-

— استخدام العقود المدبية، والعقود على شكل حدوة الفرس، والعقود المفصصة . وترجع العقود على شكل حدوة الفرس المتجاوزة إلى أصول مشرقية ، وقد استخدمت في جامع قرطبة ، إلا أنها أصبحت أكثر انتشاراً في الطراز المدجني .

— تنوعت الدعامات فكانت من الحجر أو الآجر .

— تنفيذ الزخارف من الآجر في أوضاع مختلفة ومتباينة .

— استخدام النوافذ الجصية ذات العقود المدبية على الشكل الذي يميز الطراز القوطي .

— تكسية أجزاء من الجدران، وبصفة خاصة جدار القبلة والمحراب ببلاطات خزفية مزخرفة بزخارف على الطراز الأندلسي والمغربي، ومن أمثلة ذلك محراب مسجد قصر الحمراء .

— تمثل قصور غرناطة مرحلة إكمال هذا الطراز لذلك عرفت هذه المرحلة المكتملة لهذا الطراز باسم طراز الحمراء أو الفن النصري نسبة إلى بني نصر حكام غرناطة .

وتتميز العمائر الدينية الأندلسية بصفة عامة بمميزات، منها :-

— اشتغال المساجد على مقاصير للصلاة ، ومنها المقصورة التي أنشأها محمد بن عبد الرحمن في جامع قرطبة سنة 241هـ/855م ، وكذلك المقصورة التي أقيمت في جامع قسبة إشبيلية سنة 577هـ/1182م، والشبيهة بمقصورة جامع قرطبة .

— تخصيص حجرة للمنبر في جدار القبلة يوضع فيها المنبر في غير وقت صلاة الجمعة . ومن أمثلته منبر جامع قرطبة، ومنبر جامع قسبة أشبيلية . وقد انتشرت هذه الظاهرة في مساجد بلاد المغرب والأندلس⁽¹⁾ .

— ظهور العديد من التأثيرات المغربية مثل وضع قبة فوق مربعة المحراب وكذلك قبة عند نهاية البلاط الأوسط من ناحية البهو. إلا أن ذلك لم يكن عاما في كافة المساجد ببلاد الأندلس، ففي مسجد مدينة الزهراء الذي أنشأه عبد الرحمن الناصر 339هـ / 1041م لم تستعمل القبة التي تغطي مربعة المحراب وكذلك البهو ، كما كان الحال بالنسبة لبلاد المغرب فإذن مربعة المحراب في جامع تلمسان الذي أنشأه المرابطون سنة 475-530هـ / 1083-1136 غير مغطاه بقبة.

— ظهور الكثير من التأثيرات المشرقية في عمارة المساجد سواء كان ذلك من حيث التخطيط ، وبصفة خاصة في نظام البلاطات المتعامدة على جدار القبلة، والبلاط الأوسط الأكثر اتساعاً عن بقية البلاطات، وفي نظام عقود الظلال التي تسير موازية لجدار القبلة ومن أمثلتها عقود ظلة المؤخر في جامع مدينة الزهراء السابق الإشارة إليه، وكذلك في بعض العناصر مثل بيت المال، ومنها بيت المال الذي أنشأه المنذر بن محمد في صحن جامع قرطبة، على غرار بيت المال في صحن الجامع الأموي في دمشق .

— تتميز عمارة الأسوار الدفاعية باستخدام مادة الطابية التي تتسم بقلّة سمكها الأمر الذي يتعذر معه عمل ممرات داخلية، كما تميزت النهايات العليا

(1) أسامة طلعت عبد النعيم (د) : العمارة الإسلامية في الأندلس . د . ن القاهرة . 2000 . ص

للأسوار باستخدام الدراوي الهرمية الشكل والتي نجد أمثلة لها في مدينة لبله
وقلعة جابر وقصبة بطليموس وسور قاهرش واستجه⁽¹⁾. كما أن الأبراج لا
تعلوها حجرات للرماية، وقد استمر ذلك حتى عصر الموحدين.

(1) اسامة طلعت عبد النعيم(د): العمارة الإسلامية الدفاعية في مدينة لبله، حوليات إسلامية، العدد
37. المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 2003، ص 12.

الفصل الثاني

حماية الأغلبية في تونس

جامع عقبة بن نافع بالقيروان

من أقدم مساجد بلاد المغرب وأكثرها أهمية، إذ أن تخطيطه وعناصره المعمارية كانت أساساً سار عليه الطراز المعماري في المغرب والأندلس. وقد أרך البلاذري الإنتهاء من تشييده إلى سنة 55هـ/674م، وهو نفس العام الذي عزل فيه عقبة من ولاية إفريقية، وتولى بدلا منه أبو المهاجر، فأهمل الجامع حتى عاد عقبة لولاية إفريقية مرة ثانية سنة 62هـ/681م فاهتم بالجامع .

تخطيط الجامع :-

كان الجامع عند إنشائه بسيطاً، يتكون من ظلة قبلية من أربعة أساكيب تفصل بينها أعمدة خشبية ترتكز عليها الأسقف مباشرة دون عقود مثلما كان الحال في المساجد الإسلامية المبكرة ومنها مسجد الرسول _صلى الله عليه وسلم - ومسجد الكوفة وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط. وقد توالى على الجامع

أعمال الإصلاح والتجديد والإضافة خلال الفترات التالية، ويمكن إجمال ذلك فيما يلي :-

— في سنة 84هـ/703م قام حسان بن النعمان بإصلاح وتجميل الجامع، مع الاحتفاظ بالشكل العام له، إذ كان يتكون من ظلة قبلية مقسمة إلى أربعة أساكيب، يتقدمها صحن مكشوف لا تحيط به مجنبات، كما أبقى على محراب عقبة بن نافع .

— في سنة 105-109هـ /724-727م قام بشر بن صفوان بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك بتوسيع المسجد، وتمثل ذلك في إضافة حديقة في الجهة الشمالية ، يتوسطها ماجل " ما زال يعرف بـ"الماجل القديم" ، كما مد بوائك بيت الصلاة بواقع ثلاثة عقود، وهي الزيادة التي يحددها صف العقود الممتدة موازياً لجدار القبلة عند نهاية العقد السابع (شكل 1) ، وأنشأ صومعة فوق البئر " الذي كان يعرف ببئر الحنان " وهي تمثل الطابق الأول من الصومعة الحالية .

— في سنة 155هـ/772م، وكما ذكر ابن عزاري، قام يزيد بن حاتم والي أفريقية بهدم المسجد باستثناء المحراب، وأعاد بناؤه سنة 157هـ /774م . ولكن د. أحمد فكري يرى أن أعمال يزيد بن حاتم إقتصرت على بعض الزخارف، ولم يقم بالهدم .

— في سنة 221هـ/836م قام زيادة الله بن الأغلب بهدم أجزاء من الجامع وإعادة بنائه، وكان يعتزم هدم المحراب الذي بناه عقبة، وإقامة محراب بدلاً منه، لأنه كان يريد ألا يرى بالمسجد أثر لغيره، ولكن الناس نصحوه بالإبقاء

على محراب عقبة، ووضعه بين حائطين حتى لا يرى من داخل المسجد.
ويمكن إجمال أعمال زيادة الله في :

— المحراب المخوف الحالي، وكانت تكسوه بلاطات رخامية مزخرفة
بزخارف هندسية ونباتية .

— هدم البلاطة التاسعة والعاشر، وأقام مكانهما بلاطا اوسطاً أكثر
إتساعاً وإرتفاعاً " مجاز قاطع " فأصبح المسجد مكوناً من سبع عشرة
بلاطة متعامدة على جدار القبلة، يقطعها ثلاث بائكيات من العقود تمتد
موازية لجدار القبلة .

— إقامة قبة فوق المحراب وهي أقدم قبة في العمارة الإسلامية ببلاد
المغرب

— هناك آراء أن الصومعة الموجودة حالياً من أعمال زيادة الله بن
الأغلب

— في سنة 249هـ / 863م قام أبو إبراهيم أحمد بعدة إصلاحات شملت :-

— زخرفة المحراب ببلاطات الرخام وزخرفة قبة المحراب .

— إضافة بلاطات القاشاني حول المحراب ، وهي 139 بلاطة موضوعة
بشكل مائل، وهي تعد أقدم مثال باق لإستخدام البلاطات في زخرفة
جدران العمائر الإسلامية .

— المنبر المصنوع من خشب الساج، والمشتغل على زخارف نباتية
محفورة من أوراق العنب، وكيزان الصنوبر، موضوعة داخل أشكال
هندسية . وهو أقدم منبر باق في العمارة الإسلامية (لوحات 1، 2). وقد

ذكر " ابن ناجي " في كتابه " معالم الإيمان " أن الأمير إستورد

البلاطات، وأعواد خشب الساج من بغداد .

— في سنة 261-290هـ / 875-903م قام إبراهيم بن أحمد بعدة أعمال

شملت :-

— زيادة طول البلاطات في ظللة القبلة .

— وضع قبة على بداية البلاط الأوسط "المحاز القاطع" من ناحية

الصحن " قبة البهو " (لوحة 3) ، وبذلك أصبح يعلو البلاط الأوسط

قبتان، وأصبح أسلوب وضع قبتين على البلاط الأوسط من بيت الصلاة

إسلوباً متبعاً في مساجد المغرب والأندلس. وقد وصف البكري المتوفى

سنة 487هـ/1094م قبة البهو في هذا الجامع بقوله " القبة التي بباب

البهو علي آخر بلاط المحراب " ⁽¹⁾. مما يدل علي تأصل هذه

المصطلحات (البهو- البلاط) في عمارة بلاد المغرب .

— أقام المجنبات التي تدور حول الصحن .

— زيادة عدد أبواب الجامع إلى عشرة أبواب .

— عمل مقصورة للنساء محددة بحجاب من الخشب في الجهة الشرقية من

ظللة القبلة . وهذه الزيادة هي التي أعطت الجامع الصورة التي بقى عليها

حتى الآن ⁽²⁾ .

⁽¹⁾ البكري . أبو عبيد : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (المسالك والممالك) ، ط2، بغداد.

د.ت ، ص 24 .

⁽²⁾ أنظر: أحمد فكر (د) مساجد القاهرة ومدارسها . المدخل . دار المعارف . القاهرة . 1961 ص

ص203-208 .

— ولعل هذا يتناقض مع ما ذكر من أن إبراهيم بن الأغلب عندما قام بتأسيس مدينة العباسية " رقادة " ⁽¹⁾ جنوب شرق القيروان ، وذلك سنة 264هـ/879م أنشأ بها مسجداً ذكر البكري أنه كان مبنياً بالآجر، وبه أعمدة رخامية تحمل سقفا خشبياً، كما أضاف له صومعة إسطوانية . ويقال أنه أزال جامع عقبة وحل هذا الجامع محله .

— في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تم إصلاح الجامع وعمل أبواب حديدية للمداخل .

— أضاف بنوزيري الذين كانوا ولاية من قبل الفاطميين على المغرب، الواجهات التي تطل على الصحن . وتوجد على إحدى أعمدة الجنبه الغربية كتابة نصها " هذا ما أمر بعمله خلف الله بن غازي الأشيري في رمضان من عام إثنين وأربعمائة " .

— أضاف المعز بن باديس والي المستنصر على أفريقية سنة 441هـ/1049م مقصورة نفيسة لا تزال موجودة (لوحة 4) ، كما ذكر " مارسيه " Marçais أن المعز جدد الأسقف الخشبية وزخارفها .

— قام المستنصر بالله أبو حفص سنة 693هـ/1294م بعمل عدة إصلاحات مثبتة في نصين تاريخيين أحدهما فوق باب " لله رجانا" والآخر على أحد الأبواب الجانبية، وأقام قبتين على مداخل بيت الصلاة في الشرق والغرب ، والقبة التي فوق المدخل الذي يتوسط الجنبه الغربية . كما يرجح أن العقود المحيطة بالصحن من أعماله .

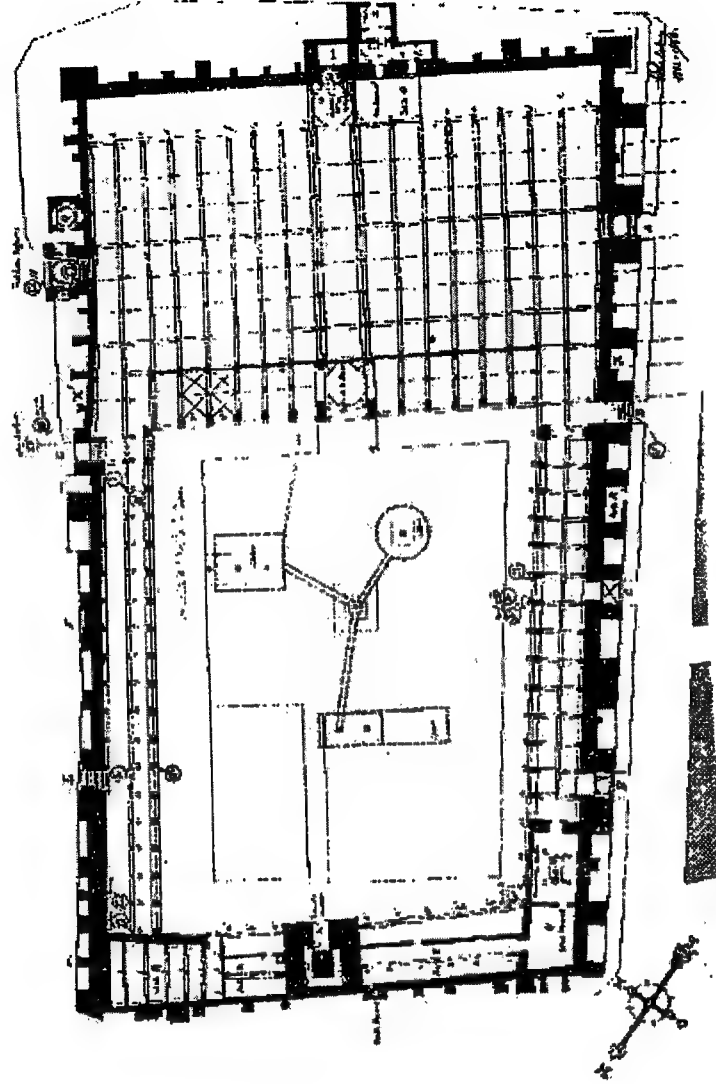
(¹) ذكر البكري أن هذه المدينة سميت " رقادة " لأن الأمير إبراهيم كان قد أصابه أرق فخرج متوجهاً إلى هذه المدينة وعندما وصل إليها نام فسميت رقادة .

— أصلح محمد بك مراد الحسيني قبة البهو على نهاية البلاط الأوسط " المجاز القاطع " .

الوصف الحالي للجامع :

يشغل الجامع مساحة مستطيلة غير منتظمة الأبعاد، إذ يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي جدار القبلة 70.28 م ، بينما طول الجدار الشمالي الغربي المواجه له 65.60م، كما يبلغ طول الجدار الشمالي الشرقي 121.80م، بينما الجدار الجنوبي الغربي المواجه له يبلغ طوله 120.50 م .

يتكون الجامع من صحن أوسط مستطيل أبعاده 56×67م، تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، التي تتكون من سبع عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة تفصل بينها ست عشرة بائكة، تتكون كل منها من تسعة عقود حدوة فرس مستديرة، ترتكز على أعمدة رخامية ومعظمها بدون قواعد . وهذه البائكات لا تصل إلى جدار القبلة، بل توجد بائكة عرضية تمتد موازية لجدار القبلة، تنتهي عندها بوائك العقود. ويؤدي إلى المحراب بلاط أوسط " مجاز قاطع " أكثر إتساعا عن بقية البلاطات (شكل 1) .



شكل (٢) مسقط اقصي لجامع عقبة بن نافع بالمغروان .

والمحراب مجوف ومعقود بعقد حدوة فرس يستند على عمودين من رخام
وردي . ويكسو تجويف المحراب بلاطات رخامية في أربعة صفوف ومزخرفة
بزخارف نباتية . ويعتقد أن المحراب القديم الذي ينسب إلى عقبة بن نافع يوجد

خلف هذا المحراب، وهو محراب مجوف، ويرى كل من مارسه وكريسويل أن ما يظهر من خلال الثقوب الموجودة في محراب جامع عقبة ليس محراب عقبة، لأن المحاريب المجوفة لم تستخدم في العمارة الإسلامية إلا في عصر الوليد بن عبد الملك، وأن هذا التجويف حيلة لجأ إليها المعمار لإيجاد مساحة مظلمة خلف المحراب، وذلك لإبراز الزخارف المفرغة الموجودة داخل المحراب الحالي .

لكن الدكتور أحمد فكري أكد بالحجج والبراهين أن التجويف الموجود خلف المحراب الحالي هو محراب عقبة بن نافع⁽¹⁾، ويزخرف الجدران على جانبي المحراب بلاطات من القاشاني ذي البريق المعدني بعضها ذو لون واحد وبعضها متعدد الألوان. وتشتمل على زخارف هندسية ونباتية حسب أسلوب زخارف البريق المعدني العراقي (لوحة 5) . ويغطي مربعة المحراب قبة تستند على حنايا ركنية محارية الشكل، ومكونة من تسعة فصوص، أما منطقة الإنتقال المثلثة فتشتمل على ثماني نوافذ . والقبة من الخارج مضلعة من 24 ضلعا ، وهذا الطراز من القباب المضلعة من التأثيرات البيزنطية في العمارة الإسلامية .

تتكون كل من الظلتان الجانبيان من بائكتين. ونظراً لإختلاف طول الأعمدة في الجامع، فقد إستعين بكتل حجرية (حدرات) يعلوها طنوف، ومن أسفل قرم على النحو الشائع في العمارة البيزنطية (لوحة 6). ويغطي الجامع سقف خشبي مسطح يتخلله خمس قباب . ويشتمل بيت الصلاة على 414 عموداً رخامياً . وللجامع ثمانية أبواب، أربعة منها في الجدار الشرقي ، أهمها باب " لله رجانا "، وتعلوه قبة عليها كتابة تشير إلى السلطان أبي حفص وتاريخ سنة

(1) أحمد فكري (د) : المسجد الجامع بالقبروان . دار المعارف . القاهرة . 1936 . ص ص 58-

693هـ/1294م . وأربعة أبواب في الجدار الغربي أهمها باب " السلطان " الذي يقابل باب " لله رجانا " وتغطيه قبة أيضاً .

وتدعم الجدران الخارجية للجامع دعامات " زلاقات " يعتقد أن الهدف منها أن تكون متمشية مع الدعامات البارزة التي تكتنف أبواب المسجد، فتكسب الواجهة مظهراً جمالياً، غير أنها اقيمت بهدف التدعيم أيضاً، حيث أن معظمها على نفس خط امتداد البائكات الممتدة موازية لجدار القبلة. وقد وجدت مثل هذه الدعامات في جامع الهواء الذي أنشئته الأميرة "عطف" زوجة السلطان الحفصي " أبو يحيى زكريا " منتصف القرن 7 هـ/13م⁽¹⁾.

الصومعة :

تتوسط الجدار الشمالي الغربي للجامع وعلى نفس محور المحراب . يبلغ إرتفاعها الكلي 31.37م، ويبلغ طول ضلعها من عند القاعدة 10.67م، ولكن كلما إرتفعت تنحدر الجدران إلى الداخل قليلاً لإكساب الصومعة ثباتاً، وبالتالي يقل طول ضلعها من أعلى عما هو عليه عند القاعدة . وينقسم البدن إلى ثلاثة طوابق ، الأول أكثرها إرتفاعاً ويبلغ 18.87م ، أما الثاني فإن إرتفاعه 5م ، بينما إرتفاع الطابق الثالث 7.50م . ويغطي الطابق الثالث من الصومعة قبة مضلعة شبيهة بالقبة التي تغطي أربعة المحراب وقبة البهو (لوحة 7) .

وينسب الطابق الأسفل إلى أعمال هشام بن عبد الملك سنة 105-109هـ/724-727م، بينما الطابقان العلويان من عصر زيادة الله بن الأغلب

(1) عبد العزيز الدولتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي. تعريف محمد الشابي وعبد العزيز الدولتلي ، دار سراس للنشر. تونس. د.ت. ص ص 172-176.

221هـ/836م، ولكن " كريسويل " Creswell ينسب المئذنة بكاملها إلى زيادة الله بن الأغلب⁽¹⁾.

وطراز الصوامع المربعة مستمدة من الصوامع السورية ، إلا أنه صار طرازاً شائعاً في بلاد المغرب الإسلامي عامة والأندلس مثل صوامع صفاقس وتلمسان وأغادير والرباط والقرويين في فاس وجامع قرطبة وأشبيلية بالأندلس . ومما يجدد ذكره أن هذا النمط من الصوامع انتقل إلى العمارة المصرية مع مجيء الفاطميين، ومن أمثلتها مئذنتي جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة، ومئذنة مشهد الجيوشي، ومئذنة المسجد الملحق بدير سانت كاترين .

(¹) للمزيد عن مئذنة جامع القيروان ، أنظر : فاروق صادق عسكر : مئذنة المسجد الجامع بالقيروان . دراسة آثارية تحليلية . مجلة دراسات آثارية إسلامية . المجلد الثالث . هيئة الآثار المصرية القاهرة . 1988 . ص ص 197 - 207 .

جامع الزيتونة بمدينة تونس

ذكر القيرواني نقلا عن ابن الشباط أن سبب تسمية الجامع بهذا الاسم ترجع إلى أنه كانت توجد شجرة زيتون في المكان الذي أقيم فيه فنسب إليها . ويذكرنا ذلك بجامع الخروبة بطرابلس الغرب، والذي سمي بهذا الاسم لوجود شجرة خروب في صحن الجامع . وقد ذكر محمد العزيز بن عاشور في كتابه جامع الزيتونة المعلم ورجاله أن سبب تسميته بهذا الاسم ترجع إلى أن المسجد شيد بالقرب من كنيسة قديمة كانت تضم رفاة القديسة " اوليف " وتعني زيتونة . وهناك رأي بأن هذا الجامع لم يسمي بهذا الاسم إلا بعد أن تم بناء جامع القصبة في العصر الحفصي وسمي بالجامع الكبير، وللرغبة في تمييز هذا الجامع والذي كان يسمي بجامع تونس الكبير، فقد تم تغيير اسمه إلى جامع الزيتونة تيمناً بشجرة الزيتون التي ورد ذكرها في القرآن الكريم باعتبارها شجرة مباركة. وقد تشترك هذه الأسباب جميعاً في تسمية الجامع بهذا الاسم .

نشأة الجامع وتطور عمارته :

ذكر القيرواني أن حسان بن النعمان الذي فتح مدينة تونس سنة 79هـ/688م أسس أول مسجد جامع بها، وبناء على ذلك فإن الأصول الأولى لهذا المسجد ترجع إليه . وقد قام عبيد الله بن الحبحاب بإعادة بناء الجامع سنة 114هـ/732م . وكان يتكون في ذلك الوقت من أربعة أساكيب موازية لجدار القبلة ، ويتوسط جدار القبلة محراب ، وهو بذلك مشابه للشكل الأول لجامع القيروان .

وفي عهد الأغالبة قام زيادة الله بن الأغلب بمد بوائك العقود بواقع ثلاثة عقود في كل بائكة، فأصبح بيت الصلاة مكوناً من سبعة أساكيب، ويوجد شريط على واجهة الإسكوب السابع الذي كان يطل على الصحن يشتمل على كتابات تسجيلية ترجع إلى هذه الفترة، مما يدل على أن هذا كان الحد الذي وصل إليه امتداد بيت الصلاة حينذاك. كما تم في هذه الفترة عمل البلاط الأوسط، وبناء قبة فوق المحراب ، ويوجد نص كتابي يدور حول رقبة القبة، ويشير إلى أن بناء القبة تم سنة 250هـ/ 864م في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله . كما اضاف الأغالبة المنبر الخشبي الذي يوجد بالجامع .

وفي عهد المنصور بن أبي الفتوح يوسف بن زيري الذي كان والياً من قبل الخليفة الفاطمي العزيز بالله على إفريقية تم إضافة الإسكوب الثامن الموازي لجدار القبلة ، وأقام على نهاية البلاط من ناحية الصحن قبة البهو المماثلة في طراز منطقة انتقاها وشكل الرقبة وظاهر القبة لقبة المحراب.

وفي عهد آل خراسان تم ترميم أسقف الجامع وإضافة عمودين بتيجان من الطراز الخراساني بواجهة المحراب، وزيادة عدد الأبواب حيث أصبحت اثنا عشر باباً بعد أن كانت ستة أبواب في عصر الأغالبة ويوجد على الباب الذي يقع إلى جانب الصومعة ويفتح على بابا العطارين نص كتابي يشتمل على اسم الشيخ أبو محمد عبد الحق ابن عبد العزيز ابن خراسان، وتاريخ شهر رمضان 474هـ/ 1081م. كما يوجد في الرواق الشرقي باب يعلوه نص كتابي يشتمل على اسم عبد الرحمن بن محمد ابن الفقيه محرز وتاريخ أوائل شهر ربيع الأول سنة 450هـ/ 1058م⁽¹⁾.

(1) عبد العزيز الدولتلي : المرجع السابق، ص 28.

وفي عهد الحفصيين اعاد أبو يحيى زكريا تسقيف بيت الصلاة بالعوارض الخشبية، وأضاف الأبواب الخشبية التي تحدد بيت الصلاة ، حيث يوجد على باب البهو كتابة تشير إلى هذه الأعمال، وتاريخ سنة 716هـ / 1316م¹ . ومن إضافات الحفصيين للجامع الصومعة، حيث أنه لم يكن بالجامع صومعة في الفترات السابقة، وإنما كان له برجان ؛ برج في الركن الشمالي الشرقي، والآخر في الركن الجنوبي الشرقي، وكانا يستعملان للمراقبة نظرا لقرب المسجد من البحر . وكان البرجان منفذان حسب طراز الأبراج الأغلبية التي توجد أمثلة لها في رباط سوسة، وفي الجامع الكبير في سوسة . وقد ذكر حسن حسني عبد الوهاب أن المساجد في العصر الأغلبي صغيرة كانت أم كبيرة لم تكن تضم صومعة، وكان الأذان يرفع من فوق سطح المسجد تقليدا لما كان عليه الحال في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يخرج عن ذلك سوى جامع عقبة بن نافع بالقيروان عندما زوده زيادة الله بن الأغلب بالصومعة .

ومن إصلاحات الحفصيين للجامع ترميم المنبر الخشبي، وإضافة مجموعة حشوات له ، كما أضاف الحفصيون سقيفة في الجانب الشرقي تتقدم مدخل الجامع، وخصصت لإقامة صلاة الجنائز، ولذلك تسمى بصحن الجنائز.

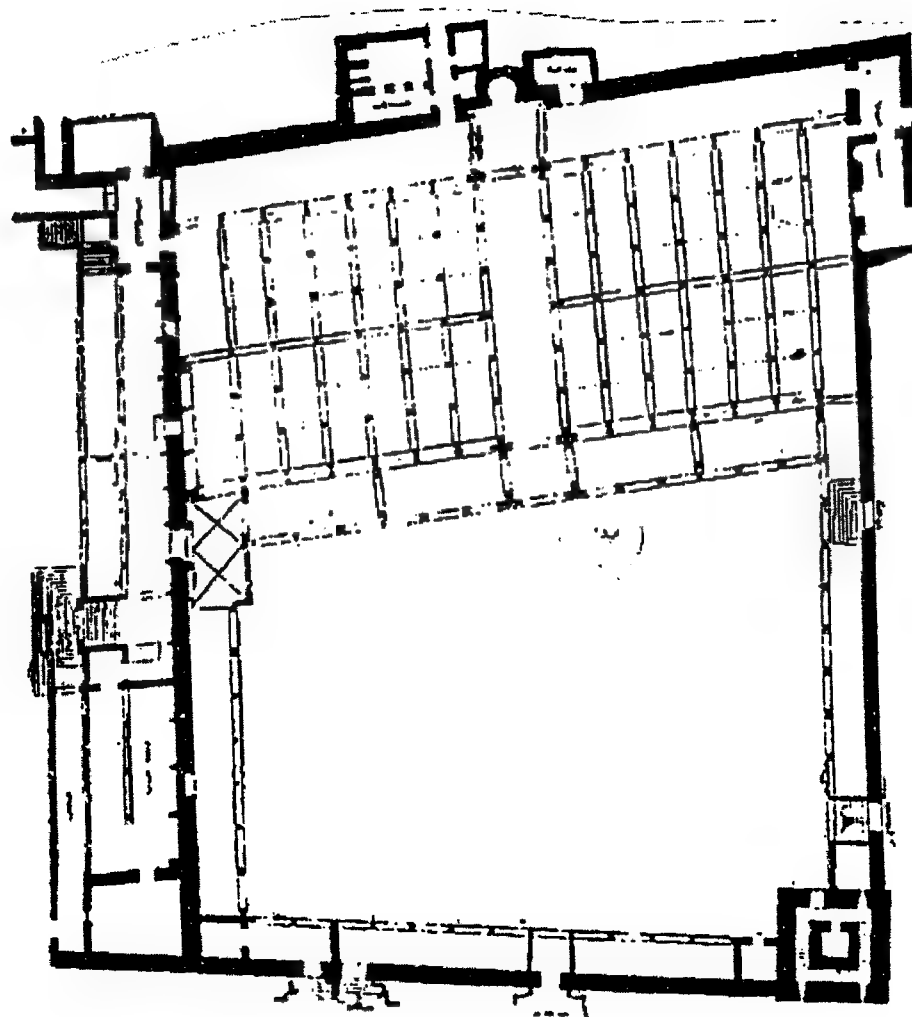
الوصف المعماري للجامع :

يتكون الجامع من مساحة شبه مستطيلة غير منتظمة الأبعاد . يحتل بيت الصلاة منها مساحة مستطيلة ، تبلغ أبعادها 54م × 26م ، وتنقسم إلى ثمانية أساكيب موازية لجدار القبلة، تقطعها خمس عشرة بلاطة متعامدة على جدار

(¹) عبد العزيز الدولاتي : نفس المرجع ، ص 201.

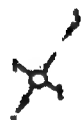
القبلة، اكبرها إتساعا البلاط الأوسط، تفصل بين البلاطات أربع عشرة بائة من عقود حدود فرس مستدير ، تتكون كل منها من ستة عقود لا تصل إلى جدار القبلة، كما أنها لا تمتد إلى الإسكوب الثامن، ويقوم على البلاط الأوسط من ناحية المحراب قبة، كما يقوم عليه من ناحية الصحن قبة البهو (شكل 2) . والقبة التي فوق المحراب، والتي ترجع إلى العصر الأغلي مقامة على حنايا ركنية محارية الشكل، كما فتحت في مثن منطقة الإنتقال فتحات نوافذ. أما قبة البهو والتي أضيفت في الفترة من 380-385هـ/990-995م، فإنها هي الأخرى مقامة على مربع يعلوه مثن. وقد فتحت في أضلاعه فتحات نوافذ معقودة بعقود منفذة بطريقة التباين اللوني، كما يغشيها نوافذ جصية من زخارف مخرمة غاية في الدقة. وترتكز مناطق إنتقال القباب على مساحات مربعة محددة بثلاثة أعمدة في كل ضلع من أضلاعها (لوحة 8).

وقد استحدثت في الجوانب الثلاث لصحن الجامع المتسع ثلاث ظلات، تتكون كل منها من إسكوب واحد (شكل 2) .



الجامع الزيتونة بتونس

مخطط

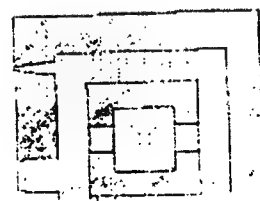
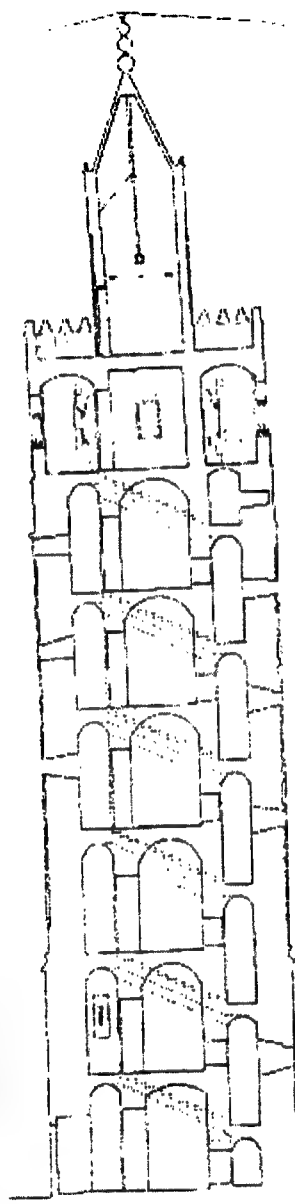
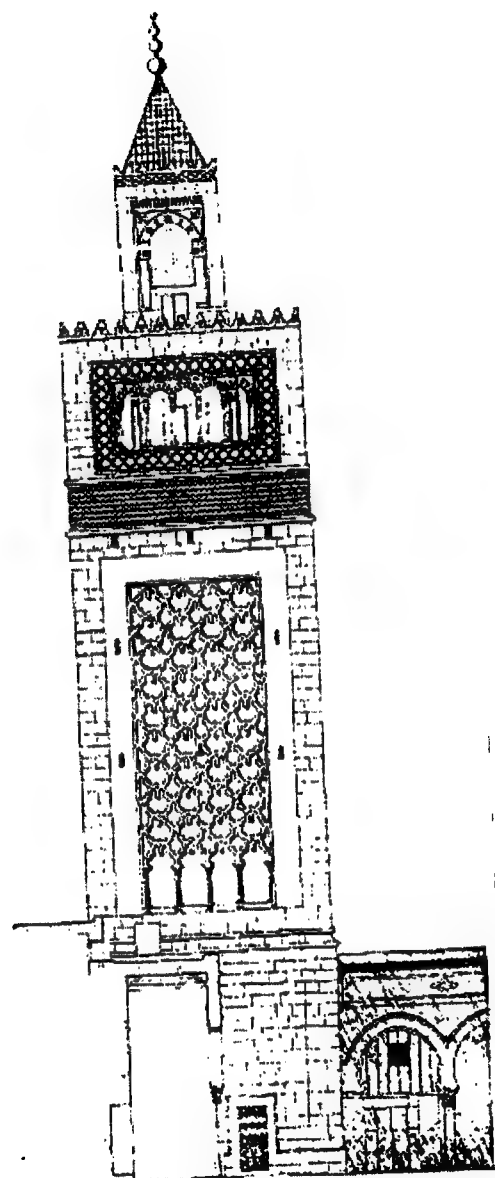


شكل (2) مسقط المقي لجامع الزيتونة بتونس .

وقد أضيفت لها الأعمدة الرخامية في عهد الوزير مصطفى خازندار
سنة 1287هـ/1870م . وتشغل الصومعة الركن الشمالي الغربي ، وهذه

الصومعة ترجع أصولها إلى العصر الحفصي ، وقام حمودة باشا المرادي سنة 1063هـ/1652م بتجديدها، وزاد في إرتفاعها إلى ثلاثين متراً، إلا أنها سقطت، وأقام علي باي الحاكم العثماني بتونس صومعة جديدة سنة 1312هـ/1894م ، وهي الصومعة الموجودة حالياً¹. وتجمع الصومعة بين القطاع المربع الذي يميز مآذن الطراز المغربي، وبين القمة المدببة التي تميز قمم المآذن العثمانية الطراز ، حيث تتكون الصومعة من قاعدة مربعة، تعلوها بدن ينقسم إلى ثلاثة طوابق متفاوتة في إرتفاعها وإتساعها. ويغشي جوانب البدن زخارف معقدة، تعلوها زخارف هندسية من أشكال مفصصة متتالية (شكل 3).

(¹) للمزيد عن جامع الزيتونة ، أنظر : أحمد فكر (د) المرجع السابق ص ص 255- 260 .



شكل (3) شكل توضيحي للتكوين المعماري والزخرفي
لمئذنة جامع الزيتونة بتونس .

يظهر في هذه الصومعة إمتزاج الطراز المغربي ببعض خصائص الطراز
العثماني من حيث عمارة الصومعة، أما زخارف البدن فإنها على الطراز
الأندلسي .

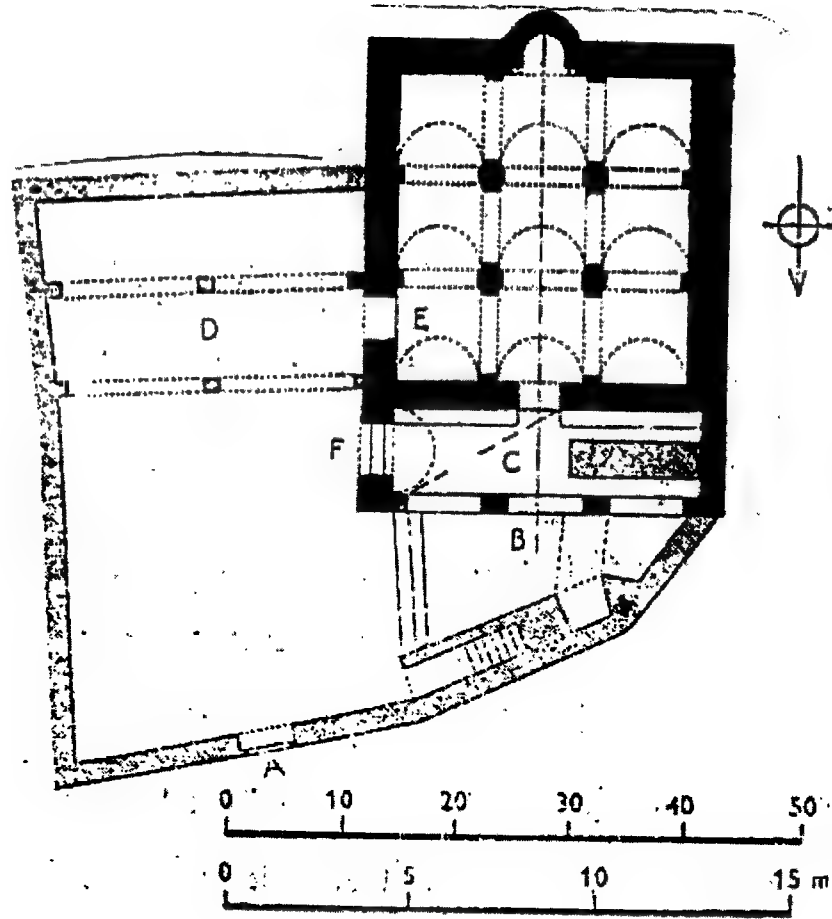
ويتقدم الجامع من الناحية الشرقية مصلى للجنايز عبارة عن مساحة
مستطيلة محددة بسبعة عشر عقداً، ترتكز على ستة عشر عموداً، وهي مخصصة
لصلاة الجنايز . ويوجد على مدخل هذه السقيفة نص كتابي بالخط المغربي يعد من
الأهمية بمكانه حيث أنه يشير إلى الإضافات التي تمت بالمسجد منذ العصر
الحفصي في عام 648هـ/1250م والتجديدات التي تمت على أيدي "أبو
عمرو عثمان" سنة 841هـ/1438م وشملت إعادة بناء السبيل وكذلك
الإصلاحات التي تمت في سنة 1047هـ/1637م . كما تشتمل هذه اللوحة
على إسم الكاتب وهو " محمد الأندلسي بن غالب " (لوحة 9)، ويؤدي إلى
الجامع ثلاثة عشر باباً ، إثنان منها في جدار القبلة أحدهما يؤدي إلى حجرة المنبر،
والآخر يؤدي إلى حجرة الخطيب، بينما يوجد في كل من الضلع الشمالي الغربي،
والضلع الجنوبي الغربي ثلاثة أبواب، ويوجد في الضلع الشمالي الشرقي خمسة
أبواب .

مسجد بوفتاتة في سوسة

شيدته الأغلب بن إبراهيم سنة 223-226هـ/841-838م، كما تشير إلى ذلك الكتابات المحصورة بين شريطين زخرفيين بأعلى الواجهة في الجدار الشمالي للسقيفة التي تتقدم بيت الصلاة، والكتابة داخل شريط عرضه 48سم، يحف بجانبه شريطان زخرفيان بعرض 18سم .

الوصف المعماري :

يتكون من قاعة للصلاة قريبة من المربع أبعادها 7.71م × 7.86م، تنقسم إلى ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها بائكتان، تتكون كل منها من ثلاثة عقود حدود فرس متعامدة على جدار القبلة، كما تمتد موازية لجدار القبلة بائكتان كل منها من ثلاثة عقود أيضا . وترتكز جميع هذه العقود على أربع دعائم متقاطعة، وثمانية أكتاف مندمجة بالجدران . ويغطي كل بلاطة من البلاطات المتعامدة على جدار القبلة قبو نصف إسطواني مقسم إلى ثلاثة أقسام " تريعات " بواسطة البوائك الممتدة عرضيا (شكل 4) .



شكل (4) مسقط أفقي لمسجد يوفانة في سوسة .

ويتوسط المحراب جدار القبلة، والمحراب معقود بعقد حدوة فرس مستدير، يرتكز على أعمدة مندمجة بالجدار .

يتقدم بيت الصلاة سقيفة من ثلاثة عقود، محمولة على دعامات قطاعها مستطيل، تفتح على الفناء الذي يتقدم بيت الصلاة من الناحيتين الشمالية والشرقية، وتوجد في الجهة الغربية من السقيفة دعامة سميكة يرتكز عليها القبو الذي يغطي السقيفة، وكذلك كدعامة للصومعة التي ترتكز فوق هذا الجزء، والتي بنيت في تاريخ لاحق لبناء المسجد .

وقد أضيفت في تاريخ لاحق بائكتين من العقود إلى الشرق من بيت الصلاة، تكونان إسكوبين موازيين لجدار القبلة، وبعد تلك الإضافة فتح باب في الجدار الشرقي لبيت الصلاة يؤدي إلى هذه الزيادة، وبذلك أصبح لبيت الصلاة بابان ⁽¹⁾.

ومما تجدر ملاحظته في هذا المسجد عدة نقاط منها :-

— أنه من الأمثلة المبكرة لإستخدام الأقبية في التغطية في العمارة الإسلامية، والتي نجد امثلة لها في قاعة الاستقبال، والغرفة الباردة في حمام قصر عمرة 87-96هـ/705-715م، وصهريج الرملة بفلسطين 172هـ/789م، وقاعة الصلاة في الدور العلوي لرباط سوسة 206هـ/821م .

— كان هذا النموذج من المساجد مثالا أحتذى في غيره من المساجد مثل الجامع الكبير بسوسة وذلك في طريقة إرتكاز العقود على دعائم متقاطعة ، وتغطية بيت الصلاة بالأقبية النصف إسطوانية فهو الأول في شمال أفريقيا في هذه الطريقة .

⁽¹⁾ كمال الدين سامح (د) العمارة في صدر الإسلام . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . القاهرة . 1964 . ص ص 137 - 139 .

— يعتبر مسجد بو فتاة الأول في أفريقيا الذي يشتمل على سقيفة تتقدم بيست الصلاة. وقد إنتقل هذا الإسلوب إلى العمارة الفاطمية في مصر مثل مشهد السيدة رقية، وجامع الصالح طلائع بن رزيق بالقاهرة .

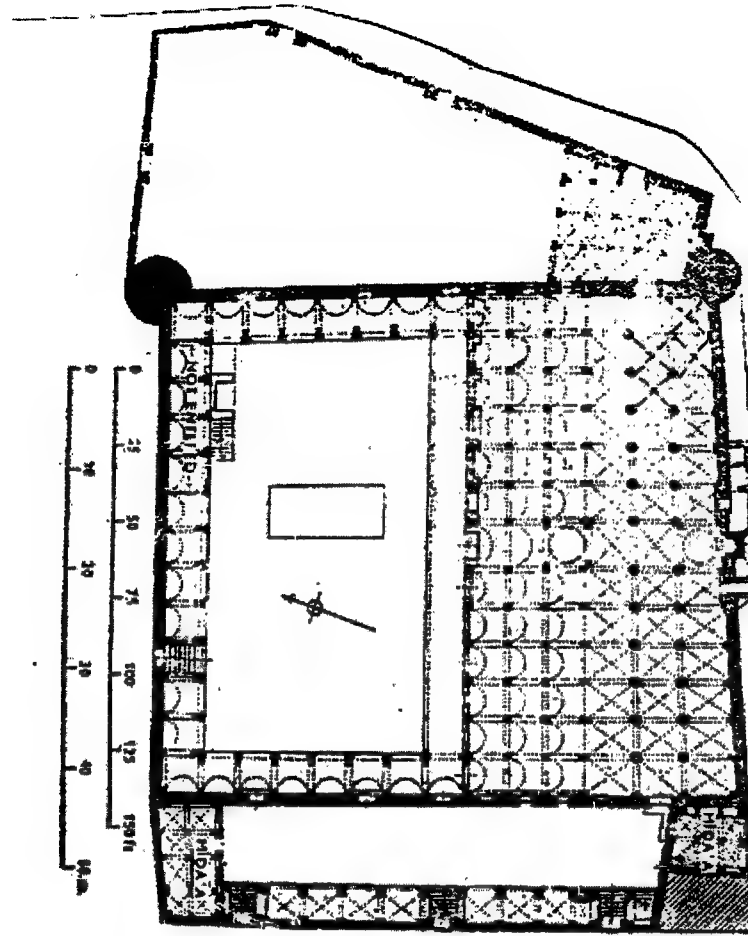
— يعتبر من الأمثلة المبكرة للعمائر الإسلامية التي تشتمل على نصوص كتابية تشكل عنصرا كتابيا وزخريا متكاملا مثله في ذلك مثل الكتابات التسجيلية في قبة الصخرة بالقدس .

جامع سوسة الكبير

يقع في الركن الشمالي لمدينة سوسة بالقرب من باب البحر، وتشير الكتابة التي تمتد أعلى العقود حول جوانب الصحن الثلاثة، وتستمر في الرواق المضاف في الجانب الجنوبي إلى الأمير محمد بن الأغلب الملقب بأبي العباس، وتاريخ سنة 236هـ / 850-851م .

تخطيط الجامع :

يتكون الجامع من شكل مستطيل أبعاده 49.39×57.16 م ، يتوسطه صحن مستطيل أبعاده 41×22.25 م، تحيط به أربع ظلات من عقود على شكل حدوة فرس مستدير، ترتكز على دعائم على شكل حرف T ، ويبلغ عدد العقود في الجهتين الجنوبية والشمالية ثلاثة عشر عقدا، بينما يبلغ عددها في الشرق والغرب ستة عقود . وتتكون ظلة القبلة من ثلاث عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها اثنتى عشرة بائكة، تتكون كل منها من ستة عقود، كما تمتد ست بائكات عرضيا موازية لجدار القبلة، مما جعل العقود المتعامدة والمتوازية ترتكز على دعائم على شكل متقاطع (شكل 5) .



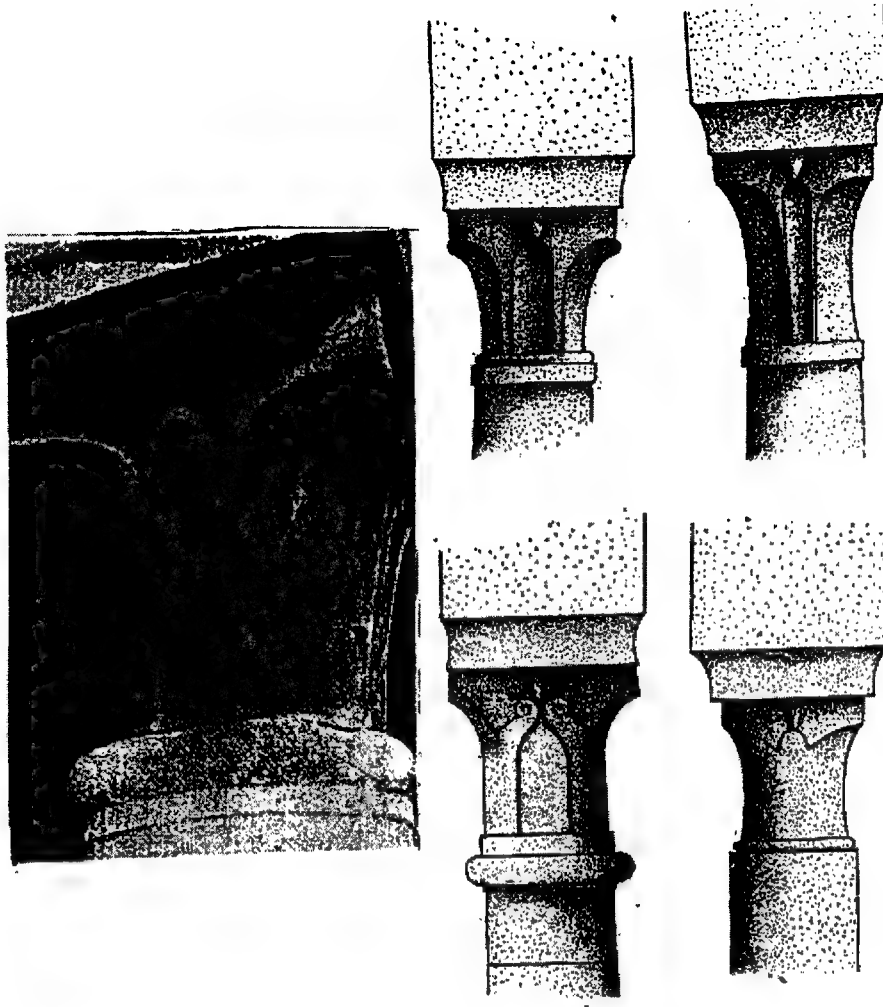
شكل (5) مسقط أفقي للجامع الكبير في سوسة

يتوسط المخراب جدار القبلة، وتزخرفه كتابة منفذة بالخط الكوفي على الطراز الفاطمي، مما يدل على أن هذا الجزء قد أضيف في تاريخ لاحق، ويظهر ذلك أيضا في طريقة تغطية الأروقة الثلاثة الأولى الموازية لجدار القبلة، إذ نجدها

مغطاة بأقبية متقاطعة، بينما الأساكيب الثلاثة الأخرى من ظلة القبلة من ناحية الصحن مغطاه بأقبية نصف إسطوانية مثل بقية الظلات الثلاث الأخرى، كما أن الأقبية المتقاطعة أكثر إرتفاعا من الأقبية نصف الإسطوانية التي تغطي النصف الثاني من ظلة القبلة . في حين يغطي مربعة المحراب والمربعة الرابعة في السبلاط الأوسط من إتجاه القبلة قبة ،(لوحة 10) ومن المرجح أن تكون هذه القبة كانت تغطي المحراب الأصلي .

وإلى يمين المحراب توجد فتحة باب تؤدي إلى غرفة يوضع بها المنبر، الذي يتحرك على عجلات حسب الأسلوب المغربي، والذي يوجد مثال له في مسجد تونس الكبير " الزيتونة " ، ومسجد الجزائر 490هـ/1082م .

ويتقدم ظلة القبلة سقيفة مضافة سنة 1086هـ/1675م ونلاحظ أنها تختلف عن بقية أساكيب وبلاطات الجامع إذ أن عقودها ترتكز على أعمدة بدلاً من الدعامات والأعمدة لها تيجان من النوع الحفصي (شكل 6).



شكل (6) أشكال مختلفة للتيجان الحفصية كما ظهرت في عمان، طرابلس وتونس .

أما بقية الظلال المحيطة بالصحن فمغطاه بسقف مائل قليلا لتصريف
المياه إلى الصهريج الذي يوجد في الصحن .

الصومعة :

يوجد في الركن الشمالي الشرقي للمسجد برج كبير من بدن مستدير، يعلوه مئذنة، تتوجه قبة نصف كروية، ويدخل إلى الصومعة من درجين فوق سطح الظلة الشمالي والظلة الشرقية، ويوجد برج شبيه بهذا البرج في الركن الجنوبي الشرقي (لوحة 10)، وهذا يطابق الأبراج التي كانت موجودة في كل من الركن الجنوبي الغربي، والركن الشمالي الشرقي من جامع الزيتونة قبل أن يتم دمجها في الجدران .

الزيادات :

أضيفت إلى المسجد زيادتان إحداها في الناحية الغربية، والأخرى في الناحية الشرقية، وتتكون الزيادة الغربية من فناء مستطيل، يحده من الغرب سقيفة، مغطاه بأقنية متقاطعة ترتكز على دعائم ، وفي الشمال والجنوب من هذه الزيادة توجد دورات للمياه، تغطيها أقنية متقاطعة، ويفتح في هذه الزيادة ثلاثة أبواب تؤدي إلى الرواق الغربي للجامع . أما الزيادة الشرقية فغير منتظمة الأبعاد. ويوجد في الجانب الجنوبي الشرقي منها خمسة أساكيب، وبعد هذه الإضافات أصبح الجامع متعدد الأضلاع، ويبلغ متوسط امتداده من الشرق إلى الغرب 90م، ومن الشمال إلى الجنوب 60م (شكل 5).

رباط سوسة

الأربطة في العصر الإسلامي:

الرباط من المباني المخصصة لإقامة الجند، الذين يرابطون فيها للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية، لذلك فقد كان المعتاد إقامة الأربطة على السواحل، أو في المناطق الحدود البرية . ومن أقدم الأربطة في بلاد المغرب رباط المنستير الذي أقامه هرثمة بن أعين سنة 179هـ/795م، بأمر الخليفة هارون الرشيد. كما تضم مدينة المنستير رباط سيدي ذويب، ورباط السيدة أم ملال عمة المعز بن باديس أمير البلاد الذي كان واليا على إفريقية من قبل الفاطميين، ويرجعان إلى القرن 3هـ/9م.

ويعد رباط سوسة من أهم أمثلة الأربطة في العمارة الإسلامية، ويقع في مدينة سوسة التي أعاد إليها الأغالبة مجدها، الذي كان لها في زمن الفنيقيين والرومان بعد أن كانت قد قلت أهميتها بعد ما أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان في الجنوب الغربي من سوسة، واتخذها عاصمة له. ونظرا لموقع مدينة سوسة على البحر الذي يحيط بها من الشمال والشرق والجنوب فقد اهتم الأغالبة بتحسينها، سواء كان ذلك بإحاطتها بسور منيع من الصخر، أو ببناء الأربطة. فقد ذكر ابن حوقل (ق 4 هـ / 10 م) أن بها زباطات كثيرة⁽¹⁾، وكانت الأربطة منتشرة في البلاد الإسلامية، حيث أدت الكثير من الوظائف، فهي أماكن

(1) ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي) : صورة الارض . المسالك والممالك . بيروت . ص ص 74-75.

إقامة المجاهدين في سبيل الله، كما كانت مكانا لفداء أسرى المسلمين، فقد كان يفد عليها هؤلاء الأسرى، ويقدم الأهالي ما يستطيعون من مال أو ذهب أو غيره لفدائهم، وعندما قلت حركة الفتوحات الإسلامية أصبحت أماكن لإيواء المتصوفة، والزهاد المنقطعين للعبادة من الرجال أو النساء. فقد ذكر ابن بطوطة أنه كانت توجد في القاهرة دار تعرف بدار البغدادية كانت مخصصة لإقامة المتعبدات من النساء، ولكن اختلف مسمى الرباط منذ العصر الأيوبي، حيث أصبحت تعرف بالخانقاه أو الزاوية⁽¹⁾. ومع هذا التحول الذي حدث في وظيفة الرباطات، والتي أصبحت وظيفة دينية فقط وليست عسكرية حدث تحول في مواقعها، حيث أصبحت تقام داخل المدن بعدما كانت تقام خارجها .

الرباط في بلاد المغرب:

كانت الأربطة أكثر انتشارا في بلاد المغرب، وخاصة في البلاد القرية من سواحل الدولة البيزنطية في صقلية وسردينيا جنوب إيطاليا، كذلك في بلاد الأندلس التي كانت عرضة لهجمات الدول المسيحية المحيطة بها. وقد ارتبط بها نظام المربطة الذي كان شائعا في هذه المناطق، نتيجة لتشجيع بعض الدول التي حكمت هذه المناطق، ومنها دولة المرابطين ودولة الموحدين والدولة الحفصية. وذلك فإن الرباط في بلاد المغرب والأندلس لم يفقد وظيفته العسكرية إلا في مرحلة متأخرة عنها في بلاد الشرق الإسلامي . ويتضح مما سبق أن الرباط في نشأته الأولى كان يجمع بين الوظيفتين الدفاعية والدينية، مما يجعله مختلفا عن

(1) ابن بطوطة: " محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي " ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت . ص ص 37-38 .

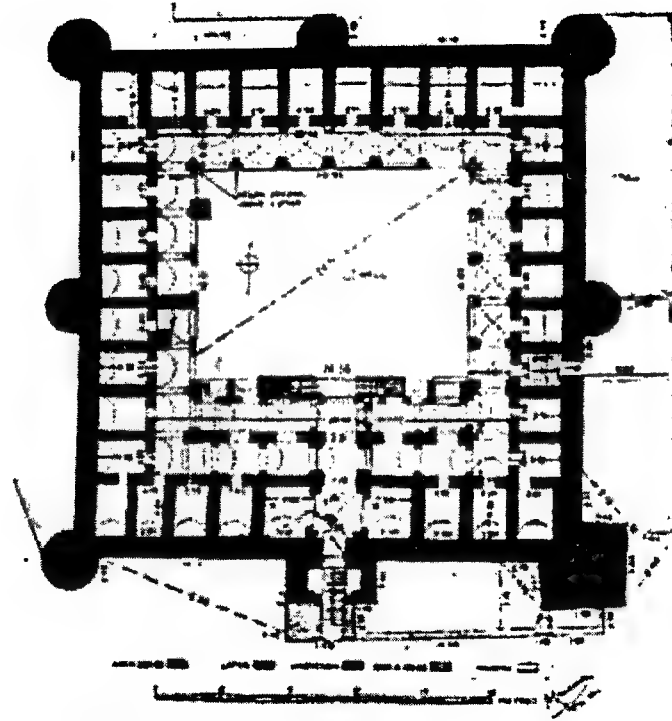
الأديرة المسيحية التي تقتصر على كونها أماكن للانقطاع للعبادة، كما تختلف عن القلاع التي تؤدي دوراً حريياً فقط.

- رباط سوسة :

يقع شمال مدينة سوسة، وتشير اللوحة التأسيسية التي توجد على مدخل الصومعة أن الرباط أسس في عهد الأمير الأغلبي "زياد الله بن إبراهيم بن الأغلب على أيدي موله مسرور الخادم سنة ست ومائتين.

يتكون الرباط من مساحة قريبة من المربع أبعادها 40×38 م ، يحيط به سور سميك يبلغ سمكه 1.35 م، بينما يبلغ ارتفاعه 8.50 م ، ويتوجه شرافات مستطيلة ، ويوجد في كل ركن من أركان السور برج اسطواني فيما عدا البرج الذي يوجد في الركن الجنوبي الشرقي ، فإنه مربع، حيث يشكل قاعدة يرتكز عليها البدن الاسطواني للصومعة ، كما يتوسط كل من الضلع الشمالي والشرقي والغربي برج نصف اسطواني، بينما يتوسط الضلع الجنوبي برج مستطيل فتحت فيه فتحة المدخل للرباط.

يؤدي المدخل إلى صحن أوسط مستطيل أبعاده 30×26 م، يحيط بالصحن رواق من بائكة من عقود تستند على دعائم ، ويدخل من هذا الرواق إلى الحجرات الثلاث والثلاثين التي تلتف حول جدران الرباط وتتعامد عليها. ويغطي كل حجرة منها قبو نصف اسطواني ، كما أن حجرتين منها متصلتان وتشكلان "دورة مياه" (شكل 7) .



شكل (7)، مقطع أفقي للطابق الأرضي في رباط سوسه

ويتكون الطابق العلوي من ممر يطل على الصحن من خلال بائكة من العقود، ويفتح على هذا الممر في كل من الناحية الشمالية والشرقية والغربية حجرات مماثلة لحجرات الطابق الأرضي، أما الجهة الجنوبية فيشغلها مسجد من مساحة مستطيلة أبعادها 7×38 م، ينقسم بواسطة بائكة من أحد عشر عقدا نصف دائري، تتركز على دعائم مربعة القطاع، يبلغ طول ضلعها 0.70 م، إلى إسكوبين موازيين لجدار القبلة، الأول من ناحية المحراب أكثر اتساعا من الآخر، حيث أن عرضه 3.70 م، بينما اتساع الإسكوب الثاني 2.70 م، كما

ينقسم بيت الصلاة إلى إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، يغطي كل منها قبو نصف اسطواني يتعامد على جدار القبلة (شكل 8).

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية بسيطة التكوين، وتغطي أربعة المحراب قبة، وتنتهي الأسوار بشرفات ترتفع بارتفاع الأبراج التي تتخلل الأسوار. وتبرز أعلى الواجهة في الركن الجنوبي الشرقي من الصومعة الصغيرة، وتتكون من بدن اسطواني قصير، يتوجه شرفةربعة للآذان والمراقبة والإنذار⁽¹⁾.

ويتضح مما سبق أن رباط سوسة اشتمل على العديد من السمات الدفاعية، وذلك في شكل الأسوار السميكة الحصينة البناء، وما يتخللها من أبراج لتدعيم الجدران، والمدخل الحصين الذي يتوسط الجدار الجنوبي الشرقي، وهو المدخل الوحيد، وكذلك في خلو جدران الحجرات من النوافذ، حتى لا تكون الفتحات الكثيرة من عوامل نفاذ العدو إلى داخل البناء.

(1) للمزيد عن رباط سوسة، أنظر:

- أحمد فكري (د): مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل، دار المعارف، القاهرة، 1961، ص 252.
- كمال الدين سامح (د): المرجع السابق، ص 132.
- كريسويل: الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة: عبد الهادي عيلة، ط 1، دار قتيبة، دمشق، 1984، ص 307.

الفصل الثالث
عامة الفاطيين والمرابطين
في شمال إفريقيا

مقدمة :

على الرغم من أن الفاطميين تواجدوا في كل من تونس وطرابلس قبل غزوهم لمصر إلا أن آثارهم في تلك البلاد قد اصاب الكثير منها الدمار . ويرجع ذلك إلى بعض العوامل السياسية ، ومنها على سبيل المثال هجمات قبائل بني هلال وبني سليم على ليبيا وتونس وما نتج عنه من تخریب الكثير من العمائر التي كانت موجودة في تلك البلاد . كما كان للغزو الأسباني اثره على عمائر طرابلس بشكل خاص ، فعندما دخل الأسبان طرابلس سنة 916هـ/1510م قاموا بتقويد جامع الناقة ، وقد أفادت المصادر التاريخية ، بالإضافة إلى أعمال التنقيب التي تمت في كثير من المواقع عن كشف أساسات عمائر أمكن من خلالها التعرف على طرز تخطيط المساجد في تلك الفترة والتي يتضح من خلالها أنها كانت تتبع النمط التقليدي للتخطيط والذي يتكون من صحن أوسط تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة ، بالإضافة إلى استعمال عنصر البلاط الأوسط الأكثر اتساعا عن بقية البلاطات على جانبيه ، إلا أنه مما يسترعى الانتباه من خلال ما ورد من كتابات الرحالة وما تم الكشف عنه ان بعض هذه المساجد

مثل مسجد مدينة سلطان ومسجد مدينة أجدايا كانت لهم مأذن مثمانة على الرغم من أن عمائر الفاطميين في تونس مثل جامع المهديّة وعمائرهم في القاهرة مثل جامع الحاكم تتميز بمآذنها المربعة القطاع .

جامع سلطان :

اكتشفت بعثة مصلحة الآثار الليبية سنة 1963م أساسات مسجد مدينة سلطان في الجانب الشرقي من ليبيا ، وأمكن تحديد معالمه الأصلية ، إذ كان عبارة عن مساحة مستطيلة تبلغ أبعادها 41×31 م يتوسطها صحن مكشوف أبعاده 21×19 م ، في وسطه صهريج للمياه . ويحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة مقسمة بواسطة بائكات من العقود إلى أروقة موازية لجدار القبلة . يتوسطها بلاط أوسط أكثر اتساعاً عن بقية البلاطات. وتتخلل ثلاثة جدران فيما عدا جدار القبلة ثلاث فتحات ابواب ، يدوا ان الباب الذي يتوسط الواجهة الشمالية الغربية كان بارزاً عن سمك الجدار. وتحتل المئذنة الركن الشمالي الغربي . ويعتقد مما عثر عليه من قطع الأحجار أنها كانت مئذنة مثمانة وهي مشابهة في شكلها للمئذنة المثمانة التي كانت في مسجد أجدايا الذي بناه ابو القاسم بن عبيد الله المتوفى سنة 334هـ/945م حسبما ذكر البكري في معجم البلدان والذي أكدده الرحالة العياشي المتوفى سنة 1090هـ/1679م حيث ذكر أنه وجد في موضع هذا المسجد كتابه تشير إلى أنه بني سنة ثلاثمائة ، وفي سنة 1971 قامت مصلحة الآثار الليبية بالتعاون مع جمعية الآثار الليبية بجمعية لندن بإجراء حفائر بموقع المسجد في منطقة مقبرة سيدي حسن . ويتفق ما تم الكشف عنه من أساسات مع تخطيط جامع مدينة سلطان والذي يرجع إلى نفس الفترة .

ومما يؤيد نسبة هذا المسجد إلى العصر الفاطمي العثور على مجموعة من القطع الحجرية مسجل عليها كتابات في أشرطة ضيقة منفذة بالخط الكوفي الفاطمي الطراز . كما عثر على قطع من زخارف منفذة بالجص مماثلة لطراز الزخارف الحصية الفاطمية⁽¹⁾

جامع الناقة في طرابلس الغرب :

ورد أنه بناه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وهو في طريقه من تونس إلى القاهرة سنة 362هـ/972م ، بينما تذكر مصادر أخرى أن بني عبيد قد بنوه وأن الخليفة المعز زاد فيه وهو في طريقه إلى القاهرة⁽²⁾ . ويستفاد مما أورده التجاني الذي زار طرابلس في سنة 706-708هـ/1306-1308م أن المسجد كان موجوداً عند زيارته للمدينة ، ووصفه بالجامع الأعظم وذكر أنه جامع متسع على أعمدة وسقفه حديث التجديد ، وبه منار متسع مرتفع قائم عن الأرض على أعمدة مستديرة فلما تم نصفه سدس ، وكان بناؤه في سنة 299هـ / 911م على يد خليل بن إسحاق⁽³⁾ .

إلا أنه لم يتبق بالمسجد آثار ترجع إلى العصر الفاطمي نظراً لما تعرض له من أعمال التخريب والهدم ، ولا تتفق بقاياه مع عمارة العصر الفاطمي حيث أن

(¹) عبد الحميد عبد السيد : مسجد قديم بمدينة سرت ترجمة عديلة حسن مياس . مجلة ليبيا القديمة منشورات مصلحة الآثار الليبية . طرابلس . المجلدان الثالث والرابع 1966-1967م . روما 1968 . ص ص 72-75 .

(¹) ميسان (غاسبري) : المعمار الإسلامي في ليبيا ترجمة على الصادق حسنين ، طرابلس، 1973م . ص 165

(³) التجاني (أبو محمد عبد الله) : الرحلة ص 253 .

بيت الصلاة به مقسم إلى أساكيب وبلاطات غير منتظمة في إتساعها ، ولا في شكل عقودها المتنوعة ، وكذلك في أشكال الأعمدة وتيجانها . كما أن تخطيطه الحالي يخالف لتخطيط المساجد الفاطمية إذ أنه مكون من بيت صلاة مغلق تتخلله فتحات أبواب ونوافذ يتقدمه رواق يطل على الصحن . كما أن جدار القبلة ليس محورياً مع الصحن ولكنه على امتداد الظلة الجنوبية الشرقية . وإن كان المسجد له صومعة مربعة على طراز الصوامع الفاطمية وصوامع بلاد المغرب بصفة عامة إلا أنها مضافة ضمن تحديدات صفرداي سنة 1119هـ/1610م

1

(¹) للمزيد عن هذا الجامع أنظر : صلاح احمد البهنسي (د) : العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول 958-1123هـ/1551-1711م . مخطوط رسالة دكتوراه . كلية الآثار جامعة القاهرة 1994م . ص ص 38-47 .

تأسيس مدينة المهدي

أقام عبيد الله المهدي في أول الأمر في مدينة رقادة التي أسسها إبراهيم بن أحمد سنة 264هـ/879م، وكانت مقراً لأمرأء بني الأغلب . وقد نزل أبو عبيد الله المهدي بقصر الصحن حتى تم تأسيس مدينة المهدي فانتقل إليها . وقد اختار المهدي شبة جزيرة ساحلية تقع بين سوسة في الشمال، وصفاقس في الجنوب لإنشاء عاصمة الفاطميين الأولى التي عرفت بالمهدية نسبة إليه . وكما هو متبع في تلك العصور فقد إستشار المنجمين لإختيار طالع سعيد لتأسيس المدينة، فكان برج الأسد في الطالع . ويتفق معظم المؤرخين أن تأسيس المدينة كان سنة 303هـ/915م ، ولكن ابن عذاري يذكر أنه كان سنة 304هـ/916م. وفي كل الأحوال فإن ذلك تم في فترة حكم عبيد الله المهدي.

ومن خلال ما ورد من أوصاف لمدينة المهدي، وما تبقى من آثارها، فإنه يلاحظ أن كثيراً من عناصر عمارتها قد انتقل إلى مدينة القاهرة، التي أسسها الفاطميون بعد دخولهم مصر ومن ذلك :-

— سمك جدران الأسوار ، فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن مدينة المهدي كانت محاطة بسور عريض يتسع لفارسين متجاورين ، وهو نفس ما

ذكر عن أسوار مدينة القاهرة التي كانت مبنية بالطوب اللين عندما أنشائها
جوهر الصقلي .

— كان سور مدينة المهديّة مبنياً من أحجار الدستور الصغير الذي يعرف باسم
" ثلاثات "، والتي نجد أمثلة لها في جامع الحاكم بأمر الله، وفي مشهد
الجيوشي بالقاهرة.

— كان يقوم على مداخل مدينة المهديّة أبواب ضخمة مصفحة بالحديد، ذكر
المقريزي في كتابه " المقفي الكبير " الذي ترجمه Fagnan أنها كانت تدور
على سكرجه أي محاور من زجاج، وهو نفس ما ذكر عن باب زويلة
بمدينة القاهرة، وكانت الأبواب مزخرفة بزخارف بارزة منها شكل أسدين
متواجهين بارزين كانت موجودة حتى وقت زيارة الرحالة " مارمول
Marmol " للمدينة سنة 961هـ/1553م . ولكن الحوائط وما
يتخللها من أبواب دمرت سنة 1317هـ/1899م .

— قام عبيد الله المهدي بإنشاء قصرا في وسط المدينة لنفسه، كما أنشأ قصرا
لابنه القائم يفصل بينهما ميدان، وهذا التخطيط إنتقل أيضا إلى القاهرة،
فكان القصر الشرقي الكبير للمعز، والقصر الغربي للعزیز يفصل بينهما ميدان
" بين القصرين " .

وقد زالا هذان القصران غير أن مارسيه Marçais يعتقد أن قصر
المهدي كان في المكان الذي يشغله الآن برج النحاس في المهديّة . ولكن
تبقت بعض الآثار، ومنها أحد أبراج السور من الناحية الجنوبية .

— إلى جانب المهديّة قام المهدي بإنشاء ضاحية عرفت باسم " زويلة " نسبة
لأحدى قبائل المغرب، ونقل إليها أصحاب الحرف والمتاجر ، وكذلك فعل

الفاطميون بعد تأسيس القاهرة، حيث خصصوا مدينة الفسطاط للحرفيين والصناع.

— يبدو الاتفاق ما بين مدينة القاهرة وعواصم العبيدين في إفريقية، وذلك من حيث مسميات أبواب المدينة ، فكان من ضمن أبواب مدينة المنصورية بابان أحدهما يعرف بباب زويلة (لوحة 11) ، والآخر باب الفتوح، وهي أسماء أطلقت أيضاً على بابين بالقاهرة . أما عن الوصف الذي كانت عليه مدينة المهدي فإلها كانت محاطة بسور سميك ، ويقع المدخل الرئيسي للمدينة في الناحية الغربية، ويكتنف جانبيه برجان نصف مثنان بإرتفاع 20م . ويؤدي الباب إلى ممر طويل طوله 44م مسقوف بقبو نصف برميلي، لذلك فقد كان ممراً مظلماً أطلق عليه " السقيفة الكحلة " (لوحة 12) . وعلى جانبي الممر دخلات حائطية بها مصاطب لجلوس الحراس . كما تبقى من آثار مدينة المهدي أجزاء من الميناء الذي أنشأه المهدي، وكان يتسع لثلاثين سفينة، وبني عند مدخله برجين .

جامع المهديّة

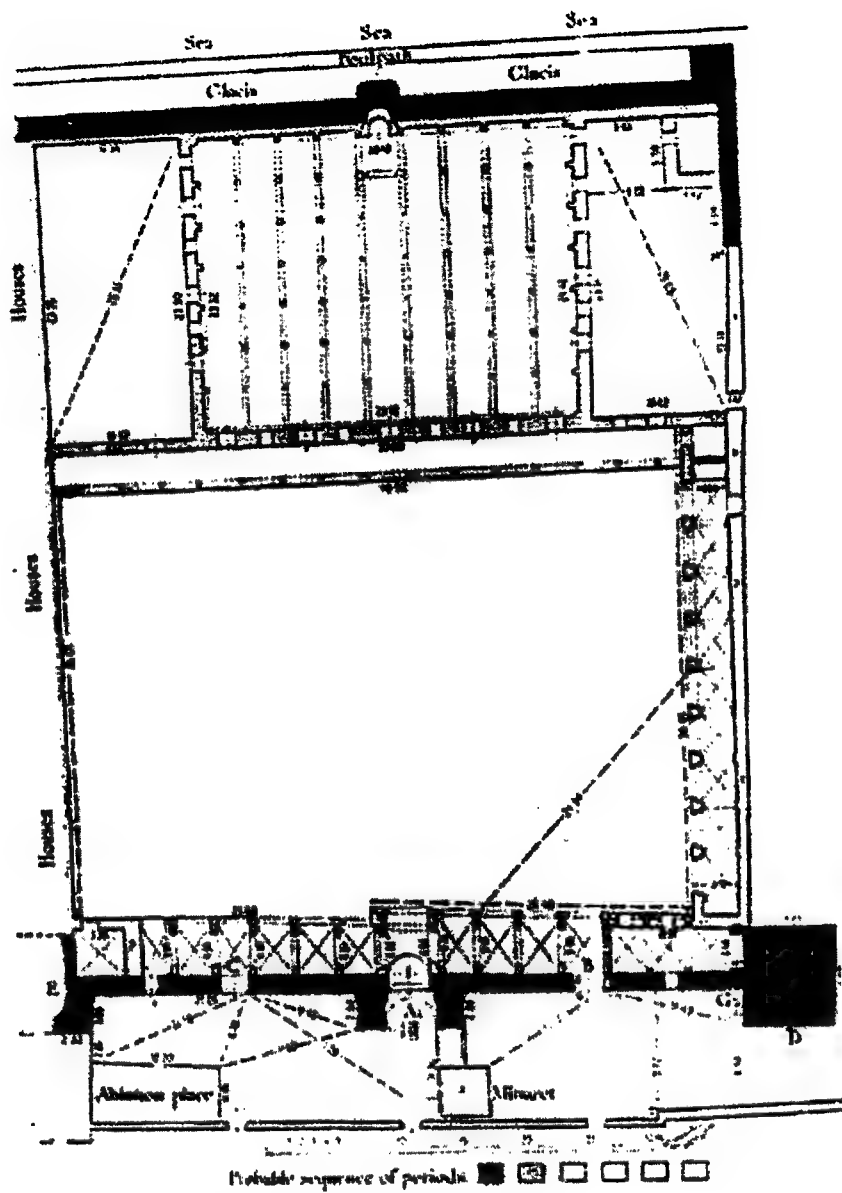
كما هو المتبع عند إنشاء المدن في العصر الإسلامي من حيث إنشاء مسجد جامع كبير في وسط المدينة، فقد قام المهدي عند تأسيس مدينة المهديّة بإنشاء مسجد جامع بها . وذلك في الفترة من سنة 303هـ/915م إلى سنة 305هـ/917م .

الوصف المعماري للجامع :

يشغل الجامع مساحة مستطيلة أبعادها 60×82م، ويؤدي إليه مدخل تذكاري؛ عبارة عن برجين يبرزان عن سمت الحائط في الواجهة الشمالية الغربية ، وأبعاد كل برج منها 3×8.50م أما الارتفاع فيبلغ 9م ، وبين البرجين يوجد مدخل معقود بعقد على شكل حدوة الفرس بإتساع 4م. ويؤدي الباب إلى دركاه مسقوفة بقبو طولي، ينتهي بفتحة باب معقودة بعقد مستقيم ، يعلوه عقد قوسي عاتق، بينهما نفيس ويؤدي الباب إلى الصحن ومنه إلى بيت الصلاة . وإستخدام العقد المستقيم يعلوه عقد عاتق بينهما نفيس ظهر فيما بعد في أبواب القاهرة الفاطمية، التي أنشئت في عصر المستنصر على أيدي " بدر الدين الجمالي "، وهو من التأثيرات المغربية في عمارة القاهرة في العصر الفاطمي ، ويحيط بكتلة المدخل دخلتان معقودتان بعقود حدوة فرس، يعلوهما دخلتان معقودتان بعقود نصف دائرية .

وفي ركني الواجهة الشمالية الغربية تبرز قاعدتي الصومعتين الأصليتين، ويبلغ بروز كل منهما 7.80م . ونجد هذا الوضع للصوامع في ركني الواجهة الشمالية الغربية في جامع الحاكم بأمر الله بمدينة القاهرة، ويرجع إلى سنة 380-

403م/990-1010م ، ويؤدي المدخل إلى ظلة مستحدثة مكونة من ثلاثة عشر عقدا من نوع حدوة الفرس موازية لجدار القبلة، ومغطاة بأقبية متقاطعة .
أما الصحن فإنه على شكل مستطيل أبعاده 49×35م، في الناحية الغربية منه ظلة حديثة مكونة من تسعة عقود حدوة فرس، محمولة على دعائم، ويغطيها أقبية متقاطعة . وفي الناحية الجنوبية الشرقية ظلة القبلة تتقدمها سقيفة مستحدثة، مكونة من خمسة عشر عقدا محمولة على أعمدة . وتؤدي هذه السقيفة إلى ظلة القبلة، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها 30 × 23 م . وتتكون من تسع بلاطات متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها ثماني بانيات من عقود حدوة الفرس، يبلغ عددها في كل منها سبعة عقود محمولة على ستة أعمدة (شكل 9).



شكل (9) مسقط الخي للجامع الكبير بالمدينة

يتوسط جدار القبلة محراب عبارة عن حنية معقودة بعقد حدوة فرس، عليه كتابة تشير إلى سنة 1334هـ/ (1915م)، وتوجد خلفه وعلى بعد متر منه يوجد المحراب القلم الذي يرى من ثقب في المحراب الحديث، وهو بذلك مشابه لما هو موجود في جامع عقبة بن نافع بالقيروان . والمحراب القلم عبارة عن حنية إتساعها 2م وعمقها 1م ، يزخرف الجزء الأسفل منها قنوات قمتها مفصصة، يعلوها أربعة أسطر من الكتابة الكوفية، ويتوج حنية المحراب طاقية مزخرفة .

وبناء على ذلك فإن ظلة القبلة الحالية محددة في القرن العشرين . ويحيط بظلة القبلة من الناحيتين الشرقية والغربية صحن مكشوف. وبذلك يكون للجامع ثلاثة صحنون مكشوفة، وإن صحن نسبة هذه الصحنون الثلاثة إلى فترة إنشاء الجامع فإنه بذلك يكون أقدم مثال لتعدد الصحنون في العمارة الإسلامية، سابقاً بذلك لمسجد تازي الموحدى ، وبذلك تكون الأجزاء الأصلية الباقية بجامع المهديّة ممثلة في :-

— الواجهة الرئيسية بما تشتمل عليه من المدخل التذكاري البارز وقاعدتي الصومعتين .

— جدار القبلة القلم والمحراب الذي يشتمل عليه .

وكما لاحظنا فإن الجامع يشتمل على أقدم نموذج للمداخل التذكارية في العمارة الإسلامية، إذ كانت المداخل مساوية لسمت الجدران. وقد إنتقل هذا الطراز من المداخل إلى جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة، ومنه إلى جامع الظاهر بيبرس 665-667هـ/ 1268-1270م . وقد ذكر كل من كريسويل، ومارسيه Creswell, Marçais أن هذا النوع من المداخل متأثر بأقواس

النصر الرومانية، إلا أن طريقة تنفيذ الأبراج ملاصقة لجدران الجامع تجعلها مختلفة عما كانت عليه أقواس النصر الرومانية، التي كانت تقام في ساحات مكشوفة بمفردها وغير مرتبطة ببناء. لذلك يمكن القول أن طريقة التنفيذ هذه من الابتكارات التي توصل إليها المعماري المسلم ضمن ما أضافه في مجال العمارة والفنون الإسلامية مستفيداً بتراث الحضارات السابقة⁽¹⁾.

(¹) للمزيد عن مدينة وجامع المهديّة انظر :

Lezine. A.: Mahdiya, Paris. 1965. pp 65-136 . Figs. 30-57 .

مسجد قلعة بني حماد بالجزائر

كان بنو حماد ولاية من قبل الفاطميين على المغرب الأوسط، ولكنهم ثاروا عليهم، وأعلنوا إستقلالهم عنهم، فأرسل الفاطميون بني هلال لتأديبهم، وأدى ذلك إلى تدمير الكثير من آثارهم، ولم يبق منها إلا بقايا مسجد بني حماد، الذي تبقى منه الصومعة التي ترتفع 25 م .

وقد أجرى العالم الفرنسي " بلاشيه " Plachet حفائر أمكن من خلالها التعرف على تخطيط المسجد، فكان عبارة عن مساحة مستطيلة أبعادها 56×64م، تنقسم إلى ثلاث عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة ، وترتكز الصومعة على الجدار الشمالي المقابل للمحراب، وتتوزع على جدار الصومعة جوقات أو طاقات شبيهة بما هو موجود في صومعة جامع أشبيلية " الجيرالدا "، ويعلو هذه الطاقات عقود ذات فصوص مستديرة ومدببة، موزعة بالتناوب يشبهها ما هو موجود بضريح أم كلثوم بالقاهرة، ويرجع إلى سنة 517-550هـ/1123-1155م. كما ظهر بهذه الصومعة استراحات بين الطوابق تستند على قباب مصلبة وقد أصبح هذا الأسلوب من خصائص عمارة الموحدين في المغرب والأندلس ومنها مأذنة الكتبية بفاس ومسجد حسن بالرباط والجرالدا بأشبيلية⁽¹⁾.

(¹) عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق ، ص 154.

ويتضح من هذا الوصف أن المسجد يتبع النمط التخطيطي لمساجد شمال افريقيا، وذلك من حيث البلاطات المتعامدة علي جدار القبلة، وفي وضع الصومعة في الجدار المقابل لجدار القبلة .

جامع تلمسان

بعد أن إستولى يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين على مدينة أجادير قام بتأسيس مدينة " تارجرات " ⁽¹⁾ عام 475هـ/1082م. وأقام بها مسجدا جامعاً وهذه المدينة هي التي عرفت فيما بعد بمدينة تلمسان ونسب الجامعة إليها .

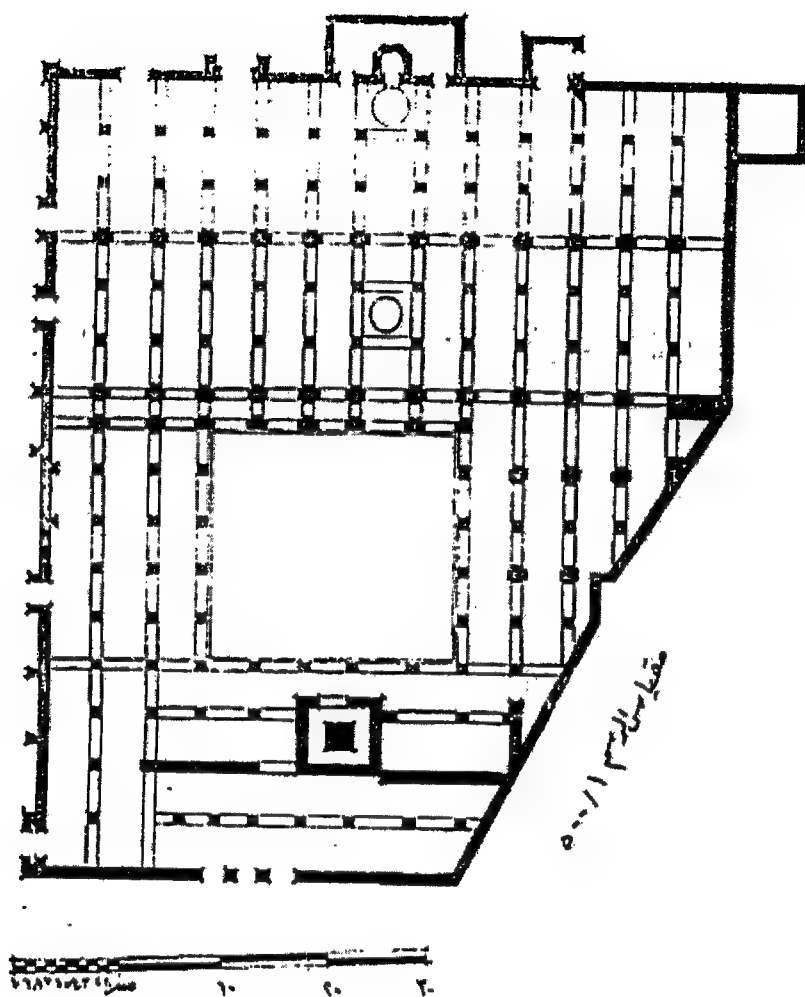
ويمثل مسجد الجزائر، ومسجد ندرومة المرحلة المبكرة من فن المرابطين، والتي تتسم بالبساطة والخشونة، بينما يظهر في مسجد تلمسان الثراء الزخرفي نتيجة للتأثر بالفن الأندلسي. وقد شيد هذا المسجد يوسف بن تاشفين سنة 475هـ/1082م، ثم تناوله علي يوسف بالزيادة في عمارته وزخرفته سنة 536هـ/1136م، ويظهر في هذا المسجد تأثر علي بن يوسف، التي كانت أمه من سببايا المسيحيين، بالفن الأندلسي، وذلك من حيث السقف المسطح الذي يعلوه سقف جمالوني، وزخارف السقف الخشبي، المكونة من عناصر نباتية متأثرة بالزخارف النباتية في سقف مسجد الدباغين " كنيسة سانتا ماريا لابلانكا حالياً " بطليلة. كما يظهر التأثر بالفن الأندلسي في كثافة الزخارف الحصية المتنوعة .

الوصف المعماري للجامع :-

يتكون من مساحة مستطيلة غير منتظمة الأبعاد، حيث يوجد إنحراف في الجدار الجنوبي الغربي. وينقسم الجامع إلى صحن يقرب من الشكل المربع، تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، التي تنقسم إلى ثلاث عشرة بلاطة متعامدة

(1) تعني كلمة "تارجرات" في اللغة الأمازيغية القاعدة الحربية.

على جدار القبلة ، تفصل بينها اثنتا عشرة بائكة من عقود، تتكون كل منها من ستة عقود، ويقسم هذه المساحة بائكتان موازيتان لجدار القبلة، تتكون كل منهما من ثلاثة عشرة عقداً محمولة على دعائم، والبائكات التي تمتد موازية لجدار القبلة وتقطع البائكات الممتدة متعامدة على جدار القبلة وجد في عمارة الاغلبة في كل من جامع عقبة بن نافع بالقيروان، وجامع الزيتونة بتونس. والبلاطة الوسطى من ظلة القبلة أكبر اتساعاً عن بقية البلاطات، ويغطي مربعة المحراب قبة مسجل عليها كتابة بخط الثلث، تشير إلى تاريخ الفراغ من بنائه سنة 530هـ/1135م، وهي قبة من أضلاع متقاطعة تعد تقليداً لقباب جامع قرطبة، حيث ينتج عن تقاطع ضلوع القبة قبية صغيرة من المقرنصات، كما توجد قبة على المربعة قبل الأخيرة من البلاط الأوسط من ناحية الصحن، ويدل هذا على أن ظلى القلبة كانت تنتهي عند هذه البائكة حيث كان المتبع وضع قبة فوق مربعة المحراب ، وقبة على المربعة الأخيرة من البلاط الأوسط والتي تطل على البهو " قبة البهو " (شكل 10)



شكل (10) مخطط القي للمسجد الجامع بتلمسان

وتشرف ظلّة القبلة على الصحن من خلال بائكة مكونة من خمسة عقود . ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن تجويف عميق معقود، وإلى يمين المحراب غرفة مخصصة للمنبر، كما توجد غرفة أخرى مخصصة للخطيب، ويوجد في الجانب الجنوبي الشرقي من جدار القبلة فتحة باب تؤدي إلى البلاطة الرابعة، كما يوجد في الجدار الشمالي الشرقي أربع فتحات أبواب اثنتان منها تؤدي إلى ظلّة القبلة. وعملاً بمبدأ التماثل الذي يميز عمائر تلك الفترة، فإنه من المرجح أنه كانت توجد أربع فتحات أبواب مماثلة في الجدار المقابل.

وتتكون الظلة الغربية من أربع بلاطات، بينما تتكون الظلة الشرقية من ثلاث بلاطات، وتشرف كل منها على الصحن من خلال خمس فتحات عقود، بينما تتكون ظلّة المؤخر من بائكتين من العقود، ويتوسطها الصومعة المربعة التي يدخل إليها من هذه الظلة، وكانت تشرف هذه الصومعة على الواجهة الشمالية الغربية غير أنه تم عمل سقيفة من بائكة واحدة من ثمانية عقود تتقدم هذا الجدار، وكذلك تم مد بلاطات الظلة الشمالية الشرقية حتى هذا الجدار المضاف (شكل 10) . وهذه الصومعة من إضافات يغمراش بن زياد من دولة بني واد التي حكمت الجزائر 633-681هـ/1235-1282م ، وهي صومعة مربعة الشكل مبنية من الآجر وعليها زخارف من شبكات المعينات التي تنطلق من رؤوس العقود، وتغطي جميع أوجه الصومعة ، وهي متأثرة في ذلك بطراز زخرفة مآذن بلاد الأندلس .

جامع القرويين في فاس

عندما بويع إدريس الأول بالولاية في المغرب سنة 172هـ/789م ، ودخلت القبائل البربرية في دعوته ، قام ببناء مدينة فاس، وبني بها جامعاً بسيطاً كان يعرف بجامع الأشياخ . وقد عرفت فاس بعدوة الأندلسيين نسبة إلى جالية أندلسية وفدت إلى المغرب عندما طردهم الحكم الثاني سنة 202هـ/817م . وكانت هذه الجالية تتكون من ثمانية آلاف أسرة . وقد أنشأ إدريس الثاني مدينة فاس الثانية سنة 192هـ/808م ، واتصلت المدينتان، وأصبحتا بلداً واحداً، ينقسم إلى قسمين يسمى كل منهما بالعدوة ؛ عدوة الأندلسيين في الناحية الشرقية من وادي فاس ، وقد أقام بها إدريس الثاني دار الإمارة نظراً لجمال طبيعتها ، ولأنه يستطيع الوصول منها بسهولة إلى أوروبا عن طريق بلاد الأندلس، كما يستطيع الوصول إلى بلاد شمال أفريقيا نظراً لوجودها في موقع متوسط . وعدوة القرويين أي القيروانيين في الناحية الغربية من وادي فاس ، وهي تنسب إلى الأسر التي وفدت من القيروان، وكان عددهم ثلاثمائة أسرة .

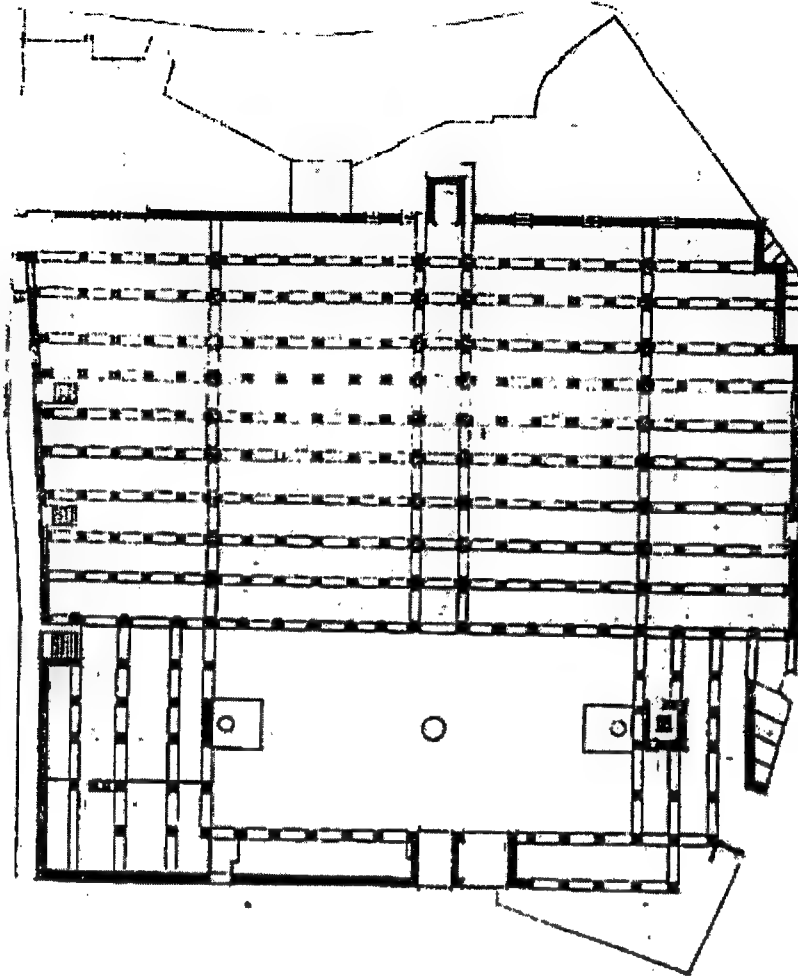
ويقع الجامع في عدوة القرويين لذلك نسب إليهم . وكان يعرف عند إنشائه بجامع الشرفاء . ويرجع تاريخ بناء الجامع إلى سنة 192هـ/808م معاصراً لجامع الأشياخ في عدوة الأندلسيين . وقامت فاطمة الفهرية سنة 243هـ/857م بتوسيع الجامع وإعادة بنائه ، فتضاعفت مساحته ، وزاد بيت الصلاة عمقاً ، ووسع الصحن وأعيد بناء المحنات. كما أنشئ للجامع محراب ومنبر ، وبنيت الصومعة .

أما جامع الأندلس بفاس " الأشياخ " فقد جددته مريم بنت محمد الفهري أخت فاطمة سنة 245هـ/859م ، وأضيفت له صومعة شبيهة بصومعة جامع القرويين سنة 354هـ/965م . ويرجع الشكل الحالي للجامع إلى سنة 600هـ/1204م في عهد الخليفة الموحي محمد الناصر ، إلا أنه دخلت عليه تجديدات وزيادات .

جامع القرويين على مر العصور :

— عند إنشاء المسجد على يدي فاطمة الفهرية سنة 245هـ/859م كان يتكون من ظلة القبلة . تنقسم إلى أربعة أساكيب موازية لجدار القبلة، تفصل بينها أربع بوائك من عقود، تتكون كل منها من اثني عشر عقداً ، ويوجد بلاط أوسط ؛ في الجهة الغربية منه خمسة عقود ، وفي الجهة الشرقية منه ستة عقود ، ويتقدم ظلة القبلة صحن ، في نهايته وعلى نفس محور المحراب الصومعة ، وهو المكان الذي توجد فيه حالياً العترة (شكل 11) .

وتوجد عند القبلة الرابعة كتابة تعد من أقدم الكتابات بالمسجد، وتشير إلى تطوع فاطمة الفهرية بالبناء ، وذلك في أول رمضان سنة 245هـ/859م



شكل (11) مسقط الخلفي لجامع القرويين في فاس بين الإضافات التي أضيفت إليه حتى نهاية
العصر المريني .

— في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر الذي استطاع الاستيلاء على
فاس، وعين أحمد بن أبي بكر الزناتي والياً عليها، قام هذا الوالي في سنة
345هـ/956م بإضافة ثلاثة أساكيب من ناحية الصحن، فأصبحت ظلة

القبلة من سبعة أساكيب بدلاً من أربعة، مما أدى إلى هدم الصومعة، وإقامة صومعة أخرى في الظلة الغربية. حيث تشغل المربعة الثانية من البلاطة الأولى التي تطل على الصحن من هذه المحبة، بينما يقابلها وعلى نفس امتدادها في الناحية الشرقية من الصحن الفوارة، ويبلغ طول ضلع الصومعة 5م، وارتفاعها 20م ، حسب القاعدة المتبعة في بناء الصوامع في بلاد الأندلس، والذي يكون ارتفاع الصومعة أربعة أضعاف طول ضلع قاعدتها، ويتخلل جدرانها فتحات توأمية معقودة على الطراز الأندلسي، وتنتهي بقبة، وإلى جانب الصومعة حجرة للمؤذن (لوحة 13) ، وهي أقدم صومعة باقية في المغرب الأقصى، وسار على نهجها بقية صوامع المغرب .

— وفي فترة لاحقة أضيفت فوارة غرب الصحن مقابلة للفوارة التي في الجهة الشرقية من الصحن، كما مدت البائكات في ظلة القبلة بواقع أربعة عقود في الناحية الغربية، وخمسة عقود في الناحية الشرقية .

— في فترة حكم علي بن يوسف تم توسعة الجامع، وأضيف منبر من خشب الصندل والأبنوس والخور، ومطعم بالعاج من عمل صناع من الأندلس (لوحة 14).

— في سنة 524هـ/1129م أضيفت العترة، حيث توجد عليها كتابة تشير إلى أنها عملت في سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

— في عهد الأمير علي بن يوسف المرابطي سنة 528-539هـ/1133-1143م صارت بلاطات بيت الصلاة عشر بعد أن كانت سبع ، وعمل محراب ومنبر جديد ، وأعيد بناء أبواب الجامع، وخاصة بابا الفخارين الذي يسمى اليوم بباب الشماعين ، وكسيت الأبواب بالنحاس ، وأقيم على كل

باب قبة ، كما أقيمت قبة على مربعة المحراب، مزخرفة بزخارف ملونة، ومذهبة اشترك في بنائها وزخرفتها صناع من الأندلس . ولكن عندما سقطت المغرب في أيدي الموحدين سنة 540هـ/1145م قاموا بتغطية المحراب بطبقة من الكاغد والجص .

— ومن إضافات الموحدين مجموعة الثريات ، والتي نقل بعضها من كنائس ، ومنها نواقيس ما زال عليها كتابات لاتينية منها عبارة "صوت الله جليجل في بيته " وإضافة الخصة الحسنة في الناحية الشرقية من الصحن في المكان الذي كان يشغله البئر الذي حفر في أيام فاطمة الفهرية ، وتم إضافتها في سنة 599هـ/1203م .

— أعيد العمل في الصومعة سنة 688هـ/1289م في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني، وقد أكسبت هذه الإصلاحات الوضع الذي عليه الصومعة الآن .

قد نال الجامع اهتمام بني مرين ، وأضافوا له كتيبات ، وساعد على ذلك أن السلطان أبو يوسف المريني طلب من واليه على أشبيلية تزويده بالكتب التي سلبها الأسبان من مساجد الأندلس ، فأرسل له ثلاثة عشر حملاً من المخطوطات ، كما أضاف بنو مرين الخصات ، وأقيم برج إلى جانب الصومعة للرصد الفلكي .

الوصف الحالي للجامع :-

يتكون الجامع من مساحة غير منتظمة الأبعاد، يتوسطها صحن مكشوف، في كل جانب من جوانبه حوض مياه، تتوسطه فوارة ، وتحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، وتتكون من مساحة وسطى، مكونة من

تسعة أساكيب موازية لجدار القبلة، تفصل بينها بوائك، يتكون كل منها من ثلاثة عشر عقداً ، ويقطع امتداد هذه الأساكيب البلاط الأوسط المتعامد على المحراب . وقد أضيفت في كل جانب من جانبي هذه المساحة إضافة، تتكون في الناحية الشرقية من تسعة أساكيب موازية لجدار القبلة، تفصل بينها بوائك مكونة من خمسة عقود، بينما الزيادة في الناحية الغربية غير منتظمة، إذ تتكون بعضها من بوائك من ثلاثة عقود، بينما يتكون بعضها الآخر من بوائك من أربعة عقود. أما الظللتان الجانبيتان فإن الظلة الشرقية تتكون من أربعة أساكيب تمتد متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها بوائك، يتكون كل منها من ستة عقود، بينما الظلة الغربية فإنها غير منتظمة الشكل، ويقطع امتداد هذه الظلة الصومعة (شكل 11).

ملاحظات حول عمارة وزخارف جامع القرويين :

— إن بائكات العقود تمتد موازية لجدار القبلة ، على عكس النظام السائد في عمارة بلاد المغرب ، ويرجع مارسيه Marçais ذلك إلى التأثير بجامع الشرفاء، الذي أقيم في البداية في عدوة القرويين ، وإلى التأثير بالطراز المعماري المشرقي في بناء المساجد .

— تعدد البوائك في المجنبات ، وهو أسلوب لم يكن معمولاً به في عمارة الأغالبة، ولكنه من مميزات الطراز المرابطي ، ونجد مثلاً له أيضاً في جامع تلمسان الذي يرجع لنفس العصر .

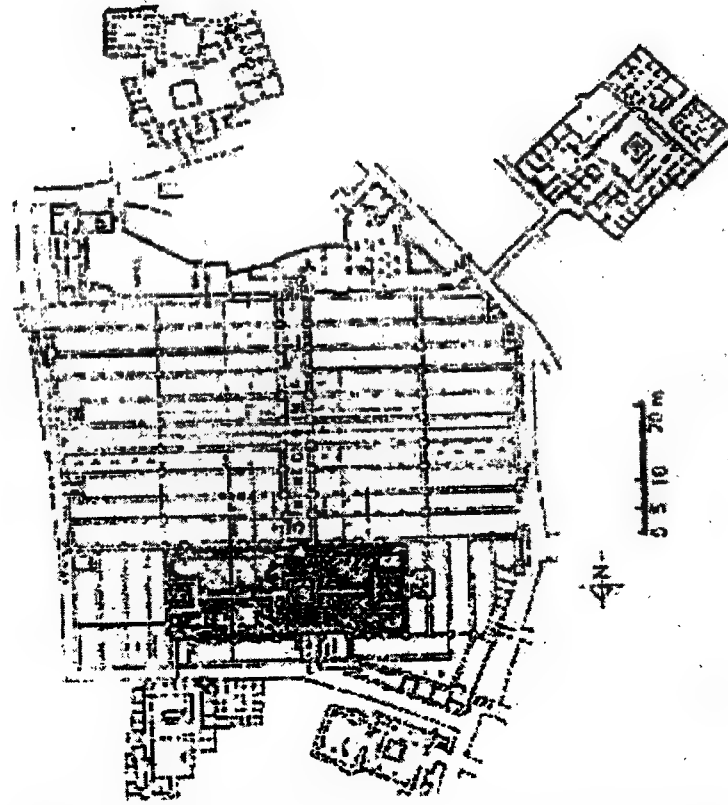
— أن جامع القرويين عند إنشائه كان يجمع بين مظاهر العمارة الأغلبية في تونس، وخاصة في وجود الصومعة في مقابل المحراب ، كما هو الحال في

جامع عقبة بن نافع بالقيروان ، وكذلك في طراز الصومعة المربعة . كما تظهر فيه البساطة التي كانت تميز العمارة الرستمية في عاصمتهم " تاهرت " بالجزائر ، حيث ذكر أن الحاكم الرستمي عبد الرحمن قام ببناء جامع المدينة بنفسه ، وعندما زاره وفد من الكوفة وجدوا أن شخصاً يعجن الطين ، بينما يتولى هو نفسه البناء .

— تتميز عمارة الجامع في القرن 4هـ/10م بأنها تجمع بين خصائص العمارة الزناتية المتأثرة بالطراز الفاطمي ، وبين الطراز الأندلسي الذي ظهر في بعض عناصر المسجد .

— ظهرت في جامع القرويين زخرفة تمتد على استدارة العقود، وهي زخارف ثعبانية تظهر لأول مرة في زخارف مساجد بلاد المغرب⁽¹⁾ (لوحة 15) .
— ألحقت بجامع القرويين أربع مدارس وهي (العطارين، الصفارين، الشراطين ، المصباحية) (شكل 12) ، وهذا يطابق ما حدث في الجامع الأزهر بالقاهرة والذي أضيفت له ثلاث مدارس في العصر المملوكي .

(1) للمزيد عن جامع القرويين، أنظر : سوسن سليمان يحيى (د) : جامعة القرويين ملتقى مدارس العمارة بالمغرب الإسلامي . مجلة كلية الآثار . جامعة القاهرة . العدد الثامن . 1997 م . ص ص 144 - 75 .



شكل (12) مسقط افقي لجامع القرويين في فاس والمدارس الملحقة به .

الفصل الرابع
عمارة الموحدين في بلاد المغرب

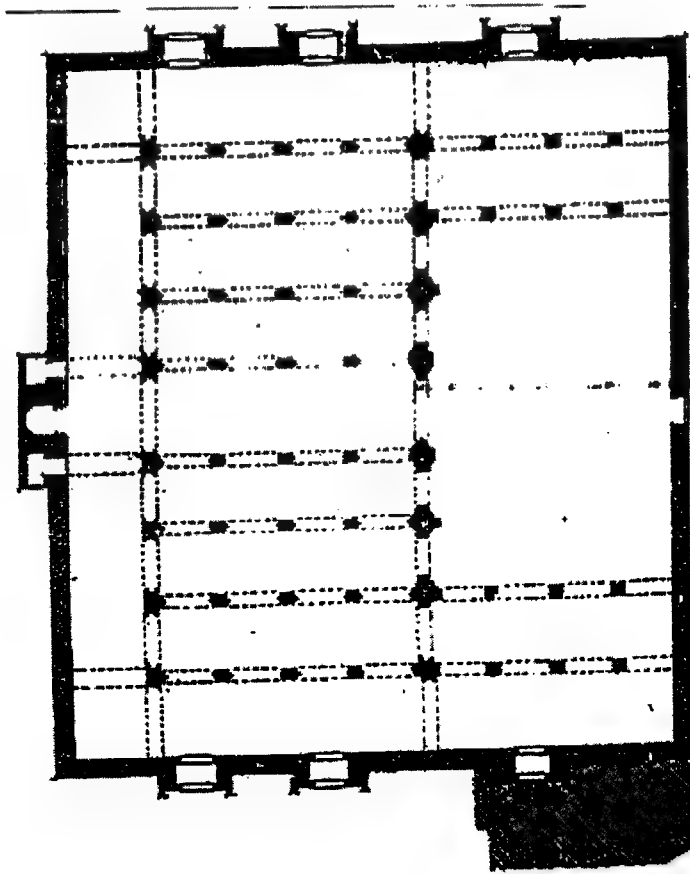
مسجد تينملل

أنشأه عبد المؤمن بن علي أول سلاطين الموحدين سنة 543هـ/1148م.

الوصف المعماري للمسجد:

يشغل المسجد مساحة مستطيلة أبعادها 48×43.60م، وله أربعة واجهات، تقع الواجهة الرئيسية في الجهة الجنوبية الشرقية منه ، وهي من الحجارة، وتحتوي الواجهة الرئيسية على ست فتحات معقودة للإضاءة وتهوية ظلة القبلة، ونستطيع أن نصل إلى داخل المسجد في هذه الجهة عن طريق مدخل منكسر يمر في داخل قاعدة الصومعة، يفضي إلى فتحة الباب التي تقع على يسار المحراب من الداخل، وكان هذا الباب مخصص لدخول الخليفة والإمام والخطيب. أما الواجهة الشمالية الغربية وهي من الحجر فإنه يقطعها مدخل بارز من الآجر، بها فتحة باب معقودة بعقد حدوة فرس مدبب ، تؤدي إلى صحن المسجد، وهذه الفتحة تقسم الواجهة إلى قسمين متساويين، وبالنسبة للواجهة الشمالية الشرقية فيوجد بها ثلاثة مداخل بارزة من الآجر، مستطيلة الشكل، تبرز عن سميت جدار الواجهة، ويفتح بكل كتلة بارزة مدخل معقود، يفضي المدخل الأول الذي يوجد يمين الواجهة، إلى الظلة الشمالية الشرقية . ويفتح كل من المدخل الثاني والثالث على ظلة القبلة، حيث يفضي إلى البلاطة الثانية، والمدخل الثالث إلى البلاطة الثالثة. في حين شغلت الواجهة الجنوبية الغربية ثلاث كتل بارزة، مستطيلة الشكل، تبرز كل منها عن سميت الجدار بمقدار 86 سم، ويفتح المدخل

الأول على الظلة الجنوبية الغربية من الداخل، ويفتح كل من المدخل الثاني والثالث على ظلة القبلة (شكل 13).



شكل (13) مسقط افقي للمسجد الجامع في تامل.

وبالنسبة للمسجد من الداخل فيتكون من صحن مستطيل الشكل أبعاده 16.55×23.90 م، يحيط به ثلاث ظلات أكبرها اتساعا وعمقا ظلة القبلة، التي تشرف على الصحن ببائكة من خمسة عقود أكثرها اتساعا وارتفاعا العقد

الأوسط، الذي يفضي إلى المحراب، وتتكون ظللة القبلة من تسع بلاطات، تفصل بينها ثمان بوائك، تتكون كل منها من أربعة عقود على شكل حدوة فرس مدبب (شكل 13). ويتوسط المحراب لجدار الجنوبي الشرقي، وهو عبارة عن حنية معقودة، وعلى جانبي المحراب مدخلان معقودان بعقد مستقيم، الدخلة الأولى على يمين المحراب، تفضي إلى حجرة مستطيلة ذات سقف مقبى من الحجر، وهي مخصصة للمنبر بعد الانتهاء من الخطبة، أما الدخلة الثانية على يسار المحراب فإنها تفضي إلى دهليز منكسر ضيق مغطى بقبو. ويتخلل سقف المسجد ثلاث قباب، واحدة فوق أربعة المحراب، كما توجد قبتان في ركني إسكوب المحراب.

وتطل الظلة الجنوبية الغربية على الصحن من خلال بائكة من أربعة عقود، محمولة على ثلاث دعائم مربعة القطاع. وتتكون هذه الظلة من إسكوبين غير متساويين، حيث أن الإسكوب المجاور للجدار الجنوبي الغربي أكبر اتساعاً من الإسكوب الثاني الذي يشرف على الصحن. وتشرف الظلة الشمالية الشرقية على الصحن من خلال بائكة من أربعة عقود على شكل حدوة فرس محمولة على ثلاث دعائم مربعة القطاع. وتنقسم هذه الظلة إلى إسكوبين غير متساويين في المساحة، حيث أن الإسكوب المجاور للجدار الشمالي الشرقي أكبر اتساعاً من الإسكوب الذي يشرف على الصحن (شكل 13).

ويلاحظ أنه لا يوجد بالمسجد الظلة الشمالية الغربية "الموخر"؛ إذ أن هذا كان أسلوباً معمارياً يميز عمارة الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن. أما صومعة المسجد فإنها تتوسط الواجهة الجنوبية الشرقية من الخارج خلف المحراب مباشرة، وهي بارزة عن سميت جدار الواجهة الرئيسية، وهي ذو قطاع مستطيل

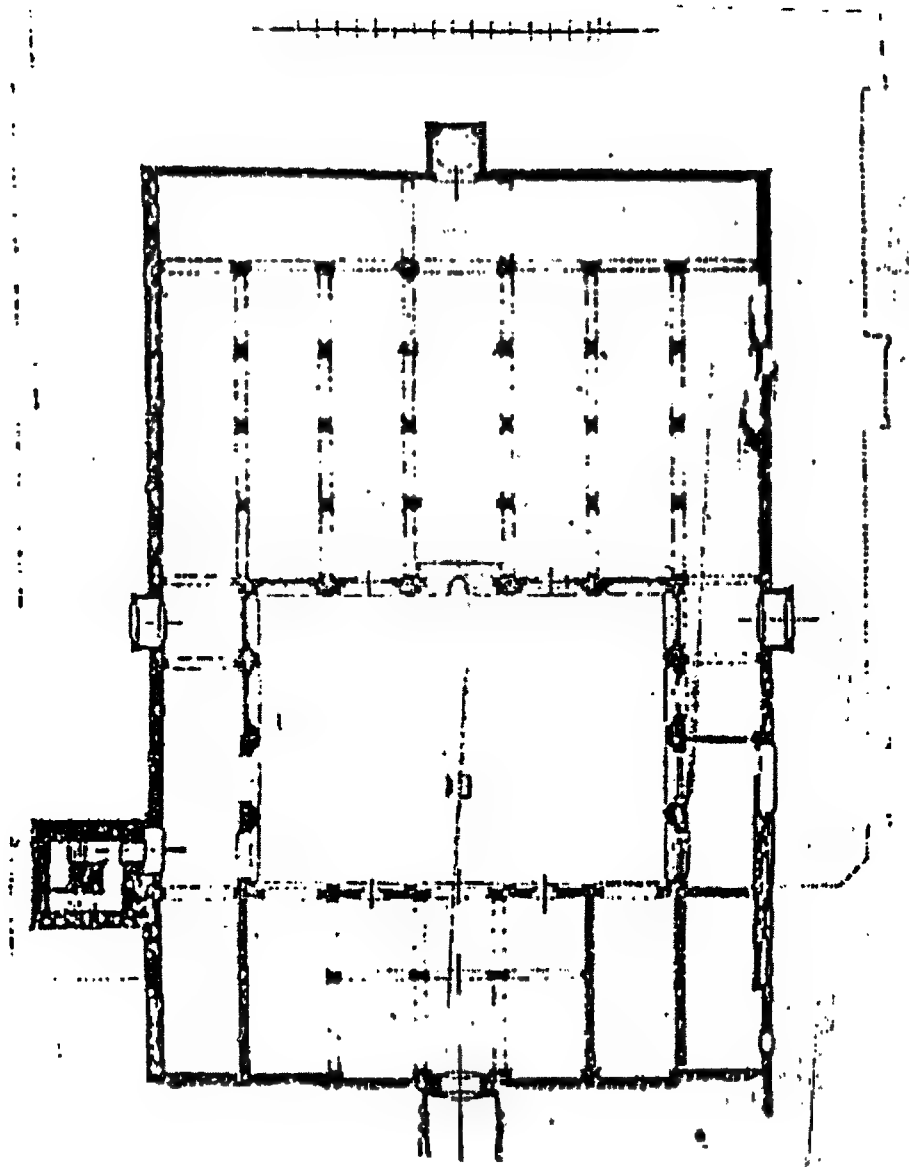
الشكل . وهذا الوضع بالصومعة يعد من الأمور التي نجد أمثلة قليلة جداً لها في
عمارة بلاد المغرب، حيث أن المتبع أن تكون الصومعة في الجدار الشمالي الغربي
مقابل المحراب .

جامع تازى

أسست مدينة تازى سنة 529هـ/1134م على أيدي السلطان الموحدى عبد المؤمن بن علي . كما أنشئ رباط تازى سنة 527هـ/1131م، وذلك لأنها تمثل الطريق من المغرب الاقصى إلى المغرب الأوسط، الذي كان يحكمه المرابطون. ويوجد الجامع فى الزاوية الشمالية الغربية من المدينة. وشهد الجامع الصراع بين الموحدين والمرينيين، والذى انتهى باستيلاء المرينيين على المدينة عام 646هـ/1248م .

الوصف المعمارى :-

من خلال المسقط الأفقى الذى عمله " تيراس " يتضح أن تخطيط الجامع الموحدى كان يتكون من صحن أوسط مكشوف، مستطيل الشكل، أبعاده 14.30م × 20.40م، يلتف حوله ثلاث ظلات أكبرها ظل القبة، التى توجد فى الجهة الجنوبية الشرقية، وتتكون من تسع بلاطات عمودية على الإسكوب الذى يتقدم المحراب. وكان هذا الإسكوب يعلوه ثلاث قباب واحدة فوق المحراب، وواحدة عند كل نهاية من نهايات الإسكوب. وتتكون ظل القبة من تسع بلاطات متعامدة على جدار القبة أكثرها إتساعاً البلاط الأوسط، وتتكون البوائك الثماني التى تفصل بين البلاطات من أربعة عقود، كل منها محمول على أربع دعائم من الآجر. وكما هو الحال فى المساجد الموحدية فإن العقود تنتهى عند الإسكوب الموازي لجدار القبة، فيما عدا عقود البائكتين الجانبيتين، فإنها تمتد لتصل إلى جدار القبة، وكذلك البائكتين على جانبي المحراب. وينتج عن ذلك مساحة مربعة غطيت كل منها بقبة (شكل 14) .

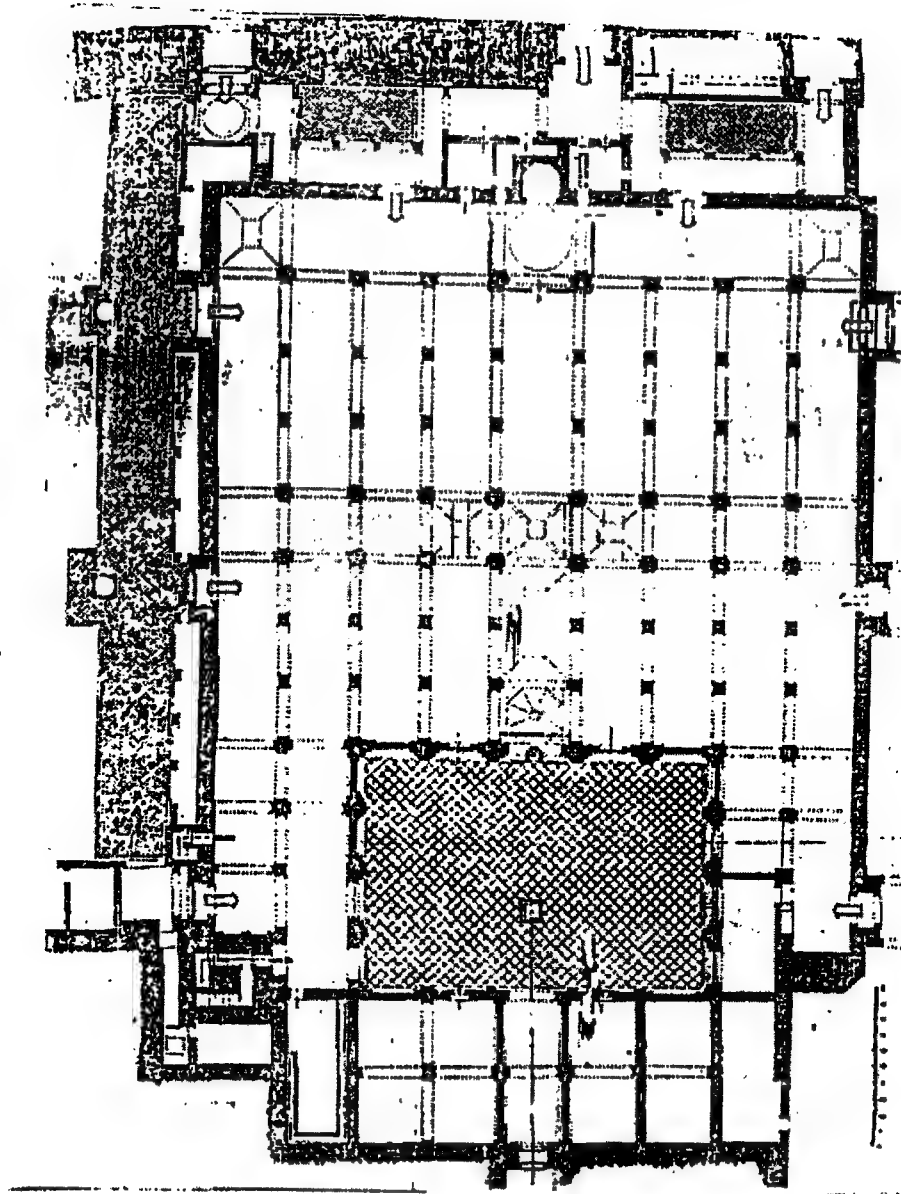


شكل (14) مسقط أفقي لجامع تازي الموحدي .

وقد أدت الزيادة التي تمت في العصر الماريني إلى هدم القباب، ومد البوائك المتعامدة على جدار القبلة، إلا أن كوشات عقود الإسكوب الموازي المتبقى من الجامع الموحدى مازالت موجودة، وتحدد الجزء الموحدى من الزيادة المارينية بالجامع (شكل 15) .

أما الظلتان الجانبيتان فتظل كل منهما على الصحن من خلال بائكتين، كل منهما من أربعة عقود، وكانت بالجامع صومعة مربعة مبنية من الدبش. وتوجد في الركن الغربى من الواجهة الرئيسية الشمالية الشرقية للجامع عند تقابلها مع الواجهة الشمالية الغربية . ويتخلل الجدران الثلاثة للصومعة فتحات ضيقة رأسية، كما توجد فتحات نوافذ، وتنتهي جدران الصومعة بشرفات مسننة، ويتوسط الجوسق الصومعة، ولكنه أقل اتساعاً عن بدنها. ويتوج الجوسق قبة مضلعة من الخارج يعلوها ثلاث تفافيح، كما ثبت في أحد أركان الجوسق قضيب حديدى تعلق عليه راية وقت الأذان. وقد فتحت في أحد اضلاع الصومعة من أعلى فتحة باب تؤدي إلى حجرة صغيرة مخصصة للمؤذن. وقد أجريت على الصومعة أعمال تجديد في نهاية القرن العشرين.

كان يتخلل الواجهات الثلاث للجامع خمس فتحات أبواب، اثنان في الواجهة الشمالية الشرقية، واثنان يقابلهما في الواجهة الجنوبية الغربية، بينما يتوسط الواجهة الشمالية الغربية الواجهة لظلة القبلة فتحة باب على نفس محور المحراب. كما كان يوجد باب على يسار المحراب يؤدي إلى المقصورة مباشرة، كما هو المتبع في معظم المساجد الموحدية .



شكل (15) مسقط أفقي جامع تازی الموحيدي والمريني .

وقد وضع ماسلو Maslow تخطيطاً مختلفاً لهذا الجامع ، حيث جعله من أربع ظلات بدلا من ثلاث، واختفت القباب التي تغطي إسكوب المحراب، كما جعل للجامع ثلاثة أبواب بدلا من خمسة، وجعل الصومعة بارزة عن سمت جدار الواجهة الشمالية الشرقية، كما ظهر في تخطيطه عنصر "العزة" في البائكة التي تطل على الصحن (شكل 14).

وفي سنة 691هـ/1293م تمت إضافات على أيدي السلطان أبي يعقوب المريني. وشملت مد البوائك التي تمتد عمودية على جدار القبلة بواقع أربعة عقود، مما أدى إلى زيادة عمق ظلة القبلة. وللتغلب على قلة الإضاءة والتهوية تم عمل صحن آخر أطلق عليه الصحن الصيفي. وقد ظهر هذا العنصر لأول مرة في جامع تازي . وبالتالي أصبحت ظلة القبلة من مساحة مستطيلة عميقة، قسمت بواسطة بوائك عمودية إلى تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها ثماني بوائك من عقود مدببة في الجزء الموحدى، وهى أقل اتساعاً عن العقود التي أضيفت في العصر المريني.

وتظل ظلة القبلة على الصحن من خلال خمس فتحات عقود، الأوسط أكثرها اتساعاً، وتم حجب هذا الجزء بحجاب خشبي يعرف بالعزة . ويقطع إمتداد العقود وجود إسكوبين يمتدان موازيان لجدار القبلة، إسكوب عند نهاية الجزء الموحدى، وإسكوب عند نهاية الزيادة المرينية من ناحية جدار القبلة. وقد نفذ هذا الإسكوب على نفس نظام الإسكوب الموحدى، حيث تعلوه ثلاث قباب واحدة فوق المحراب، وواحدة في كل نهاية لإمتداد الإسكوب (شكل 15). ويرجع المنبر الموجود حالياً إلى العصر المريني، غير أنه قد جرت عليه عدة إصلاحات في فترات تالية أفقدته الكثير من معالمه الأصلية. كما كانت للجامع

مقصورة خشبية وضعت في مواجهة المحراب، تؤدي إليها ثلاث فتحات أبواب، غير أنه تم رفعها من مكانها وتخزينها، وكذلك الحجاب الخشبي " العترة ". كما الحق بالجامع مصلى جنازرى موجود خلف جدار القبلة، ويتصل بالجامع عن طريق فتحتى الباب اللتين توجدان على جانبي المحراب ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ للمزيد عن جامع تازى، انظر :

Maslow. B. : Les Mosques de Fes et Noad de Maroc. Paris. 1934. pp. 6-31.

Terrasse.H : La Grande Mosquee de Taza. Paris . pp. 2-35 .

محمد محمد الكحلاوى (د) : مساجد المغرب الأقصى والاندلس في عصر الموحدين ، ج 1، القاهرة، د.ت. ص ص 69-102 .

جامع الكتبية في مراكش

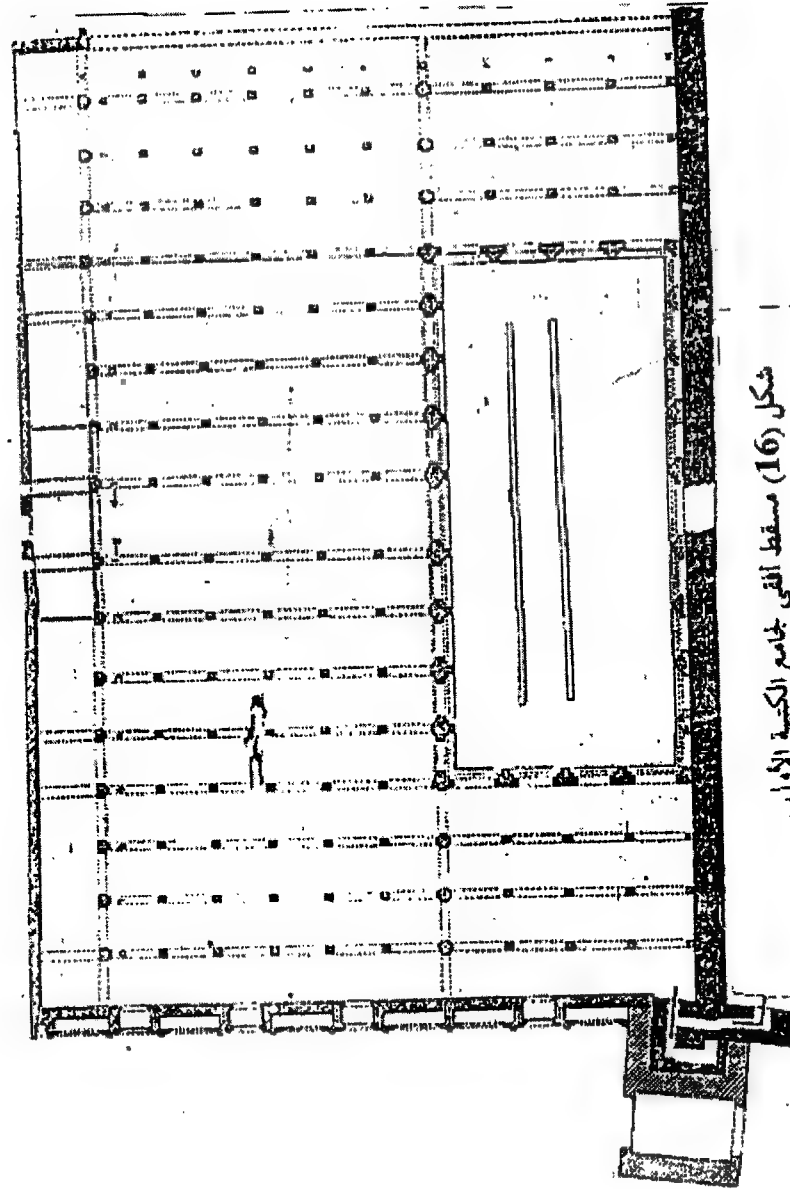
كانت مراكش عاصمة المرابطين والموحدين، وفي عهد بني مرين إنتقلت العاصمة إلى فاس. وفي القرن 10هـ/16م أعاد السعديون العاصمة إلى مدينة مراكش. وتعرف مراكش بمدينة السبعة رجال وتربة الأولياء ، لأنه يوجد بها سبعة أضرحة تنسب إلى سبعة أولياء .

الوصف المعماري لجامع الكتبية الأول :

مر جامع الكتبية بعدة مراحل أكسبت الجامع في كل مرحلة سماتاً مميزة. وفيما يتعلق بجامع الكتبية الأول، فقد أنشأه عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين، وذلك سنة 541هـ / 1146م ليكون إعلاناً لقيام دولة الموحدين. وهو ثالث الآثار المعمارية الموحدية الكبرى بعد جامع رباط تازي الذي أنشئ سنة 527هـ/1133م، وجامع تنملل الذي أنشئ سنة 541هـ/1146م. وقد أشرف على بناء جامع الكتبية أبو الليث الصفار، وأبو الحسن علي بن أبي حفص، وعمر بن عبد المؤمن . ولم يبق من جامع الكتبية الأول إلا أجزاء من جدار القبلة والجدار الشمالي الشرقي . وقد قام ج . موني G.Munie بحفائر في موقع جامع الكتبية الأول، وأمكن من خلالها التوصل إلى بعض الحقائق عن تخطيط الجامع ويمكن إجمالها فيما يلي :-

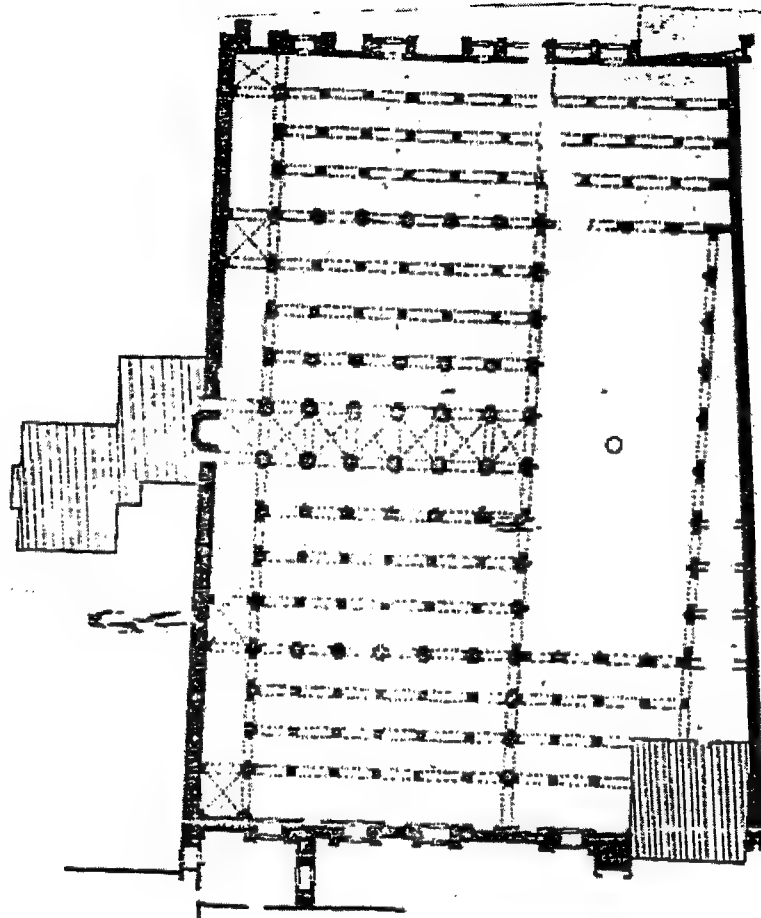
— أنه كان للجامع أربعة مداخل موزعة على إمتداد الجدار الشمالي الشرقي، ثلاثة منها تفتح على ظلة القبلة، والرابع يفتح على الظلة الشمالية الشرقية. وتبعاً لما هو معمول به في مساجد الموحدين من الحفاظ على التماثل في

- توزيع العناصر لذلك فإنه من المرجح أنه كانت هناك أربعة مداخل أخرى في الجدار الجنوبي الغربي مقابلة للمداخل الأربعة السابقة .
- أنه كان يوجد باب في منتصف الجدار الشمالي الغربي يقابل المحراب، وعلى نفس محوره .
- أن الجامع كان يتكون من صحن أوسط مكشوف مستطيل الشكل، تحيط به أربع ظلات أكبرها ظللة القبلة. ويتوسط الصحن فوارة، كما يوجد في أرضية الصحن صهريجان .
- أن ظللة القبلة تتكون من مساحة مستطيلة مقسمة إلى سبع عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها ست عشرة بائكة، تتكون كل منها من ستة عقود، لا تصل إلى جدار القبلة إلا في الأجزاء التي تغطيها قباب، حيث يوجد إسكوب متسع موازي للمحراب، يتوزع على إمتداده خمس قباب، واحدة فوق المحراب وعلى كل جانب منها قبة أخرى، وفي نهاية الإسكوب من كل ناحية توجد قبة .
- أنه توجد على كل جانب من جوانب المحراب حجرة، إحداهما مخصصة للمنبر في غير وقت الجمعة، والأخرى مخصصة للخطيب (شكل 16، 18).



شكل (16) مسقط أفقي لجامع الكوفة الأول .

- أن المحاريب عبارة عن تجويف معقود يتوسط جدار القبلة .
- عندما تم بناء جامع الكتبية الثاني تم عمل عشر فتحات في جدار القبلة، يدخل منها إلى الإضافة التي تمت في الجامع الجديد .
- أن ظلة القبلة تفتح على الصحن من خلال تسع فتحات عقود، أكثرها اتساعاً الوسطى منها .
- أنه كان للجامع مقصورة متسعة، مكونة من ستة أضلاع، تخرج من الأرض بطريقة ميكانيكية . وقد صنع هذه المقصورة صانع أندلسي من مدينة مالقة، كما أن المنبر تم صنعه بمدينة قرطبة في الأندلس، وذلك حسبما تنص الكتابة المسجلة عليه، والتي تتضمن اسم يوسف بن تشفين، مما يدل على أن هذا المنبر صنع في الأساس للجامع المرابطي، ثم نقل إلى جامع الكتبية .
- تتكون كل من الظلتين الجانبيتين من أربع بلاطات متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها أربع باثكات من عقود، تتكون كل منها من أربعة عقود .
- أن عبد المؤمن عندما بنى هذا الجامع اتخذ من برج الجامع المرابطي صومعة لجامعه. وكانت هذه الصومعة قائمة حتى بداية القرن 13هـ/19م . وكان هذا البرج يجاور صومعة جامع الكتبية الثاني .



شكل (17) مسقط الخي جامع الكعبة الكبرى

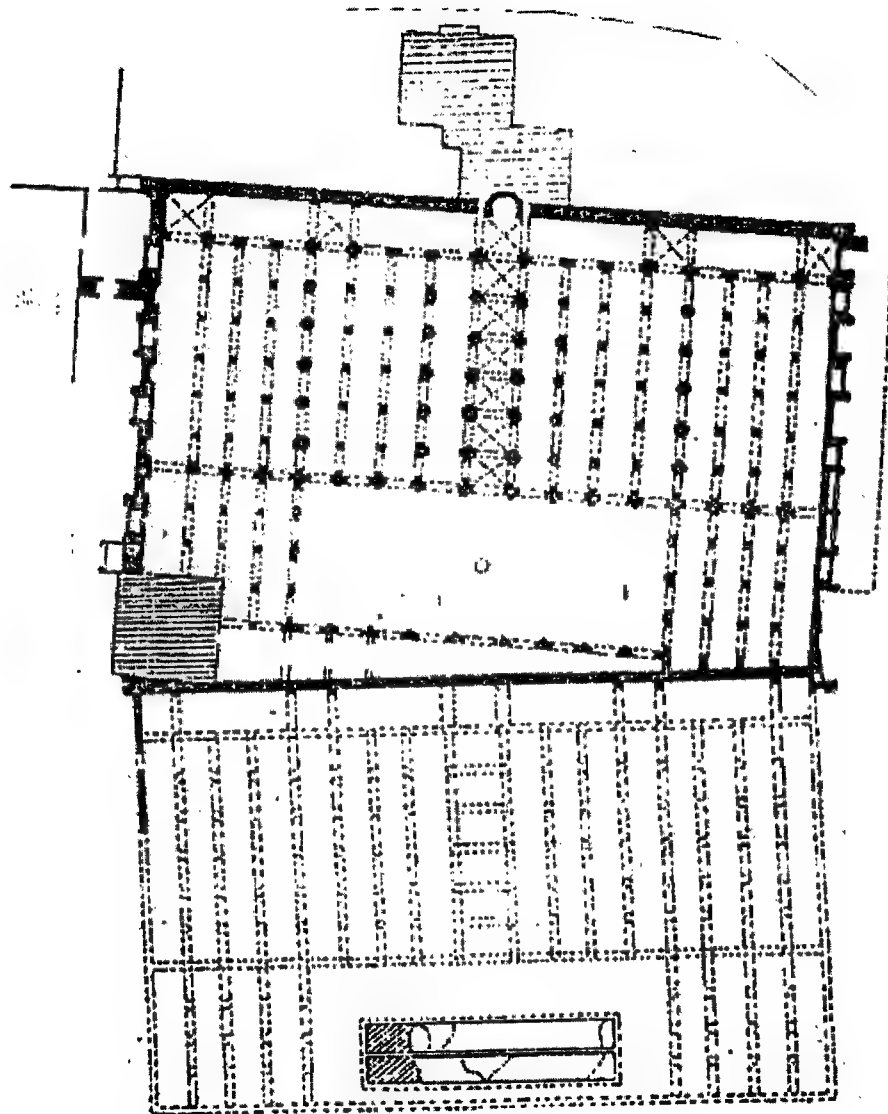
جامع الكتبية الثاني

بناه عبد المؤمن ملاصقاً لجامعه الأول من الجهة الجنوبية، وذلك في النصف الأول من القرن 6هـ/12م، ثم أكمل بنائه ابنه أبي يعقوب يوسف. وقد اختلفت الآراء حول بناء هذه الإضافة، ويرجع المؤرخ المقرئ في كتابه "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" سبب هذه التوسعة إلى الإحتفال بقدم مصحف عثمان -الذي كان محفوظاً في قرطبة- بالاندلس إلى مراكش، وذلك في سنة 552هـ/1158م. ولكن ج. موني G.Munie يرجع السبب إلى زيادة عدد سكان مدينة مراكش حتى ضاق بهم الجامع الأول، بالإضافة إلى ما إعتاد عليه السلاطين من إقامة المساجد تخليداً لذكراهم. وهناك من يزجج سبب تشييد الجامع الجديد إلى انحراف قبلة الجامع الأول، ولكن هذا الأمر غير مقبول، حيث أنه عندما تم عمل التوسعة الجديدة وتم فتح عشر فتحات في جدار القبلة الأول بقي المحراب على ما هو عليه، ولو كان به إنحراف لتم استبداله بفتحة مثل الفتحات العشر التي تم إحداثها في جدار القبلة.

الوصف المعماري لجامع الكتبية الثاني :

وصف الرحالة " الوزان " في القرن 10هـ/16م الجامع، وقارن بينه وبين كنائس إيطاليا التي زارها سواء كان ذلك من حيث التكوين المعماري أو شكل الصومعة. أما عن الوصف الحالي للجامع فإنه يتكون من صحن أوسط مكشوف تتوسطه فوارة، وتحيط به أربع ظلات أكثرها اتساعاً ظلة القبلة، وتشغل مساحة مستطيلة عرضها 95.30م وعمقها 39.50م. وتنقسم إلى

سبع عشرة بلاطة متعامدة على إسكوب المحراب، تفصل بينها ست عشرة بائكة
من العقود (شكل 17، 18).



شكل (18) مسقط أفقي لجامعي الكنية الأول والثاني .

وكما أن إسكوب المحراب أكثر إتساعاً عن بقية البلاطات، كذلك فإن البلاط الأوسط أكثر اتساعاً عنها، كما أن عقد البلاط الأوسط المطل على الصحن عقد مفصص من خمسة عشر فصاً مخالفاً بذلك بقية عقود بيت الصلاة المديبة والمنتفخة. وتشرف ظللة القبلة على الصحن من خلال تسع فتحات عقود، تتميز البلاطة الوسطى والبلاطة التي على جانبها من كل ناحية بأنها مكونة من بائكات موازية ومتعامدة .

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية عميقة مرتفعة، معقودة بعقد حدوة فرس، يستند في كل جانب على ثلاثة أعمدة رخامية مجزعة بالأحمر والأخضر، ويغطي تجويف المحراب قبيبة ، ترتكز على حطات من مقرنصات، كما يشتمل تجويف المحراب على زخارف ضمنها شريط كتابي يتضمن البسملة والصلاة على الرسول وآله وصحبه، يعلوه شريط زخرفي؛ عبارة عن بائكة من عقود صماء. وعلى جانبي المحراب توجد دخلتان إحداها مخصصة للمنبر، أما الثانية فإنها تؤدي إلى الإضافة التي أحدثت بالجامع، وعلى جانبي هذه الدخلات، وكذلك في الضلع الشمالي الشرقي لظللة القبلة كتيبات .

ويغطي إسكوب المحراب خمس قباب، واحدة فوق مربعة المحراب، وواحدة على كل جانب منها، بينما يغطي كل ركن من الإسكوب قبة. وهي قباب ترتكز على مناطق إنتقال مقرنصة، ولكن مناطق الإنتقال تلك لا تظهر من الخارج. أما بقية ظللة القبلة فإنها مغطاة بسقف جمالوني من الخشب، يعلوه طبقة من القرميد، وذلك فيما عدا البلاطة الوسطى، والبلاطتين على جانبيها فإنها جميعاً مغطاة بأسقف هرمية. ويقابل ظللة القبلة الظلة الشمالية الغربية التي تمتد

بوائكها فى صفين، أحدهما مواز، والآخر متعامد، ولكن العقد الأوسط منها أكثر إتساعاً على نفس شكل ومحور بلاطة المحراب. وسقف هذه الظلة بمجدد .

وتشرف الظلة الشمالية الشرقية على الصحن من خلال أربع فتحات عقود مدببة، تسير عمودية على الإسكوب العرضي، الذي يفصل بين هذه الظلة وظلة القبلة. وتشغل الصومعة جزءاً من هذه الظلة، كما تشغل السقاية جزءاً منها. وكذلك فإن الظلة الجنوبية الغربية تشرف على الصحن من خلال أربع فتحات عقود مدببة .

وتتخلل كل من الواجهة الشمالية الشرقية والواجهة الجنوبية الغربية أربع فتحات أبواب بارزة عن سمت الجدران، لكنها أكثر بروز في الواجهة الجنوبية الغربية، بينما تتميز الواجهة الشمالية الشرقية بوجود الصومعة والسقاية "السبيل"، وهو عبارة عن فتحة معقودة تؤدي إلى حيز مربع، تتوسط أرضيته فتحة صهريج للمياه، يتصل بقناة قليلة العمق تنتقل إليها المياه من الخزانات التي توجد أعلى ظلات الجامع، كما تنتقل المياه منه إلى دورات المياه بالجامع عبر أنابيب فخارية مغمية في الجدران.

الصومعة :-

تعد من أجمل مآذن المغرب العربي، وتتكون من قاعدة مربعة، تؤدي إليها فتحة باب في انضلة الشمالية الشرقية، ويؤدي الباب إلى ممر صاعد مغطى بقبو نصف برميلي، ويقطع امتداد هذا الممر ست حجرات صغيرة مربعة، موزعة على ارتفاعات مختلفة بعضها مغطى بقبو مروحي أو قبة مخروطية أو قبة ضحلة. وينتهي البدن بشرفة تنتهي حافتها العليا بشرفات مسننة، ويتوسط الشرفة جوسق مربع أقل إتساعاً عن بدن الصومعة تغطيه قبية صغيرة. ويبلغ إرتفاع

الصومعة 56.40م . ويتخلل جدرانها فتحات معقودة بعقود حدوة فرس مدببة أو عقود مفصصة. وينتهي البدن بشرط كتابي، كما فتحت في أضلاع الجوسق فتحات معقودة مغطاة بقمریات⁽¹⁾.
وقد شيد هذه الصومعة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن . ويقال عنها أنها " العلم في الغلاة ، ومزلتها بين الصوامع مزلّة والي الولاة " .

(1) عن مسجد الكتبية الأول والثاني ، أنظر ، محمد محمد الكحلوى (د) : مساجد المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، ص ص 137-210 .

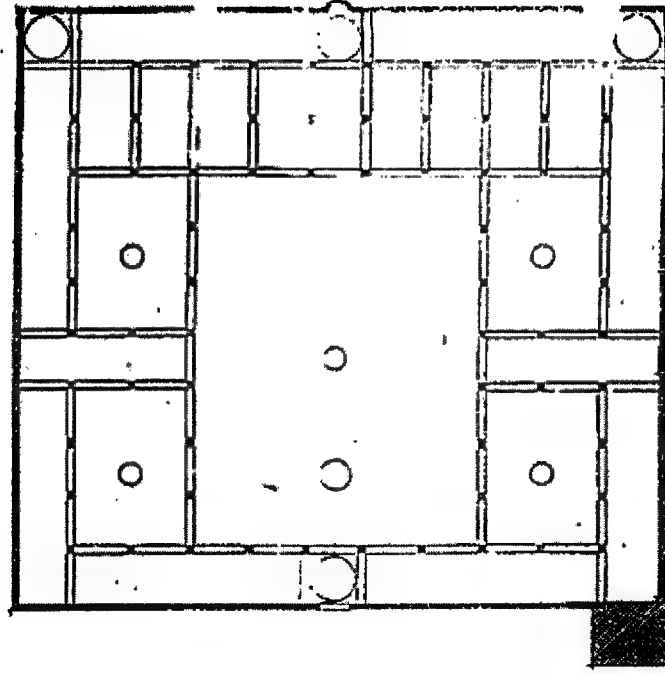
مسجد قصبه مراكش

بعد أن ضاقت مدينة مراكش بالسكان، قام المنصور يعقوب بإنشاء قصبه تنصل بالمدينة، وأنشأ بها جامعاً، وذلك سنة 591هـ/1195م.

الوصف المعماري للمسجد :

تؤدي إلى داخل المسجد فتحات أبواب في كل من الواجهة الجنوبية الغربية، وهي الواجهة الرئيسية للمسجد، حيث أنها مقسمة إلى اثني عشرة دخلة حائطية معقودة، فتحت في كل من الدخلات الرابعة والسادسة والثامنة ثلاث فتحات أبواب، كما تنقسم الواجهة الشمالية الغربية إلى عشر دخلات معقودة، ويشغل كل منها فتحة باب، تعلوها فتحة نافذة .

يتميز هذا المسجد بتعدد صحنونه، حيث أنه إلى جانب الصحن الأوسط توجد أربعة صحنون، اثنان تطل عليهما الظلة الشمالية الشرقية، واثنان تطل عليهما الظلة الجنوبية الغربية، بينما تشرف على الصحن الأوسط كل من ظلة القبلة وظلة المؤخر . تتكون ظلة القبلة من مساحة مستطيلة تنقسم إلى إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، أكثرها اتساعاً البلاط الأوسط، وتشرف ظلة القبلة على الصحن من خلال خمسة عقود، كما يوجد عقدان يشرفان على كل صحن من الصحنون الجانبية (شكل 19).



شكل (19) مسقط أفقي لجامع القصبه في مراكش .

ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن دخلة عميقة متسعة تأخذ الشكل المثلث، وعلى جانبي المحراب فتحتي باب إحداها مخصصة لغرفة المنبر، بينما الأخرى لدخول الخليفة إلى المقصورة .

ويغطي ظل القبلة سقف مسطح تبرز عنه أربع قباب، ثلاث منها على إسكوب المحراب، حيث يغطي مربعة المحراب قبة، كما يوجد على نهاية الإسكوب من كل جانب قبة. وتقوم القبة الرابعة على المربعة الأخيرة من البلاط الأوسط من ناحية الصحن .

وتشرف ظلة المؤخر على الصحن من خلال خمس فتحات عقود أكبرها اتساعاً العقد الأوسط . وتشرف الظلتان الجانبيتان على الصحن الجانبية من خلال سبع فتحات عقود أكثرها اتساعاً الوسطى منها، كما تشرف على الصحن الرئيسي من خلال ممر .

توجد الصومعة في الركن الغربي من الواجهة الجنوبية الغربية، وهي صومعة مربعة القطاع على نفس طراز مآذن بلاد المغرب والأندلس .

الفصل الخامس
عناية المدرسة
في بلاد المغرب

تاريخ نشأة المدارس في بلاد المغرب :

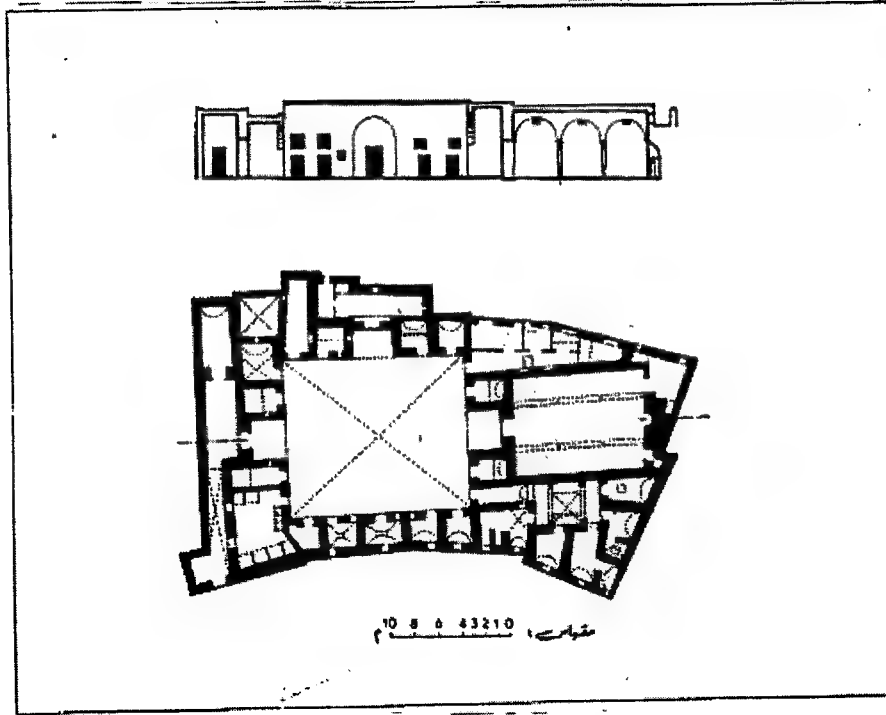
ظهرت المدارس في شرق العالم الإسلامي قبل ظهورها في غربه. وتعد المدرسة البستية التي أنشأها أبو حاتم البستي سنة 345هـ/956م بمدينة بست من أقدم المدارس كمنشأة معمارية تختص بالتعليم ، وتتوفر فيها المقومات الأساسية للمدرسة، وذلك من حيث وجود أماكن لإقامة الطلاب، وتخصيص رواتب وجرايات عليهم .

وقد انتشرت المدارس بعد ذلك في أماكن عديدة من شرق العالم الإسلامي بغرض مقاومة المذهب الشيعي، ونشر المذهب السني . ومن أهمها المدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك، وزير الملك السلجوقي ملكشاه، وعلى رأسها المدرسة النظامية في بغداد التي ترجع إلى سنة 459هـ/1066م . وانتقلت المدارس إلى مصر ومن أقدمها المدرسة العوفية التي أنشأها رضوان بن الوحشي ، ومجموعة المدارس التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي عندما كان وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، وكذلك بعدما آل إليه ملك مصر .

أما في غرب العالم الإسلامي فقد وردت أقدم إشارة للمدارس في ليبيا فيما أورده العبدري في رحلته في القرن 7هـ/13م ، وهي المدرسة المنتصيرية أو المستنصرية التي أنشأها السلطان الحفصي محمد المستنصر بن السلطان أبو يحيى زكريا . ويبدو أن هذه المدرسة كانت على درجة من الرونق والبهاء ، حيث أن العبدري الذي تحامل على أهل طرابلس ، ولم يثن على أي شيء بما قد امتدح مدرستها وجامعها حيث قال " لم أرى بها ما يروق العيون ، وسما عن أن يقوم بالدون سوى جامعها ومدرستها فإن لهما من حسن الصنعة نصيباً ومن الإتقان سهماً مصيباً " .

وإذا كان لم يتبق من هذه المدرسة شيء يمكن الاستدلال منه على طراز تخطيطها ومكوناتها المعمارية ، إلا أننا يمكن معرفة بعض من ذلك عن طريق مقارنتها بالمدرسة المنتصرية أو المستنصرية في مدينة تونس، والتي أقامها نفس السلطان وفي نفس الفترة .

أما عن إفريقية (تونس) فقد عرفت المدارس قبل ليبيا، حيث أنشأ السلطان الحفصي أبو يحيى زكريا بن حفص مدرسة الشماعين سنة 635هـ/1237م ، كما أنشأت الأميرة عطف أم السلطان محمد المستنصر مدرسة الهواء في منتصف القرن 7هـ/13م، كذلك أنشأ السلطان محمد المستنصر المدرسة المستنصرية ، وذلك في الفترة ما بين 647-675هـ/1247-1277م . ويظهر من تخطيط هذه المدرسة أنها كانت تتكون من ممر يؤدي إلى باب يدخل منه إلى صحن المدرسة الذي يوجد به حوض للوضوء، كما يلتف حول الصحن الوحدات المكونة للمدرسة ، وهي عبارة عن غرف الطلاب في أربعة أضلاع . وفي الضلع المقابل لباب الدخول توجد قاعة مخصصة للدرس، ومصلى . وفي أحد أركان المدرسة يوجد فناء آخر صغير تتجمع حوله الوحدات الخدمية للطلاب مثل دورات المياه والمطبخ (شكل 20) .



شكل (20) مسقط ألقى للمدرسة المستنصرية في تونس .

ولعله يتضح من هذا التخطيط الفارق بين تخطيط المدرسة في شرق العالم الإسلامي وغربه، حيث تقتصر المدرسة في غرب العالم الإسلامي على قاعة واحدة للدرس، وذلك نظراً لأن التدريس كان يقتصر على تدريس مذهب واحد، وهو المذهب المالكي.

وقد تبقت من نماذج عمارة المدرسة في المغرب الأوسط " الجزائر " مدرسة العباد بمدينة الجزائر والتي أقامها السلطان أبو الحسن المريني سنة 738هـ / 1337م. ويعتمد تخطيطها على عنصر الفناء الأوسط تحيط به بوائك من أربع جهات، وقد وضعت خلاوي الطلاب خلف كل من البائكتين الشرقية

والغربية في طابقين وعددها اثنتا عشرة خلوة في كل طابق، بينما يقابل بيت الصلاة المدخل وهو عبارة عن مساحة مربعة مغطاه بقبة.

أما عن المدرسة في المغرب الأقصى فقد ذكر بن مرزوق في مسنده أن المدارس لم تكن معروفة في الغرب حتى أنشأ أبو يعقوب يوسف المريني مدرسة الحلفائيين أو الصفارين في فاس ، وكان ذلك سنة 670هـ/1271م¹. إلا أن هناك رأي بأن بلاد المغرب الأقصى عرفت المدارس منذ عصر الموحدين، وذلك اعتماداً على نص تحبیس يشير إلى وقف على المدرسة التي بناها الخليفة عمر المرتضى في مراكش في القرن 6هـ/12م . وقد أورده محمد بن عيسى محمد القرطبي المتوفى سنة 620 هـ /1221م ونصه " الأمير المجاهد في سبيل الله أبي عبد الله سيدنا ومولانا المجاهد في سبيل الله أبي حفص بن سيدنا الإمام أمير المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين وأبقى بركاتهم على المدرسة الواقعة بقصر مراكش ". ولكن يبدو أن هذا الأمر يحتاج إلى إعادة نظر ، حيث أن الأمير عمر المرتضى لم يتولى خلافة الموحدين إلا بعد مقتل المعتضد بن المأمون، وكان ذلك سنة 646هـ/1247م، واستمر ذلك إلى سنة 665هـ/1266م . ويذكر ابن أبي زرع في أخبار يعقوب المنصور عبد المؤمن الموحي المتوفى سنة 595هـ/1199م أنه أنشأ المدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس ، وقد يكون ذلك صحيحاً لأن الموحدين كانوا أصحاب دعوة تعتمد بشكل أساسي على التقرب إلى الناس عن طريق النواحي الدينية ، كما اعتمدت الدولة الموحدية على فئة الطلاب في نشر دعوتهم الشيعية، وجعل عبد المؤمن التعليم إجبارياً، ولذلك ليس من المستبعد أن يكونوا قد انشأوا المدارس ، خاصة وأن الموحدين

(¹) عبد العزيز الدولاتي: المرجع السابق، ص 139.

قد أنشأوا العديد من المنشآت التي كانت تتسم بالفخامة مثل القصور والبيمارستان، الذي ذكر المراكشي في كتابه " المعجب " أنه ليس له مثيل في الدنيا . ومما يذكر في ذلك أيضا أن المهدي ابن تومارت كان قد تعلم في المدرسة النظامية في بغداد ، ولا بد أنه عندما عاد إلى بلاد المغرب قد انشأ مدارس مشابهة لنشر المذهب الأشعري ⁽¹⁾ . ومن أشهر المدارس في المغرب الأقصى المدرسة البوعنانية، التي انشأها الأمير أبو عنان فارس بن أبو الحسن الماريني في مدينة فاس، وذلك سنة 750هـ/1349م، كما أتم بناء المدرسة العنانية التي كان قد بدأ السلطان أبو الحسن الماريني بناؤها بمدينة فاس .

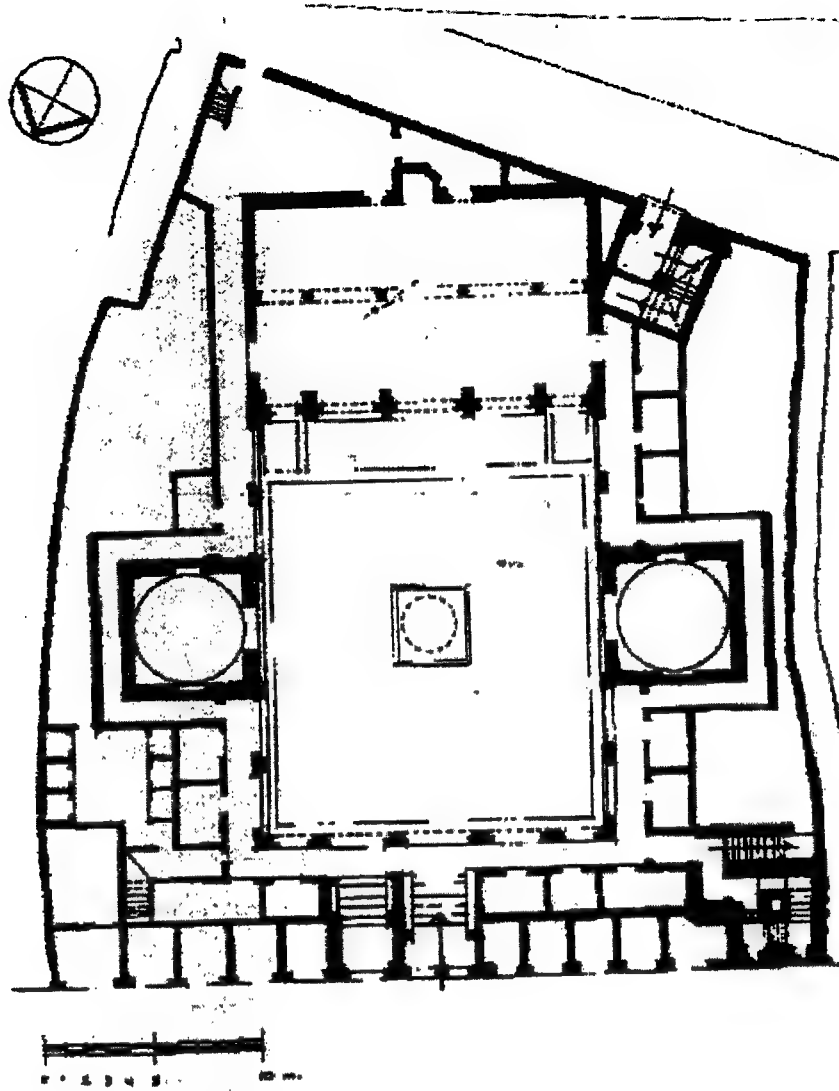
وتتكون المدرسة في المغرب الإسلامي بشكل عام من صحن أوسط مستطيل، وفي أحد الضلعين القصيرين منه توجد قاعة الدرس، بينما توجد في الضلعين الطولين خلوات الطلاب. ويشتمل الصحن في الغالب على حوض للوضوء. كما تميزت المدارس المغربية بتعدد الصحن لتوزيع خلاوي الطلاب حولها، ومن أمثلتها مدرسة أبو الحسن بمراكش. وقد ظهرت في بعض مدارس المغرب عنصر البلاط الأوسط الأكثر اتساعا عن بقية البلاطات. ومن أمثلة ذلك مدرسة أبي يوسف في مراكش، حيث ينقسم بيت الصلاة إلى ثلاث بلاطات متعامدة على جدار القبلة أكثرها اتساعا البلاط الأوسط.

ومما تمتاز به المدرسة البوعنانية أنها تشتمل على صومعة ومنبر ، كما تشتمل مدرسة الصفارين 675هـ/1276م على صومعة تقع فوق كتلة

(¹) بن عاشور، الفاضل : أثر الحفصيين في إنشاء المدارس في المغرب، الجزء الأول، تونس - فاس، 1945 .

المدخل مباشرة متأثرة في ذلك بالمدارس المشرقية⁽¹⁾ ، كما أن المدرسة البوعنانية هي الوحيدة التي اشتملت على قاعتين للدرس، واحدة للحديث الشريف، والأخرى للمذهب المالكي (شكل 21).

(1) محمد محمد الكحلوي (د) : المدارس المغربية . دراسة أثرية معمارية . مجلة العصور . المجلد السادس . الجزء الأول . 1991 م . ص ص 87 - 90 .



شكل (21) مسقط الخقي للمدرسة البوعنانية بمدينة فاس في المغرب .

وقد ظهر البلاط الأوسط الأكثر اتساعا في بعض مدارس المغرب ومن أمثلة ذلك مسجد مدرسة أبو الحسن في مراكش 747هـ/1346م. وفي مدرسة أبي

يوسف في مراكش حيث ينقسم بيت الصلاة إلى ثلاث بلاطات متعامدة على جدار القبلة أكثرها اتساعا البلاط الأوسط.

ومن مميزات المدارس المغربية بصفة عامة :-

— اشتمالها على مدخل واحد فيما عدا مدرسة الشراطين بمدينة فاس القديمة، التي أنشأها مولاي الرشيد، أول سلاطين الدولة العلوية، سنة 1081هـ/1669م ، وتشتمل على ثلاثة مداخل⁽¹⁾ .

— لم تشتمل المدارس المغربية على ضريح المنشيء أو حوش جنائزي للدفن على عكس ما كان عليه الحال في مدارس مصر وبلاد الشام ، وكذلك المدارس السلجوقية ، التي اشتملت في معظمها على قبة ضريحية⁽²⁾ .

— وجود صهريج أو حوض للمياه في وسط الصحن .

— تحتفظ بعض المدارس بساعات دقاقة ومن ذلك : الساعة التي توجد في المدرسة البعناية ، التي صنعها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني سنة 758هـ/1356م⁽³⁾ .

(1) محمد محمد الكحلوي (د) : : المدارس المغربية. ص 110 .

(2) محمد محمد الكحلوي (د) : نفس المرجع . ص 90 .

(3) عن طراز المدارس وتخطيطها في بلاد المغرب ، أنثر : محمد محمد الكحلوي ، عمارة المدرسة بين مصر والمغرب دليل على التواصل الحضاري، "كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب" القاهرة، 1999، ص ص 599-638.

طراز المدرسة في بلاد المغرب في العصر العثماني

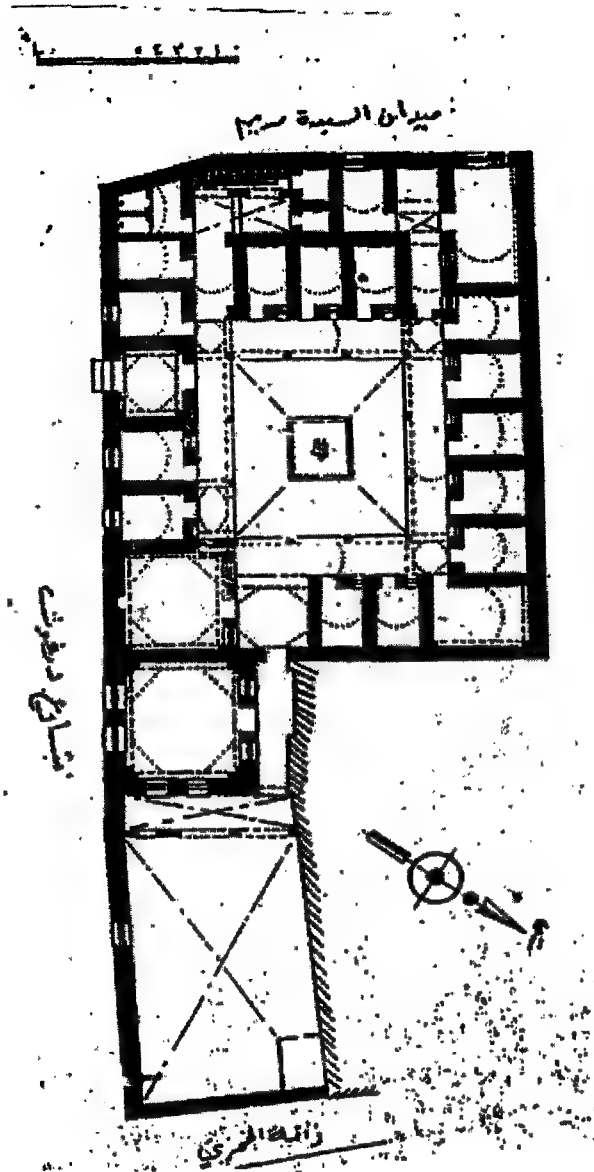
مدرسة عثمان باشا الساقزلي بمدينة طرابلس الغرب :

تعد من افخر المنشآت المعمارية بمدينة طرابلس الغرب . وقد أنشأها عثمان باشا الساقزلي والي طرابلس من قبل الدولة العثمانية سنة 1064هـ/1653م. وتقع في شارع دارغوت باشا ، كما تطل واجبتها الجنوبية الغربية على ميدان مريم .

الوصف المعماري :

يؤدي إلى مبنى المدرسة مدخل معقود بعقد نصف دائري في الواجهة الجنوبية الشرقية للمدرسة . ويعلو المدخل لوحة تأسيسية تشتمل على إسم المنشئ وتاريخ الإنشاء ، وهو غرة ذي القعدة سنة 1064هـ (1653م) . ويؤدي هذا المدخل إلى دركاه مربعة يكتنف كل جانب من جوانبها جلسة " مصطبة " ، وتغطيها قبة قطعها مدبب . وتفضي هذه الدركاه إلى وحدات المدرسة التي تتكون من صحن أوسط مكشوف يتوسطه حوض مياه ويحيط بالصحن رواق من أربعة جهات يتكون في كل جهة من بائكة من ثلاثة عقود محمولة على أعمدة ، معظمها ذات تيجان حفصية الطراز . ويدخل من هذا الرواق إلى خلوات الطلاب وهي أربع عشرة خلوة يغطي كل منها قبو طولي كما يوجد بيت الصلاة عند نهاية الرواق الجنوبي الشرقي ، وهو عبارة عن قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها خمسة أمتار ويغطيها قبة تتميز بظهور رقبتها التي تنقسم

إلى ستة عشر جزءاً كما يتميز ظاهر القبة بأنه مضلع من ستة عشر ضلعاً أيضاً ويعتبر هذا النموذج الأول للقباب المضلعة في عمائر مدينة طرابلس الغرب في العصر العثماني ، حيث أن الشائع إستخدام القباب التي لاتظهر رقاها من الخارج كما أن ظاهرها يكون أملساً . وتتشابه مع هذه القبة قبة الضريح الذي يجاور المسجد ، وهو عبارة عن قاعة مربعة يبلغ طول ضلعها ستة أمتار ولا تختلف قبتها عن قبة بيت الصلاة إلا في أنه قد وضع على قضبها عمامة شبيهة تماماً بالعمامة التي تعلق شواهد القبور، وذلك للدلالة على أن هذا الجزء ضريح (لوحة 16). كما يجاور الضريح حوش دفن مكشوف. ويدخل من الرواق الشمالي الشرقي ، وكذلك الرواق الجنوبي الغربي إلى ملحقات المدرسة، وتشمل دورات المياه والمطبخ وحواصل الخزن حاجيات الطلاب (شكل 22).



شكل (22) مسقط أفقي لمدرسة عثمان باشا الساقزلي بمدينة طرابلس الغرب .

ومن الملاحظ من خلال دراسة هذا النموذج أن هناك إختلاف في طراز تخطيط المدرسة في غرب العالم الإسلامي إبان العصر العثماني ، مختلفاً بذلك عما كان عليه طراز المدرسة من قبل. ومن هذه الإضافات إلحاق الأضرحة وأحواش الدفن ، وفي التغطية بالقباب. كما أن طراز تخطيط هذه المدرسة بشكل عام متأثر بتخطيط الطراز الثاني من المدارس السلجوقية ، ومن أمثلتها مدرسة "زينجرلي" في ديار بكر 592هـ/1198م، ومدرسة "هفت منار" بقبصرية 602هـ/1205م ، ومدرسة "هفت منار" بسيواس 614هـ/1217م . ومن أمثلته في المدارس العثمانية مدرسة " السلطان بايزيد الأول في الطابق الأعلى للجامع هدى فيندجار ببورصة 803هـ/1400م ، والمدرسة الخضراء ببورصة 825هـ/1412م⁽¹⁾ .

(1) أنظر : صلاح أحمد البهنسي (د) : طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني . دار الآفاق العربية . القاهرة . 2004 . ص 73.

الفصل السادس
التأثيرات في عمارة
بلاد المغرب

أولاً: التأثيرات الأندلسية :

التأثيرات الأندلسية في عمارة المغرب الأقصى :

كانت العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد الأندلس وثيقة في معظم فترات التاريخ، وبصفة خاصة في الفترة الأخيرة من حكم الدولة الأموية بالأندلس، وقد أدى ذلك إلى انتقال العديد من التأثيرات الأندلسية إلى عمارة بلاد المغرب، وأصبح هذا الأمر أكثر ظهوراً في فترة حكم ملوك الطوائف . ولم يقتصر انتقال التأثيرات على وجود علاقات بين بلاد المغرب والأندلس، بل امتد ذلك إلى ما بعد فترة سقوط المدن الأندلسية المختلفة في أيدي الأسبان، ومن ذلك على سبيل المثال أنه عندما سقطت غرناطة سنة 898هـ/1492م انتقلت مجموعة كبيرة من سكان غرناطة إلى بلاد المغرب، وانتقلت معهم بالتالي التأثيرات المعمارية والفنية. ويذكر الإدريسي أن علي بن تاشفين المرابطي أحضر من الأندلس مجموعة من المهندسين لبناء جسر على وادي "تانسيفت". كما تتجلى التأثيرات الأندلسية بوضوح في قبة البوروديين في مراكش .

وقد توثقت العلاقات بين بلاد المغرب والأندلس بشكل خاص في عصر الموحدين، ويظهر ذلك في جامع حسان بالرباط، وجامع الكتبية في مراكش، وجامع قصبة الرباط، ومن أشهر المهندسين أو العرفاء الذين استعان بهم ملوك الموحدين، وبصفة خاصة عبد المؤمن وإبنه أبي يعقوب يوسف، المهندس أحمد بن باسة الذي ينتسب إلى أسرة الباصة المستعربة بطليطلة، وكذلك العريف يعيش المالقي الذي ينتسب إلى مدينة مالقة. وقد اشترك هذان المهندسان في بناء جامع جبل الفتح، كما بنى الحاج "يعيش" المقصورة الشهيرة الملحققة بالمسجد الجامع في

مراكش، والذي استخدم فيها حيلًا ميكانيكية بديعة، وهي مقصورة مكونة من ستة أضلاع، كما أن المنبر تم صنعه في مدينة قرطبة بالأندلس، وذلك حسبما تنص الكتابة المسجلة عليه، والتي تتضمن اسم يوسف بن تاشفين، مما يدل على أن هذا المنبر صنع في الأساس للجامع المرابطي، ثم نقل إلى جامع الكتبية. وفي فترة حكم علي بن يوسف أضيف للجامع القرويين منبر من خشب الصندل والأبنوس والخور، ومطعمم بالعاج من عمل صناع من الأندلس.

وكان للظروف السياسية دورها في انتقال التأثيرات الأندلسية إلى بلاد المغرب، ويظهر ذلك بوضوح بعد انهزام الموحدين في موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م، حيث ترتب على ذلك هجرة أعداد كبيرة من أهل الأندلس إلى بلاد المغرب، كما انتقلت أعداد من الصناع من الأندلس إلى بلاد المغرب بعد موقعة سلاو سنة 741هـ/1340م، والتي هزم فيها المسلمون .

وتظهر التأثيرات الأندلسية في الأبراج المستديرة والصور الأمامي في قلعة "أمرجو" بالمغرب الأقصى، والتي ترجع إلى عصر المرابطين . واستخدام مادة الطابية التي تتكون من التراب والجير وفتات الحجر في البناء، وهي طريقة استخدمت في بلاد الأندلس وانتقلت إلى بلاد المغرب. ونجد أمثلة لها في العديد من المباني، ومنها أسوار مدينة مراكش، وأسوار مدينة رباط الفتح، وأسوار مدينة فاس .

وكما انتقلت التأثيرات الأندلسية إلى بلاد المغرب، فقد كان لمهندسي المغرب آثارهم في أعمال البناء في الأندلس، ومنهم المهندس علي الغماري، الذي تولى إعادة بناء صومعة جامع أشبيلية بعد وفاة المهندس أحمد بن باسة.

التأثيرات الأندلسية في الجزائر :

في عهد بني زيان انتقل كثير من مهندسي الأندلس إلى تلمسان، وذلك في النصف الأول من القرن 7هـ/13م حتى منتصف القرن 8هـ/14م، كما حضر عدد كبير من مهندسي غرناطة في هذه الفترة إلى تلمسان، وتظهر التأثيرات الأندلسية في المسجد الجامع بتلمسان، وذلك من حيث السقف المسطح، الذي يعلوه سقف جمولني، وزخارف السقف الخشبي المكونة من عناصر نباتية متأثرة بالزخارف النباتية في سقف مسجد الدباغين " كنيسة سانتا ماريا لابلانكا حالياً " بطليطلة. كما أن القبة التي تعلو المحراب والمكونة من أضلاع متقاطعة تعد تقليداً لقباب جامع قرطبة، حيث ينتج عن تقاطع ضلوع القبة قبية صغيرة من المقرنصات، تعد أقدم مثال لقباب المقرنصات في بلاد المغرب. كما يظهر التأثير بالفن الأندلسي في كثافة الزخارف الجصية المتنوعة. وتم بناء مجموعة من القصور في عهد "بني حمود"، وكذلك في عهد خليفته أبي تاشفين، ومن المباني التي يظهر فيها التأثير الأندلسي واضحاً مجموعة من الدور، منها دار السرور، ودار الملك، كما يظهر هذا التأثير في المساجد التي أقيمت في عصر بني زيان، ومنها مسجد "بلحسن" الذي جاء مشابهاً إلى حد كبير لمسجد الحمراء في الأندلس، كما يظهر التأثير الأندلسي واضحاً في واجهة مسجد العباد الذي يرجع للعصر الماريني، كما يظهر التشابه الواضح بين صومعة جامع المنصورة، وجامع أشبيلية سواء كان ذلك من حيث طراز البناء، أو الزخارف التي تكسو جدرانها .

التأثيرات الأندلسية في تونس :

بعد أن استولى خيمي ملك أرغون على بلنسيا انتقل كثير من أهل الأندلس إلى تونس، وبصفة خاصة في عهد السلطان أبي زكريا الحفصي، ويظهر

التأثير الأندلسي في بناء قصر رأس الطائفة، الذي أقيم في عهد السلطان الحفصي المستنصر، وكذلك في الزخارف التي تزين باب لالة ريحانة في جامع القيروان، ومسجد باب الدرب بالمنستير، الذي يرجع أيضاً إلى العصر الحفصي .

التأثيرات الأندلسية في ليبيا :

في سنة 966هـ/1559م قام درغوث حاكم طرابلس بغارة على اسبانيا وتمكن من حمل 2500 مورييسكي من أهل الأندلس إلى طرابلس ، كما كان لخنجرة أعداد كبيرة من أهل الأندلس بعدما أجلاهم الملك فيليب عنها سنة 1018هـ/1609م أثره على كثير من مظاهر الحياة ومنها العمارة والفنون في مختلف بلاد المغرب . ويمكن أن نلاحظ التأثير الأندلسي في العمارة الليبية في تغطية بعض العماثر بالأسقف الجمالونية ، ومنها بعض ملحقات مجمع أحمد باشا القره مانلي في طرابلس . كما يظهر التأثير الأندلسي في إستخدام العقود على شكل حدوة فرس والذي إنتقل من بلاد الأندلس إلى مختلف بلاد المغرب ومنها ليبيا⁽¹⁾.

(1) محمد محمود الجهني : مساجد درنة الأثرية وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا ، ضمن كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الأثاريين العرب . القاهرة 1999. ص 656

ثانياً: التأثير العثماني في عمارة بلاد المغرب :

فيما يتعلق بالتأثير العثماني في العمارة الليبية، فقد ذكر ميسانا أن ليبيا في القرن 10هـ/16م لم تكن تثير اهتمام أهل الفن، بل كانت تستقطب الساسة والعسكريين، وأن سكان ليبيا اعتمدوا في مجالات العمارة والفنون على أنفسهم، وعلى بعض العمال من الأسرى المسيحيين، وبعض المهارات من بلاد المغرب، كما يعتبر أن عدم وجود حنايا ركنية أو مثلثات كروية مزدانة بمقرنصات دليل على أن الصناع الأتراك لم يعملوا في ليبيا . بينما يرى البلوش أن تأثيراً عثمانياً قد ساد معظم بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط، ومنها ليبيا في مجالات الثقافة والفنون والعمارة ، إلا أن المحمودي يذكر أنه بينما كان التأثير العثماني واضحاً في كل من مصر والجزائر وتونس كان غائباً عن ليبيا، ثم يذكر في موضع آخر أن التأثير العثماني يمكن أن يرى في كل مكان، وذلك لظهور العناصر المغربية والعثمانية معاً في الأثر الواحد مثل جامع أحمد باشا القره مانلي .

ولم يقتصر الأمر على ليبيا، فقد اختلفت آراء الباحثين في مجال الفنون والآثار الإسلامية حول مدى التأثير العثماني في عمارة وفنون شمال إفريقيا، فبينما يذكر سليمان مصطفى زبيس في كتابه " آثار المغرب العربي " أنه لا يجوز القول بأن هناك فن تركي في تونس، بل ظهر في العصر التركي فن يمتاز بمسحة أندلسية تأثرت بالفن المحلي بتونس، والفن المرابطي في الجزائر. كما حصر مظاهر هذا التأثير في عدة عناصر مثل المنارات المثلثة، بعدما كان الطراز السائد في تونس هو طراز الصوامع المربعة ، وإلحاق ضريح للمنشئ في صحن الجامع، وإحاطة بيت الصلاة بصحن من ثلاث جهات، بينما لم يكن يتجاوز الصحن الناحية الجوفية، وفي إستعمال المنابر الرخامية بعد أن كانت من الخشب، سواء كان ذلك في

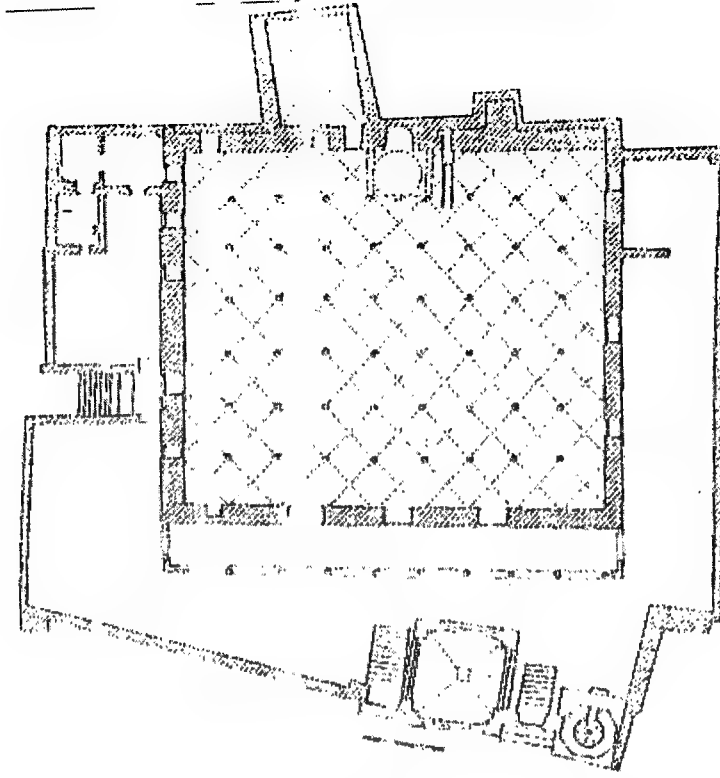
المساجد التي استحدثت في هذه الفترة، أو ما كان منها قائماً من قبل. فقد أضاف الأتراك منبراً رخامياً إلى مسجد الموحدين الحفصي ويرجع إلى الفترة من سنة 629-633هـ./1231-1235م. كما أن المساجد التي أنشئت في تونس في الفترة العثمانية تتميز بمنابرها الرخامية ومن ذلك منبر الجامع الجديد بمدينة تونس (لوحة 17) .

والتابع لتطور طرز العمارة في بلاد شمال إفريقيا، وخاصة في كل من ليبيا وتونس والجزائر، التي خضعت للحكم العثماني يلاحظ أن هناك عدة مظاهر للتأثير في عمارتها ظهرت مرتبطة بفترة الوجود العثماني في كل منها، ويمكن أن نجمل ذلك في :

— المجمعات المعمارية " الكليات " :

تشتمل هذه المجمعات على أكثر من وحدة معمارية مختلفة الغرض، ومن أمثلتها في العمارة الليبية جامع مراد أغا في تاجوراء، الذي يرجع إلى سنة 960هـ/1553م، إذ كان يضم إلى جانب المسجد مدرسة في الجانب الشمالي الشرقي، كما يضم ضريحاً في الجهة الشمالية الغربية من الصحن، ويضم جامع درغوت باشا في مدينة طرابلس، الذي يرجع إلى سنة 973هـ/1565م مدفناً يشتمل على مجموعة من التراكيب الرخامية والحجرية، وثلاثة أضرحة منها الضريح الخاص بالمنشئ، وضريح خاص بمحمد باشا الساقزي، وضريح لمجموعة من كبار موظفي إيالة طرابلس الغرب، وحجرة الشعرة النبوية الشريفة، وحجرة ضبط المواقيت، وحمام في الجهة الجنوبية الشرقية من المنشأة. ويشتمل مجمع أحمد باشا القره مانلي، الذي يرجع إلى سنة 1150هـ/1738م إلى جانب الجامع على مدرسة من طابقين في الركن ما بين الضلع الشمالي الغربي والجنوبي الغربي

للمجمع، بالإضافة إلى ضريح المنشئ، ومدفن يضم مجموعة من التراكيب
الرخامية، كما تشتمل الجدران الخارجية للمجمع على مجموعة من الحوائط
موقوفة عليه. ويشتمل مجمع مصطفى قورجي، الذي يرجع إلى سنة
1250هـ/1834م في مدينة طرابلس على مدرسة من طابق واحد، وضريح
للمنشئ. ويضم مجمع ميزران بمدينة طرابلس جامعاً ومدرسة، بالإضافة إلى
ضريح المنشئ، ومقبرة للدفن تضم مجموعة من التراكيب والشواهد.
ومن أمثلة المجمعات المعمارية في تونس جامع يوسف داي، ويرجع إلى
سنة 1025هـ/1616م، إذ أنه يشتمل على جامع ومدرسة
وضريح (شكل 23)،



شكل (23) مسقط افقي لجامع يوسف داي بمدينة تونس .

كما يشتمل جامع باجة، الذي يرجع إلى سنة 1076-1086هـ /
 1666-1675م على مسجد ومدرسة وحمام وحوانيت، كذلك يضم
 الجامع الجديد في مدينة تونس، الذي يرجع إلى سنة 1129هـ / 1716م
 مدرسة وضريحاً وسبيلاً.

— الشرفة الداخلية " المحفل " :

تحيط هذه الشرفة بالجزء العلوي من بيت الصلاة من ثلاث جهات فيما عدا جهة القبلة، مكوناً طابقاً ثانياً، ومن أمثلتها في طرابلس الشرفة في جامع محمد باشا شائب العين، وجامع أحمد باشا القره مانلي، وجامع مصطفى قورجي. ونجد أمثلة لها في العمارة التونسية، ومنها الشرفة في جامع حمودة باشا بتونس، الذي يرجع إلى سنة 1066هـ/1655م (لوحة 18)، وجامع محمد باي المرادي المعروف بجامع سيدي محرز، الذي يرجع إلى سنة 1104-1108هـ/1692-1696م، والجامع الجديد. ونجد أمثلة لهذه الشرفة في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر العثماني، ومنها جامع علي بشنين، الذي يرجع إلى سنة 1031هـ/1621م، وشرفة جامع بشير، التي ترجع إلى سنة 1071هـ/1669م، وشرفة جامع محمد باشا المعروف بجامع السيدة، والتي ترجع إلى سنة 1179-1206هـ/1765-1791م، وشرفة جامع حسن باي المعروف بجامع سفير، والتي ترجع إلى سنة 1242هـ/1836م.

— التغطية بقبة كبيرة تحيط بها قباب أصغر أو أنصاف قباب :

لم تستخدم هذه الطريقة بشكل واضح في العمارة العثمانية في ليبيا خلال العصر العثماني الأول، وكذلك العصر القره مانلي. غير أنه ظهرت أمثلة لها في العصر العثماني الثاني، ومن أمثلة ذلك جامع رشيد " عثمان بوقلاز " بينغازي، وتغطيه قبة مركزية كبيرة، تحيط بها ثمانية قباب أصغر منها، أربع منها نصف كروية تشغل الأركان الأربعة للجامع، وأربع قباب يضاوية على جوانب القبة المركزية. ونجد نفس الطراز من التغطية في الجامع العتيق بينغازي،

الذي يرجع إلى سنة 1311-1322هـ/1893-1904م، غير أن القباب
الشماني المحيطة بالقبّة المركزية جميعها يضاوية الشكل، كذلك فإن جامع
ميزران بطرابلس مغطى بقبة مركزية كبيرة تحيط بها قباب نصف كروية
صغيرة.

وإن كان نظام التغطية بقبة مركزية تحيط بها قباب أصغر لم يكن شائعاً
في العمارة الليبية في العصر العثماني، حيث كان الغالب التغطية بقباب متساوية
متعددة. وذلك بتقسيم مساحة بيت الصلاة إلى مساحات مربعة عن طريق
بوائك عقود التي تمتد موازية ومتعامدة على جدار القبلة، يغطي كل منها قبة.
لكن هذه الطريقة ظهرت في عمارة تونس والجزائر في العصر العثماني، ومن
أمثلتها في تونس جامع يوسف داي، وجامع مدينة باجة، وجامع الغرباء بحومة
نسور، ونجزة جربة، الذي يرجع إلى سنة 1086هـ/1675م، وجامع سيدي
محرز. ومن أمثلتها في الجزائر جامع علي بشنين بمدينة الجزائر، حيث تغطيه قبة
كبيرة. تركز على دعائم ضخمة، ويحيط بها عشرين قبة صغيرة. وجامع
الحواتين: الذي أنشئ في سنة 1070هـ/1666م، حيث تغطيه قبة ضخمة،
ترتكز على أربع دعائم ضخمة، ويحيط بها قباب أصغر.

— الصوامع المثلثة البدن التي تنتهي بقمة مدببة :

ظهر هذا الطراز من الصوامع في عمارة شمال إفريقيا مواكبا للوجود
العثماني بها. ونجد أمثلة له في كل من جامع محمد باشا شائب العين، وجامع
أحمد باشا القره مانلي، وجامع مصطفى قورجي، وجامع ميزران بمدينة
طرابلس، وصومعة الجامع العتيق بمدينة درنة ق 12هـ/18م، وصومعة
جامع الباشا بمدينة الخمس 1325هـ/1907م. وتتميز هذه الصوامع بأنه

يمتد بطول كل ضلع من أضلاع البدن شكل معقود بعقد على شكل حدود
الفرس. كما يتخلل البدن شرفة واحدة، فيما عدا صومعة جامع مصطفى
قورجي، التي يتخلل بدنها شرفتان.

ومن أمثلة الصوامع المثمنة البدن في تونس صومعة جامع يوسف
داي (لوحة 19)، والجامع الكبير في بترت 1060هـ/ 1650م، وجامع
حمودة باشا، وجامع سليمان حمزة بمدينة المهدية ق 11هـ/ 17م، وصومعة
زاوية سيدي مخلوف بمدينة الكاف ق 11هـ/ 17م، وصومعة جامع
الصباغين بمدينة تونس، التي ترجع إلى سنة 1136-1140هـ/ 1723-
1727م، وصومعة جامع الحلفائيين "صاحب الطابع"، التي ترجع إلى سنة
1223-1230هـ/ 1808-1814م. وتتميز هذه الصوامع بأنه يمتد بطول
بدنها شكل معقود كما أن الشرفات محمولة على كواييل ومغطاه. كما
استخدمت الصوامع الإسطوانية على نطاق ضيق في كل من تونس والجزائر،
ومن أمثلتها جامع الترك بجزيرة جربة، ومن أمثلتها في الجزائر صومعة سيدي
الخضر بقسنطينة 1156هـ/ 1743م، وصومعة جامع الباشا في وهران
1207هـ/ 1792م. إلا أنها كانت أكثر ظهوراً في مساجد مدينة طرابلس
الغرب في العصر العثماني الأول، ونجد أمثلة لها في كل من جامع دارغوت
باشا (أنشأها إسكندر باشا سنة 1013هـ/ 1604م) وجامع سيدي سالم
المشاط (1083هـ/ 1672م)، وجامع محمود خازندار
(1091هـ/ 1680م) (لوحة 20).

— التغطية بالبلاطات الخزفية :

استخدمت البلاطات الخزفية في تكسية العماير الإسلامية منذ النصف الأول من القرن 3هـ/9م، وتنفرد منطقة الشمال الإفريقي بوجود عماير مغطاة ببلاطات ترجع إلى فترات مبكرة، مثل البلاطات التي تغطي جانبي محراب جامع عقبة بن نافع بالقيروان 248هـ/862م، وصومعة قلعة بني حماد بالجزائر 398هـ/1007م.

وعلى الرغم من قدم استعمال البلاطات في الشمال الإفريقي، إلا أن استخدام البلاطات في تكسية جدران العماير الليبية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوجود العثماني في ليبيا . وقد مر ذلك بثلاث مراحل اقتصرت في الأولى على تكسية بواطن المحاريب، وفي الثانية على تكسية أجزاء من الجدران، أما المرحلة الثالثة فقد أصبحت التكسية تشمل الجدران بكاملها خارج وداخل بيت الصلاة حتى ارتفاع بداية أرجل العقود، ومن أمثلتها التكسية الخزفية في جامع أحمد باشا القره مانلي، وجامع مصطفى قورجي، وجامع ميزران . ومن أبرز أمثلتها في العمارة التونسية في العصر العثماني تكسية جدران بيت الصلاة في الجامع الجديد بمدينة تونس .

ومن الملاحظ أن عمارة شمال إفريقيا وإن كانت قد تأثرت بالتأثيرات العثمانية، إلا أنها احتفظت في نفس الوقت بكثير من العناصر المميزة لها، ومن أهمها طراز الصوامع المربعة .

دراسة لنموذج من العمائر المقامة من العصر العثماني في شمال أفريقيا

جامع أحمد باشا القره مانلى بطرابلس الغرب :-

يقع وسط مجموعة من أسواق مدينة طرابلس القديمة، في الجهة الجنوبية الغربية من قلعة طرابلس " السراى الحمراء "، وتطل واجهة الجامع الشمالية الشرقية على سوق المشير، وتطل الواجهة الشمالية الغربية على سوق الرباع، وفي الجهة الجنوبية الشرقية يوجد سوق العطار، وفي الناحية الجنوبية الغربية سوق النساء . ويقال أن المكان الذى يشغله جامع أحمد باشا كان يضم من قبل مساكن جنود الإنكشارية من الترك ومكان إجتماعهم، كما كان يوجد بنفس المكان مسجد يعرف بمسجد الديوان ⁽¹⁾ .

شيد الجامع أحمد باشا القره مانلى، الذى استطاع الإستقلال بحكم طرابلس إستقلالاً اسماً عن الدولة العثمانية، وأسس الدولة القره مانلية، التي استمرت تحكم طرابلس من سنة 1123هـ/1711م حتى سنة 1250هـ/1835م. وتشير اللوحات التأسيسية والكتابات التي تتوزع في أجزاء كثيرة من الجامع، ومن أهمها اللوحة التي تعلو المدخل الرئيسي في الجدار الشمالي الشرقي والمكتوبة بخط الثلث المغربي، وهي تلك اللوحة التي على المدخل

(1) ميكاكى ، رودلفو : طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القره مانلى، تحقيق كمال الخربوطلى، مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى، القاهرة، 1961م، ص 79 .

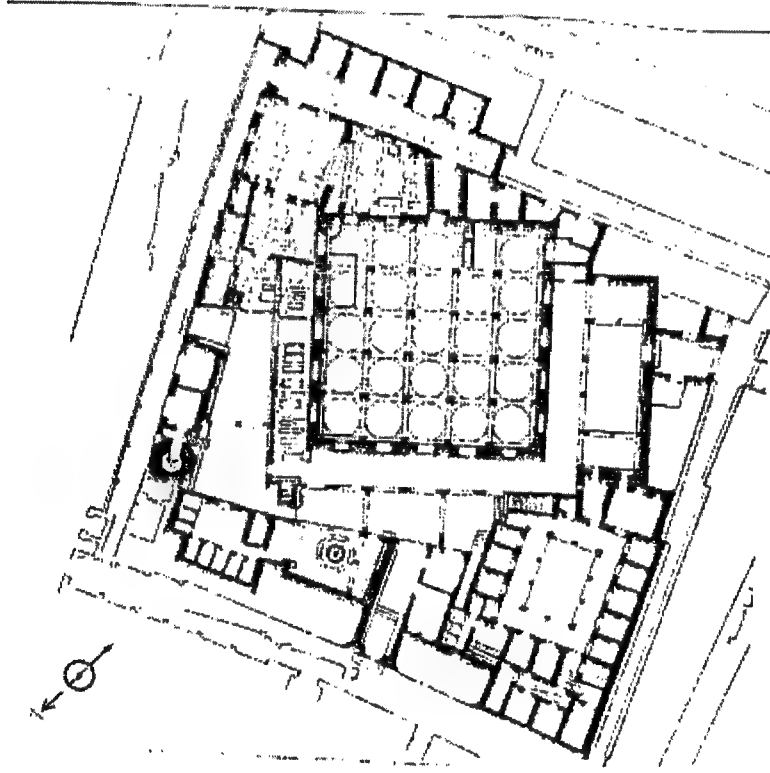
في الناحية المطلّة على سوق المشير أن الجامع أنشئ سنة 1146هـ/1736-1737م .

الوصف المعماري للجامع :

يعد الجامع من أهم مساجد مدينة طرابلس، ومن أكبرها مساحة، إذ يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها 53×49م . كما أنه يعد من أحسن نماذج المجمعات المعمارية في العمارة الليبية، إذ أنه يضم إلى جانب بيت الصلاة مدرسة في طابقين، وضريح المنشئ، ومدفن لأفراد أسرته، وسبيل. كذلك فإن الجامع من أغنى مساجد طرابلس زخرفة، حيث تزخرف جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج حتى إرتفاع مآخذ العقود بلاطات خزفية متنوعة في زخارفها ومصادرهما، إذ أن بعضها مجلوب من " تكفور سراي " في تركيا، والبعض من تونس، والبعض أوربي الصنع . ويعلو التكسية الخزفية زخارف جصية دقيقة من زخارف نباتية وهندسية وكتابات منفذة بطريقة " نقش حديدة " الشائعة في إعداد الزخارف الجصية في عمائر مناطق شمال أفريقيا، وتمتد هذه الزخارف وتغطي الأجزاء العليا من جدران بيت الصلاة ومناطق إنتقال القباب وبواباتها . ونظراً لهذا الثراء المعماري والزخرفي الذي يتمتع به الجامع ، فقد نال إعجاب كل من شاهده من الرحالة، فقد أثنت عليه "توللي"، التي عاشت عشرة أعوام في طرابلس. أما الرحالة أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، الذي زار طرابلس سنة 1210هـ/1796م، أي بعد بناء الجامع بما يزيد عن نصف قرن من الزمان، فقد ذكر أن الجامع " غاية لم ير مثله " ⁽¹⁾ .

(¹) على فهمي خشم (د) : الحاجة من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، ط1، طرابلس، 1974م، ص145 .

ويشغل بيت الصلاة مساحة مربعة طول ضلعها 23م، تنقسم بواسطة أربع بوائك من العقود موازية لجدار القبلة، وأربع بوائك عمودية على جدار القبلة إلى خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة، وخمس بلاطات متعامدة عليه، ينتج عن تقاطعها وجود خمس وعشرين مربعة، يغطي كل منها قبة نصف كروية (شكل 24).



شكل (24) مسقط أفقي لجامع أحمد باشا القره مانلي بمدينة طرابلس الغرب .

وترتكز القباب على مناطق انتقال مثمثة بواسطة مثلثات كروية مقلوبة، فيما عدا القبة التي تغطي مربعة المحراب، فإنها ترتكز على حنايا ركنية. وتتميز

قبة المحراب والقبة التي تقابلها بأثما أكثر إرتفاعاً عن بقية القباب، كما إنهما مضلعتان من الخارج بضلوع بارزة شبيهة بتضليعات القباب في مدرسة عثمان باشا الساقزلى بطرابلس، والتي ترجع إلى سنة 1064هـ/1653م .

ويشتمل الجامع على محراب مجوف، يكسو الجزء الأسفل منه بلاطات خزفية، أما الجزء الأعلى فإنه مغطى بزخارف جصية دقيقة عبارة عن أشكال نجمية متداخلة تشتمل على زخارف دقيقة، ويفصل بين الجزئين شريط كتابي يتضمن الآية الكريمة "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قنتين" . أما المنبر فإنه من الرخام الملون الملبس بقطع من المرمر تكون زخارف نباتية منفذة حسب طراز الرومى المتبع في زخرفة المنتجات الفنية العثمانية، وتمتد هذه الزخارف على ريشتي المنبر، ويغطي الجوسق قبة معدنية، مقامة على أربعة أعمدة، وهو بذلك يخالف لما هو متبع في تغطية جواسق المنابر في العصر العثماني، حيث أنها تتخذ الشكل المخروطي المدبب الذي يماثل نهايات قمم الصوامع العثمانية .

ويحيط بالجزء العلوى من بيت الصلاة فوق تيجان الأعمدة من ثلاث جهات فيما عدا جدار القبلة شرفة خشبية، يحدها سياج من برامق من الخشب الخرط . وهذا التقليد في عمل الشرفة الداخلية "المحفل" وجد في العديد من المساجد الجامعة في بلدان المغرب إبان العصر العثماني، متأثرة في ذلك بالعمارة العثمانية. كما أنها من العناصر التي أنشئت عند بناء الجامع، وليست مضافة في تاريخ لاحق، حيث أنها تشتمل على كتابة تشير إلى صانعها، وهو الحاج محمد

بن على الشريف المرادي، وتاريخ عملها في ربيع الثاني سنة 1150هـ / إبريل
1738م⁽¹⁾ .

(¹) El- Mahmoudy. A : Post Fifteenth Century A.D Architecture in
Libya. M.A Thesies. Victoria univ. Canada-1985. p. 87 .

الصومعة :

تقع في الجدار الشمالي الشرقي على يمين المدخل الرئيسي، وتتكون من قاعدة مربعة يقوم عليها بدن مثنى، يزخرف كل ضلع من أضلاعه أشكال مستطيلات معقودة تمتد بطول البدن، يعلو هذا الطابق شرفة مثنى، تستند على كوابيل حجرية، وينتهي بدن الصومعة بقمة مخروطية مدببة من الخشب، ويوجد على الصومعة كتابة تتضمن تاريخ بنائها في سنة 1150هـ/1738م . وهذه الصومعة وإن كانت مشابهة لصومعة جامع شائب العين، التي ترجع إلى نهاية العصر العثماني الأول، وذلك من حيث الشكل المثنى للبدن، وزخرفة البدن بأشكال معقودة، إلا أن هذه الصومعة تختلف عنها في أن الشرفة تستند على كوابيل.

وفي الجهة الجنوبية الغربية من بيت الصلاة وخلف جدار القبلة توجد حجرتان ، يغطي إحدهما قبة نصف كروية، وهى خاصة بضريح المنشىء، يتصل بها حجرة أخرى مغطاة بقبو متقاطع، مدفون فيها بعض أفراد الأسرة القره مانلية. ويغطي جدران هاتين الحجرتين بلاطات خزفية، وزخارف جصية شبيهة بزخارف بيت الصلاة، ومنفذة بنفس الأسلوب المتبع في إعداد الزخارف الجصية " نقش حديدة " .

ويلحق بالجامع مدرسة في طابقين تعد أقدم مثال باق للمدارس الملحقة بالمساجد في العمارة الليبية . وتحتل المدرسة الركن المحصور بين الضلع الشمالي الغربي، والضلع الجنوبي الغربي من الصحن. وتشبه هذه المدرسة في تخطيطها مدرسة عثمان باشا السافزلى ، إلا أنها تختلف عنها في أنها من طابقين ⁽¹⁾ .

(1) عن جامع أحمد باشا، أنظر أيضاً :

- ميساننا ، غاسرى : المعمار الإسلامى فى ليبيا، ترجمة على الصادق حسنين، طرابلس،

1973م، ص ص 183-194 .

- Warfilli, M.S ; The old city of Tripoli (AARP). Tripoli. 1976
PP. 11-12 .

- مسعود رمضان شقلوف ، وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، ج1، منشورات

مصلحة الآثار الليبية، طرابلس، د.ت، ص ص 98-107 .

الفصل السابع
عناية بلاد الأندلس
في عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف

الجامع الكبير بقرطبة

تم تشييد مسجد قرطبة الجامع سنة 169هـ/785م في مكان كنيسة كان المسلمون قد اشتروا في البداية نصفها، ثم اشتروا نصفها الآخر على أن يبني المسيحيون كنيسة أخرى خارج مدينة قرطبة¹. وهناك من يعتقد أن قصة شراء الكنيسة غير واقعية؛ حيث أنها تكررت عند الحديث عن كثير من المساجد، ومنها الجامع الأموي في دمشق.

تم تشييد المسجد في عهد عبد الرحمن الداخل الذي بنى بالمدينة قصر "الرصافة". وقد أشرف على تشييد المسجد "حنش بن عبد الله الصنعاني" و "أبو عبد الرحمن الجبلي". ويطلق على جامع قرطبة الجامع الأعظم والمبارك والمكرم. مر المسجد الجامع بقرطبة بمراحل من التطور والإضافة استمرت حتى القرن 5هـ/11م، ولكن كل هذه الأعمال سارت على وتيرة واحدة، لذلك احتفظ الجامع بطرازه المتميز (لوحة 21).

عمارة المسجد في عهد عبد الرحمن الداخل "الأول" :

بني جامع قرطبة في البداية على غرار الجامع الأموي في دمشق. وكان يتكون من مساحة مستطيلة أبعادها 65×75م، يشغل بيت الصلاة مساحة مستطيلة أبعادها 65 × 37م، يتقدمه صحن مكشوف تفوق مساحته مساحة بيت الصلاة . وبناءً على نتائج أعمال الحفر الأثري، فقد ذكر "جوميث

(¹) شاك، فون: الفن العربي في أسبانيا وصقلية، ترجمة الدكتور / أحمد مكي. دار المعارف 1985. ص 22.

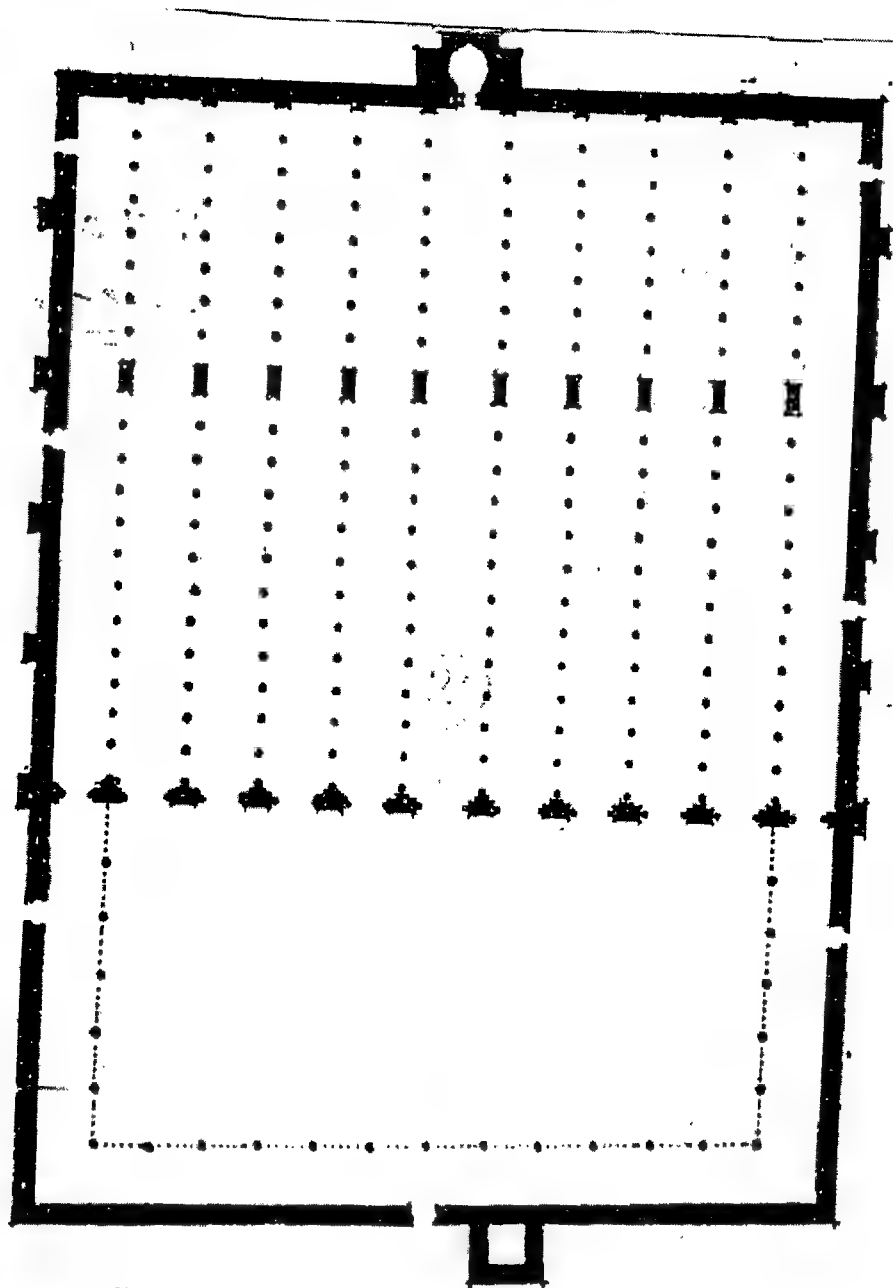
مورينو" أن المسجد عند إنشاؤه كان يتكون من إحدى عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، أكبرها اتساعاً البلاط الأوسط " المجاز القاطع " ¹. بينما تشير المصادر التاريخية إلى أن بيت الصلاة كان مكوناً من تسع بلاطات فقط. ولم يكن يحيط به أية مجنبات، كما لم تكن له صومعة، حتى أضاف هشام بن عبد الرحمن الصومعة سنة 177هـ/793م، كما أضاف حوضاً للوضوء. والعقود المزدوجة في مستويين السفلي منها على شكل حدوة فرس، والعلوي أقل من نصف دائرة. وترتكز العقود على دعائم.

زيادة عبد الرحمن الثاني " رابع أمراء بني أمية في الأندلس " :-

— في سنة 218هـ/833م، وكما ذكر ابن عذاري في الجزء الثاني من كتابه البيان المغرب، فقد أضاف عبد الرحمن زيادة في رواق القبلة .

— في سنة 234هـ/848م زاد عمق رواق القبلة، وذلك بعمد بئكات العقود بواقع ثمانية عقود، وقد ترتب على ذلك نقل جدار القبلة، وعمل محراب جديد. وبذلك أصبح عدد العقود في كل بئكة عشرون عقداً (شكل 25).

(¹) عن جامع قرطبة ، أنظر : مورينو ، مانويل جوميث : الفن الإسلامي في اسبانيا . ترجمة لطفي عبد البديع (د) ، السيد محمود عبد العزيز سالم (د) . مراجعة جمال محمد محرز . الدار المصرية للتأليف والترجمة . د.ت. ص ص 16 - 64.



شكل (25) مسقط أفقي جامع قرطبة في عهد عبد الرحمن الثاني .

— وهناك رأي بأن العقود المزدوجة ظهرت أثناء هذه الزيادة حتى يتناسب ارتفاع السقف مع اتساع مساحة بيت الصلاة. ويعتقد البعض أن العقود المزدوجة في جامع قرطبة مقتبسة من نظام قناطر المياه الرومانية ذات الطابقين، مثل سقايات مدينة مريدا في أسبانيا، ولكن نظام المعالجة مختلف، مما يدل على أن هذا الشكل ابتكار إسلامي ظهرت بوارده الأولى في الجامع الأموي في دمشق، ولكنه اكتمل في جامع قرطبة .

أعمال محمد بن عبد الرحمن :

— في سنة 241هـ/855م قام بزخرفة الجامع وعمل مقصورة إلى يمين المحراب تعد أول مقصورة في مساجد الأندلس، كما أقام قنطرة فوق الشارع المؤدي إلى المسجد، حتى ينتقل من القصر إلى المسجد دون أن يمر في الشارع .

أعمال عبد الرحمن الناصر " الثالث " :

— في سنة 340هـ/951م أنشأ صومعة في شمال الصحن، مكونة من بدن مربع على هيئة برج، وبها شرفتين للآذان. وهي تمثل برج الأجراس الموجود حالياً (لوحة 22) . وتشتمل الصومعة على سلمين لا يرى الراقبي على أحدهما الآخر، كما استعملت فيها رمانات من الذهب والفضة .

— أقام إلى جانب المنارة حجرة للمؤذنين ⁽¹⁾.

— لم تكن هناك ظلات تحيط بالصحن، ولكن في سنة 951/346م أضيفت الظلات الجانبية. ويبلغ عمق كل منها ستة أمتار، ويغطيها سقف مسطح .

(¹) شاك، فون: المرجع السابق، ص 24.

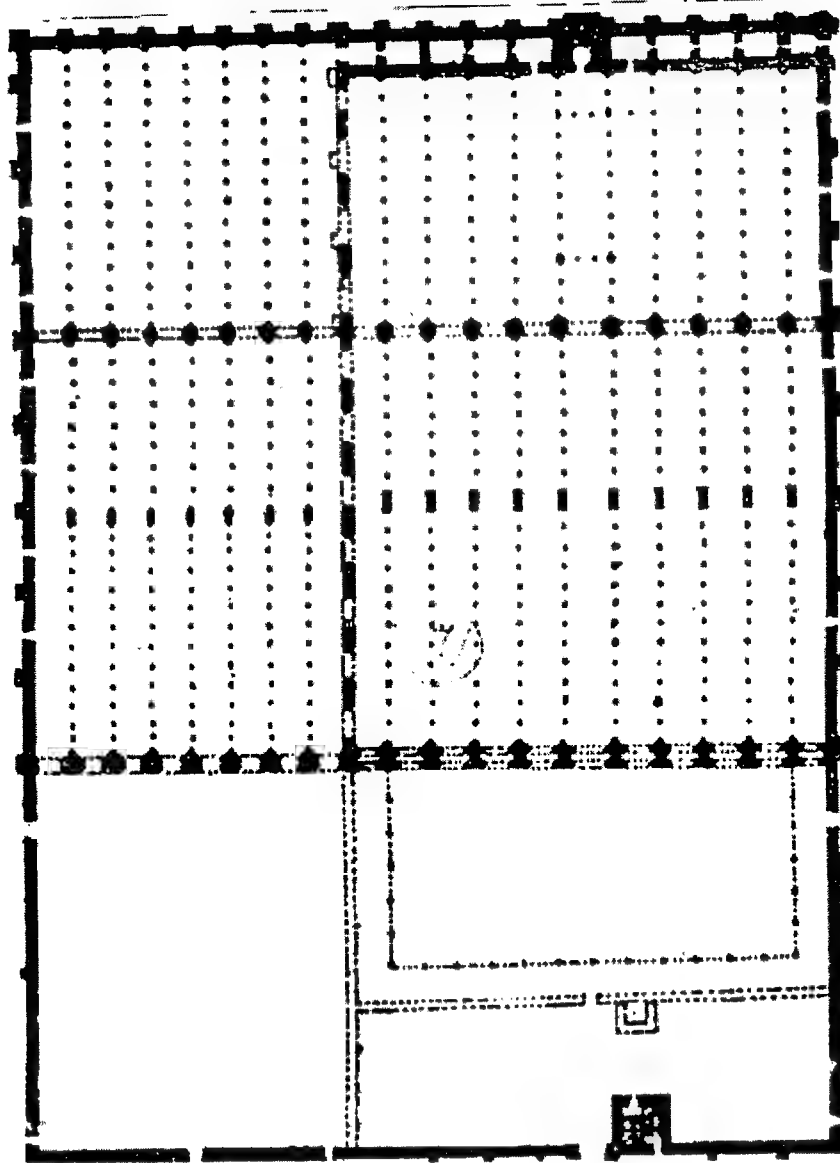
— تمت سنة 351هـ/961م زيادة في عمق ظلة القبلة تبلغ 35م، وذلك بمد بوائك العقود المتعامدة على جدار القبلة بواقع اثني عشر عقداً. فأصبح عدد عقود كل بائكة اثني وثلاثين عقداً. وقد أشرف ابنه الحكم — المستنصر — على هذه الزيادة.

— ترتب على زيادة عمق رواق القبلة هدم جدار القبلة، وإقامة جدار قبلة جديد، أضيف فيه محراب يعد من أجمل المحاريب في تاريخ العمارة الإسلامية. مما يشتمل عليه من زخارف الفسيفساء، التي يقال أن حاكم القسطنطينية البيزنطي أرسل بها كهدية إلى عبد الرحمن الناصر⁽¹⁾. كما أقام قبة على أربعة المحراب، على جانبيها قبتان أصغر منها. وتجويف القباب من عقود نصف دائرية تتقاطع في قمة القبة مكونة عقوداً مدببة، وهو طراز العقود الذي شاع في قباب الفن القوطي، أي أنه ابتكار إسلامي ظهر لأول مرة في قرطبة.

زيادة المنصور محمد بن أبي عامر " في عهد هشام الثاني " :-

— كانت الزيادات السابقة كلها في عمق رواق القبلة، أما هذه الزيادة التي تمت في سنة 377هـ/987م فكانت في الناحية الشرقية من ظلة القبلة؛ حيث أضيفت ثماني بلاطات متعامدة على جدار القبلة مساوية في طولها بامتداد البلاطات السابقة، والتي أصبحت مكونة من اثنين وثلاثين عقداً، كما أصبح عدد البلاطات المتعامدة تسع عشرة بلاطة (شكل 26)،

(¹) شاك، فون، المرجع السابق ص 39.



شكل (26) مسقط الخي لجامع قرطبة بعد زيادة المنصور محمد بن علي في عهد هشام بن
أبو الحكم .

فأصبحت مساحة ظللة القبلة وحدها ثلاثة أفدنة، وهو بذلك أضخم بيت صلاة في المساجد الإسلامية.

— أنشأ مiazza تصلها المياه عبر قناة تصب في تسعة أحواض كان يعلو كل منها قبة .

— يحيط بالصحن سور تتخلله سبعة أبواب ، وتحتل الصومعة الركن الشمالي من الصحن، وفي الناحية الشرقية منه المiazza .

الوصف الحالي للجامع :-

يتكون من مستطيل تبلغ أبعاده من الشمال إلى الجنوب 178م، ومن الشرق إلى الغرب 125م. يتكون من صحن أوسط متسع تحيط به أربع ظلات أكبرها ظللة القبلة، وتتكون من تسع عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، تفصل بينها ثماني عشرة بائكة، تتكون كل منها من اثني وثلاثين عقداً من عقود حدوة الفرس. وكانت عقود بيت الصلاة مفتوحة على الصحن، ولكنها سدت بجدار، وأصبح يدخل إلى بيت الصلاة من أبواب (لوحة 23) (شكل 26) .

التعديلات التي طرأت على الجامع :

— بعد إستيلاء الأسبان على قرطبة سنة 634هـ / 1236م حول المسجد إلى كاتدرائية .

— في القرن 8هـ / 14م أمر فرناندو وزوجته إيزابيلا ببناء كاتدرائية صغيرة على الجزء الذي يمثل زيادة عبد الرحمن الأوسط .

— في سنة 930هـ / 1523م أنشئت كاتدرائية كبيرة، مما أدى إلى إغلاق واجهة أروقة بيت الصلاة، فأظلم هذا الجزء وجاء متمشياً مع المعمار المسيحي.

— في سنة 1061هـ/1650م أضاف هرنان لصومعة عبد الرحمن الثالث قمة
من طراز عصر النهضة ⁽¹⁾ .

ويعتبر جامع قرطبة من أروع ما أنشأ المسلمون من عمائر في بلاد
الأندلس، وواحداً من قمم الفن المعماري العالمي على مر العصور. ولا تقتصر
أهميته على روعته المعمارية بل إن له أهمية علمية، فقد كان واحداً من أهم
المراكز التي يقصدها طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي، كما كان داراً
للقضاء . كما يعتبر جامع قرطبة ممثلاً لطراز عصر الخلافة بالأندلس، والذي
يظهر أيضاً في جامع باب مردوم في طليطلة، وفي عمارة مدينة الزهراء التي
أنشأها عبد الرحمن الناصر، كذلك في الجزء الأسفل من صومعة مسجد أشبيلية،
والجزء الأسفل من صومعة غرناطة القديمة. كما اتخذ جامع أشبيلية مظهره
الخارجي من جامع قرطبة، وذلك في اتساع الصحن، والعقود السبعة في أروقة
المحبات بدلاً من الأربعة عقود التي نراها في جامع الكتبية في مراكش وتنمّلل
بالمغرب، كذلك فقد سار على نمط تخطيطه جامع تلمسان بالمغرب الأوسط بعد
الإضافات التي قام بها المنصور محمد بن أبي عامر، إذ أصبح مكوناً من ثلاث
عشرة بلاطة متعامدة على جدار القبلة، أكثرها اتساعاً البلاط الأوسط، كما أنه
يشتمل على قبتين إحداهما فوق المحراب، والأخرى في منتصف البلاط الأوسط
في جامع القصبة الموحدية في مراكش وأشبيلية. وكذلك وجود صف الدعامات
التي تقطع البلاطات الطولية عرضاً، وتقسم بيت الصلاة إلى قسمين، يشتمل كل

(1) أحمد فكري (د) : المرجع السابق . ص ص 242-248.

منها على ثلاثة أساليب، وهي مشابهة لصف الدعائم والعقود التي تفصل بين بيت الصلاة القديم، وزيادة الحكم المستنصر بالله في جامع قرطبة .

ومن أهم الابتكارات المعمارية في جامع قرطبة، والتي انتقلت منه إلى الطرز المعمارية الأخرى :-

— التشبيكات البنائية للعقود وخاصة العقود التي تمثل عنصراً زخرفياً متميزاً لواجهات المسجد (لوحة 24).

— العقود التوأمية الثلاثية الفتحات، والتي ظهرت لأول مرة في صومعة المسجد الجامع بقرطبة، وفي إحدى قاعات قصور مدينة الزهراء .

— نظام القباب ذات العقود البارزة المتقاطعة على نحو يتشكل منه مثنى في الوسط، تغطيه قبية مفصصة، وقد انتقلت إلى جامع باب مردوم بطليطلة، كما انتقل إلى الكنائس المنفذة حسب الطراز الرومانسكي، وإن كان في النماذج الأخيرة يغلب عليها الطابع الزخرفي .

— لم تظهر الأساليب المعمارية العباسية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي، مما يدل على استقلال الشخصية الأندلسية .

التأثيرات السورية في جامع قرطبة :

— العقود على شكل حدوة الفرس .

— العقود المتعامدة على جدار القبلة (مثل المسجد الأقصى القديم) .

— الأسقف الجمالونية المتوازية .

— الأروقة حول الصحن .

تفنيد لآراء المستشرقين حول جامع قرطبة :-

مما ذكره المستشرقون حول هذا المسجد أنه بني مكان كنيسة تم تحويلها إلى مسجد، غير أن الحفائر التي أُجريت بالمسجد أثبتت أن نظام تخطيطه لا يرتبط مطلقاً بنظام تخطيط الكنيسة التي كانت في نفس المكان. وقد نشر "ديولافوا" رسمًا لجزء مقتطع من مسجد قرطبة، وقارن بينه وبين مخطط الكنيسة، ولكن المخطط الذي رسمه "ديولافوا" يمثل جزءاً فقط من 22 جزءاً تمثل المسجد بكامله.

يشتمل جامع قرطبة على عقود مزدوجة تعد ظاهرة فريدة في تاريخ العمارة، ولا يوجد مثال سابق لتاريخ بنائها سنة 169هـ/785م (لوحه 25). ويذهب البعض إلى أن هذه العقود ليست ابتكاراً إسلامياً، وأنها مستمدة من قناطر "مريدا" في أسبانيا، ولكن الحقيقة غير ذلك لاختلاف النسب في كل منها.

جامع بن عدبس

أقام عبد الرحمن بن الحكم "الأوسط" مسجداً في أشبيلية ، وذلك سنة 214هـ/829م ، وهو المسجد الذي كان يعرف بمسجد بن عدبس. وقد عهد عبد الرحمن بن الحكم إلى وليه على أشبيلية عمر بن عدبس ببنائه، وكما يشير النص التأسيسي للمسجد، والمحفوظ في متحف مدينة أشبيلية فإن البناء تم سنة 214هـ/829م . وكان ذلك المسجد يشبه في تخطيطه المسجد الجامع في قرطبة، حيث كان يتكون من صحن مكشوف تحيط به ثلاث ظلات، أكبرها ظلة القبلة، والتي كانت تتكون من إحدى عشرة بلاطة أكثرها إتساعاً البلاطة

الوسطى . وقد ظل هذا المسجد مسجداً جامعاً لأشبيلية إلى أن أسس الموحدون جامع قصبة أشبيلية سنة 577هـ/1182م فتحولت الخطبة إلى جامع قصبة أشبيلية⁽¹⁾ . وعندما تمكن النورمانديون من دخول أشبيلية أحرقوا هذا المسجد، كما هدموا العديد من القصور والمنشآت بها. وبعد استيلاء الأسبان على أشبيلية سنة 646هـ/1248م حول المسجد إلى كنيسة تعرف باسم كنيسة "سان سلفادور".

ومن منشآت عبد الرحمن بن الحكم "الأوسط" في أشبيلية دار صناعة السفن ، حيث أن المسلمين في الأندلس لم يكن لديهم أسطول يواجهون به الجيوش المغيرة . وقد ظلت هذه الدار قائمة حتى أحرقها "ألفونسو" عندما استولى على المدينة سنة 646هـ/1248م، وأقام مكانها دار أخرى لصناعة السفن.

وفي سنة 434هـ/1042م اتخذ بني عباد أشبيلية حاضرة لهم، وبلغت في عهدهم مبلغاً لم تصل إليه من قبل لا في عهد الرومان ولا في عهد القوط . وقد أنشئت في عهد المعتمد بن عباد في أشبيلية العديد من القصور وغيرها من المنشآت.

ومن أهم آثار فترة عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف بعض آثار مدينة طليطلة التي تمكن المسلمون من ضمها إلى دولتهم وقام الحكم بن عبد الرحمن في سنة 181هـ/797م، بإنشاء قصبة للمدينة وتحولت بعد ذلك إلى قصر. وفي سنة 318هـ/930م دخلت طليطلة ضمن الخلافة القرطبية.

(1) أسامة طلعت عبد النعيم (د) : مرجع سابق . ص ص 36 - 37 .

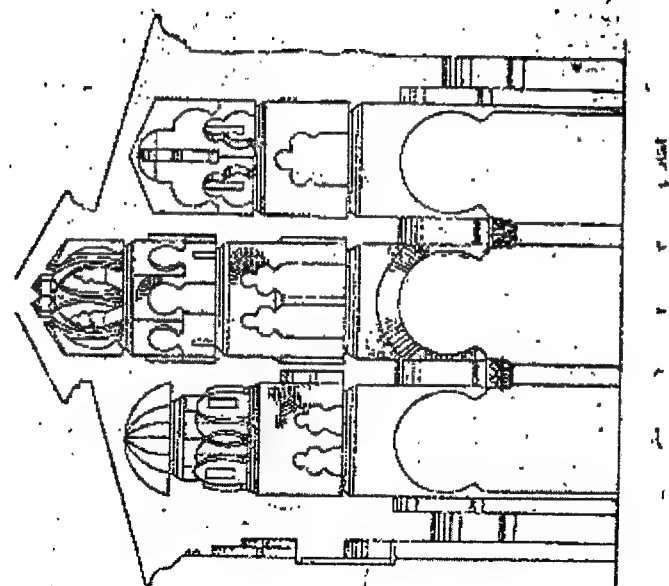
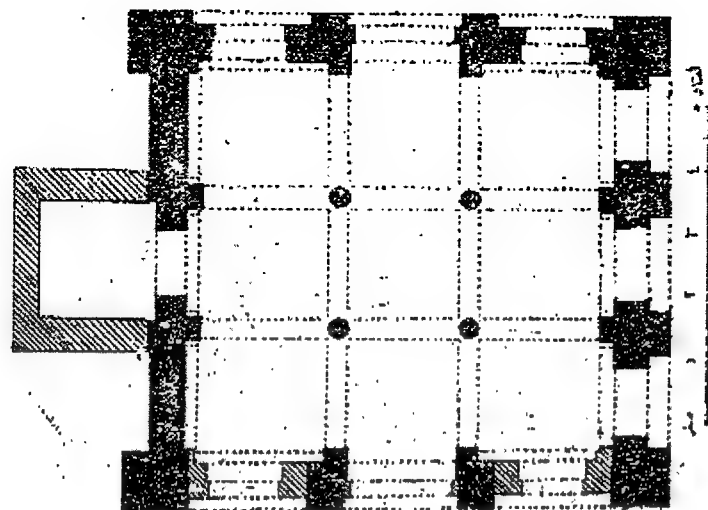
ومن أهم الآثار الإسلامية بمدينة طليطلة، والتي ترجع إلى عصر ملوك الطوائف مسجد باب مردوم (والذي يعرف الآن بأسم الكريستو دي لالوث)

مسجد باب مردوم

يوجد على الواجهة نقش كتابي يدل على أن المسجد قد إنتهى بناؤه في شهر محرم سنة 390هـ/ديسمبر 999م، وقام ببنائه أحمد بن حديدي وزير إسماعيل ذي النون الذي كان والياً على طليطلة في عصر ملوك الطوائف . والكتابة مكونة من قطع من الآجر على النمط العراقي والفارسي، ولا يوجد مثال سابق لها في عمارة المغرب الإسلامي .

الوصف المعماري :

يشغل المسجد مساحة مربعة طول ضلعها 8م، وقد أضيفت إليه زيادة في الناحية الشمالية الشرقية عبارة عن حنية كنسية أضيفت بعد تحويل المسجد إلى كنيسة. وهو عبارة عن قاعة صلاة مقسمة بواسطة بئكتين من العقود كل منها من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين وأكتاف حائطية إلى ثلاثة أساكيب موازية وأخرى متعامدة على جدار القبلة وهي مساحات مربعة (شكل 27) يغطي كل منها قبة من ضلوع متقاطعة أي تسع قباب تتميز بثناء لا مثيل له كما يتميز البناء بالإرتفاع إذ يبلغ حوالي عشرة أمتار .



شكل (27) مسقط أفقي لمسجد باب مردوم في طيلة .

تتكون الواجهة من ثلاثة عقود، الأيسر على شكل حدوة فرس صنجاته من قطع آجر متبادلة بينما العقد الأيمن من خمسة فصوص، أما العقد الأوسط فقد تم توسيعه فإختلف عما كان عليه من قبل. ويعلو فتحات العقود هذه عقود زخرفية مكونة من عقود حدوة فرس متقاطعة يعلوها زخرفة من خطوط متقاطعة (لوحة 26).

والواجهة الأخرى للجامع بها ثلاثة عقود حدوة فرس يعلوها عقود نصف دائرية، وفي الجزء العلوي صف من عقود من ثلاثة فصوص تضم بداخلها عقود على شكل حدوة الفرس مكونة من الآجر الأحمر وقطع الحجر الرملي (لوحة 27).

ويعتقد مانويل جوميث مورينو أن تخطيط مسجد باب مردوم يعتبر إبتكار لا يقاربه مسجد آخر في الشرق أو الغرب إلا مسجد الدباغين الذي أنشئ كتقليد له، وأن كلاهما مقتبس من تخطيط الكنائس البيزنطية، كما أن إستعمال قوالب صغيرة من الآجر يدل على التأثير بنماذج غربية حيث لم يستعمل هذا الحجم في العمارة الأندلسية⁽¹⁾. وبالإشارة إلى ما ذكره مانويل جوميث مورينو، فإنه يجدر الإشارة إن كان هذا النوع من التخطيط وجدت أمثلة له في تخطيط الكنائس البيزنطية، إلا أنه توجد أمثلة من عمائر إسلامية سابقة لبناء مسجد باب مردوم مقسمة إلى مربعات متساوية بواسطة بوائك تمتد موازية وعمودية على جدار القبلة، ومن ذلك مسجد بوفتاته في سوسه، مع إختلاف نظام التغطية وكذلك مسجد بلخ بغيران، وضريح نابي جريس في الموصل وكلاهما يرجع إلى القرن 3هـ/9م. وأيضاً نظام تخطيط وتغطية مشهد طباطبا

(¹) مورينو ، مانويل جوميث : المرجع السابق. ص ص 237- 250 .

بمصر ويرجع إلى سنة 332-339هـ/943-950م، وضريح السبعة وسبعين
ولي نهاية ق 4هـ / 10م، وتغطيه تسع قباب أيضا.

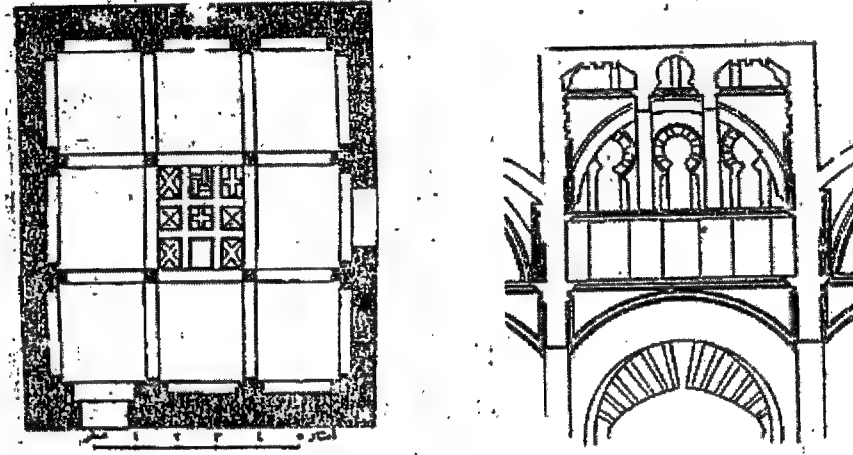
كما يظهر في مسجد باب مردوم التأثير بطرز العمارة في غرب وشرق
العالم الإسلامي، ومن ذلك أن أعمدة المسجد والمجولة من عمائر سابقة كانت
بدون قواعد كما هو الحال في جامع عقبة بن نافع، ولكن أضيفت إليها قواعد
حجرية في تاريخ لاحق. كما يجمع بين عناصر الفن القرطبي وبين عناصر الفن
الوافد من شرق العالم الإسلامي وبخاصة من إيران والعراق وسوريا، ويظهر ذلك
في طريقة تنفيذ الكتابة بقطع من الآجر. وفي إستخدام الأحجار في بناء المسجد
بالتبادل مع الآجر. وفي أشكال العقود على شكل حدوة الفرس، والعقود
الزخرفية المكونة من ثلاثة فصوص أعلى المحراب.

وهذا المسجد على الرغم من صغر مساحته فإنه يمثل أهمية كبيرة في
تاريخ العمارة كما أنه كمثال لعمارة فترة ملوك الطوائف في طليعة التي كان لها
تأثير كبير في العمارة المدجنية في قشتالة.

مسجد الدباغين

وقد أثر تخطيط مسجد باب مردوم في مسجد الدباغين بطليطلة .
ويرجع بناؤه إلى فتح بن إبراهيم الأموي (ويعرف بابن القشاري)، كما يكنى
بأبي نصر. ويعرف المسجد الآن باسم " كاسادي لاس تونير ياس (منزل
الدباغين) .

حيث ان المسجد الذي يقع في الطابق الثاني ، مكون من مساحة مستطيلة أبعادها 8.90×7.65م وأقصى إرتفاع 6.60م . ويشبه المسجد في تخطيطه مسجد باب مردوم مع إستبدال الأعمدة الأربعة التي تتوسط مساحته إلى أربع دعامات وكذلك شكل الأكتاف الحائطية، كما أن الأساطين التي ينقسم إليها المسجد مستطيلة بينما كانت في مسجد باب مردوم مربعة (شكل 28).



شكل (28) مسقط أفقي لمسجد الدباغين في طليطلة .

ولكن المسجد يتفق مع مسجد باب مردوم في نظام تقسيمه الداخلي ووجود أكتاف حائطية تستند عليها عقود وجميعها شبيهة بما في مسجد باب مردوم وكلها من نوع حدوة الفرس. وفي نظام التغطية بالقباب نصف كروية من عقود متقاطعة . ويتوسط جدار القبلة محراب معقود بعقد حدوة فرس من صnichات مختلفة الإرتفاع. وتوجد في جدار القبلة نوافذ صماء (مضاهيات) من

عقود ثلاثية الفصوص أو على شكل حدوة الفرس أو عقد مستقيم أو من عقدين توأمين على شكل حدوة الفرس .

وقد حدثت على المسجد عدة تغييرات نتيجة لما لحق به من خراب، إذ سدت بعض العقود الحائطية، وعقد المدخل . وبعد أن كان المدخل يتوسط الجدار الشمالى الغربى مواجهاً للمحراب فقد أصبح في أحد أركان هذا الجدار. كما كان المسجد يتميز بزخارفه الجصية، ولكن غُطيت بطبقات من السناج نتيجة لإستعمال المسجد كمصنع للشموع. كذلك فقد ضمت أحد أساطين المسجد إلى المنزل المجاور.

قصر الناعورة

أنشأه المأمون بن ذي النون ملك طليطلة سنة 455هـ/1063م . وقد سمي بقصر الناعورة لأنه كانت توجد ناعورة إلى جانب قبة الزجاج التي أنشئت في وسط البحيرة التي عملت بالقصر. وكانت تجلب الماء من نهر طليطلة إلى روض القصر. وقد اندثر هذا القصر. ويعتقد البعض أن آثار القصر الذي يعرف بقصر جوليانا بمدينة طليطلة هي آثار قصر الناعورة، وأمكن من خلال هذه الآثار التعرف على طريقة بنائه، والتي تتناوب فيها مداмик الحجر مع مداмик الآجر. وهي الطريقة التي استخدمت في بناء مسجد باب مردوم، كما تعرفنا على أشكال عقودها التي كانت من النوع النصف دائري والمفصص، والتي وجدت أمثلة لها في مداخل الغرف .

الفصل الثامن

عمارة الموحدين في بلاد الأندلس

يقترن الوجود الموحد في بلاد الأندلس بمدينة أشبيلية التي تقع في جنوب أسبانيا، ويرجع إسمها إلى الكلمة القديمة إشبالي أو Hispalli . وهي التي تسمى الآن سيفيليا Sevilla . وترجع الأصول الأولى لهذه المدينة إلى عصر الأيبيرين، ثم تطورت في العصر الفينيقي، والعصر الإغريقي، وكذلك في عصر القرطاجانيين. وإن كان طارق بن زياد قد إستطاع الإستيلاء على العديد من مدن أيبيرية بعد إنتصاره على القوط في معركة لوكة سنة 93هـ /712م ، إلا أن أشبيلية لم تسقط في أيدي المسلمين إلا على أيدي موسى بن نصير، الذي ظل يحاصرها لعدة أشهر نظراً لحصانتها ومناعتها . وقد اتخذها موسى بن نصير عاصمة للملكة . وذلك نظراً لموقعها على البحر، وسهولة إتصالها بالمدن الأندلسية، بالإضافة إلى سهولة الوصول منها إلى بلاد المغرب ، حيث تمركز الجيوش الإسلامية . إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً، حيث تحولت العاصمة إلى قرطبة سنة 98هـ /717م على أثر مقتل عبد العزيز بن موسى في أشبيلية.

وقد نال أشبيلية ما تعرضت له بقية عواصم ومدن الخلافة الإسلامية من الإضطراب والفوضى نتيجة للصراع بين العرب والبربر والمولدين، إلا أن ذلك قد إنتهى مع دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس حيث استطاع التغلب على الفوضى ونشر الأمن والاستقرار في مختلف البلاد .

وقد شهدت اشبيلية اثناء فترة الحكم الإسلامي بعض التغيرات الدينية والاجتماعية ، فبعد أن كانت مركز المسيحية في أيبيرية أصبحت من المراكز الإسلامية المتميزة . كما كان لسياسة التسامح التي اتبعها حكام الأندلس من المسلمين أكبر الأثر في إقبال أعداد كبيرة من سكان أشبيلية على إعتناق الإسلام ، وبذلك أصبحت من أكبر المراكز الإسلامية ، كما حدث بها تغير اجتماعي

وذلك نتيجة للتزاوج الذي حدث بين العرب الوافدين والأسبانيات، ونشأ جيل جديد " المولدين " من آباء عرب وأمهات أسبانيات. وقد زاد عدد المولدين في أشبيلية حتى أصبحوا يمثلون الغالبية العظمى خلال القرن 3هـ/9م .

وفي سنة 484هـ/1091م قام المرابطون بالزحف على أشبيلية بحجة حمايتها من هجمات " الفونسو " ملك قشتالة ، إلا أن المرابطين إنغمسوا في الترف ، فأتاحوا بذلك الفرصة لمنافسيهم من الموحدين للزحف على الأندلس .

وفي سنة 551هـ/1156م بايع أهل أشبيلية عبد المؤمن بن علي الموحدي أميراً لهم ، فاختار أشبيلية حاضرة لبلاد الأندلس ، ثم تولى أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الخلافة بعد أبيه في سنة 560هـ/1164م . ومن المعلوم أنه ولد في قرطبة، وقضى شطراً من حياته في أشبيلية، لذلك فإنه فضل أشبيلية على مراكش التي كانت عاصمة للموحدين في بلاد المغرب ، وقام بإعمار عاصمته أشبيلية بمختلف العمائر التي اتسمت بالضخامة والجمال والثراء الزخرفي الذي أخذوه عن أهل الأندلس .

وفي سنة 609هـ/1212م استطاعت القوات الأسبانية الانتصار على الموحدين في معركة "العقاب" ، ومن أهم أمراء الموحدين الذين كان لهم فضل في تحميل أشبيلية أبو العلاء إدريس بن أبي يوسف يعقوب الذي حكم في الفترة من سنة 615هـ/1218م إلى سنة 628هـ/1230م . وقد حاول أن يعيد لأشبيلية بناؤها الذي كان على عهد أبيه ، كما اهتم بتحسينها، فأقام بها سنة 618هـ/1221م برجاً ضخماً، وهو برج الذهب الذي لا يزال قائماً حتى اليوم، ويتكون البرج من طابقين كل منهما من اثني عشر ضلعاً ، وتؤدي إليه فتحة باب في الجهة الشمالية الشرقية منه . وقد أضيف إليه في القرن 19م

جوسق مغطى بقبة مكسوة ببلاطات خزفية مذهبة (لوحة 28). وربما يكون ذلك السبب في تسميته ببرج الذهب، أو أن يكون المسمى نتيجة لأنه كان مكاناً مخصصاً لحفظ الذهب. كما جدد أسوار المدينة، وأقام أبو العلاء إدريس بن أبي يوسف يعقوب سورا أمامياً، وحفر خندقاً حول الأسوار. وموت أبي العلاء إدريس توارى الأمل في الحفاظ على أشبيلية، خاصة وقد سقطت المدن التي تشكل خط دفاع لها مثل قرطبة وقرمونة وحصن الفرج وحصن القصر والقلاع وقلعة جابر. وفي سنة 646هـ / 1248م دخلت قوات قشتالة مدينة أشبيلية بعد حصار طويل دام لمدة سبعة عشر شهراً.

وعلى الرغم من ضياع الكثير من المعالم الإسلامية في إشبيلية، إلا أنها مازالت تحتفظ بتخطيطها الإسلامي القديم. فلم يستطع الأسبان طمس الهوية الإسلامية لهذه المدينة. إذ تُما تتبع النظام السائد في تخطيط المدن الإسلامية، حيث تنقسم إلى قصبة أو شارع أعظم، تتفرع منه مجموعة من الأحياء، ويحيط بالمدينة بكاملها سور حصين (لوحة 29)، كما تنتشر حولها الأرباض. وكانت المدينة تشتمل على مسجدين الأول وهو مسجد بن عديس - السابق الإشارة إليه -، أما المسجد الآخر فهو المسجد الجامع بالقصبة الذي أسسه أبو يعقوب يوسف، والذي تقوم عليه الآن كاتدرائية أشبيلية. وكان هذا المسجد يتوسط المدينة، وتتفرع منه كافة الشوارع المؤدية إلى مختلف أنحاء المدينة. كما أن العمائر التي أقيمت على منشآت إسلامية قامت على نفس تخطيطها مع بعض التغييرات التي تتناسب والغرض من المنشأة، كما احتفظت هذه المنشآت بالكثير من الوحدات والعناصر المعمارية الإسلامية بعد إعادة توظيفها، ومن ذلك الكنائس التي أقيمت على أساسات المساجد الإسلامية. والتي استخدمت صوامع

هذه المساجد كأبراج للأجراس، إلا أن أبدانها ظلت تحتفظ بالزخارف المستمدة من زخرفة التوريق العربية، وأشكال العقود التوأمية التي تفتح في جدرانها. ومن مظاهر التأثير بالطراز المعماري الإسلامي في أشبيلية تخطيط الدور أو المنازل التي تعتمد في تخطيطها على عنصر الفناء الداخلي، وكذلك في خلو جدرانها الخارجية من الزخارف، بينما تغطي جدرانها الداخلية بأنواع مختلفة من الزخارف.

نظراً للأهمية التجارية لمدينة أشبيلية التي نشأت من موقعها فقد تعددت بها المنشآت التجارية ومن أهمها الفنادق. كما تبقى بالمدينة جزء من الجسر الذي أقامه أبو يعقوب يوسف سنة 568هـ/1172م، وكان يصل عن طريقه الماء إلى باب قرمون، ثم يتوزع على الدور وغيرها من منشآت المدينة. أما عن العمارة الحربية الإسلامية في مدينة أشبيلية، فقد ابتكر المرابطون نظاماً جديداً في عمل أسوار مدينة أشبيلية، يتمثل في انكسار في الزوايا الداخلية والخارجية للسور، بحيث تشكل أشكال خطوط متعرجة ومنكسرة، ويؤدي ذلك بالتالي إلى سهولة حصار المهاجمين، وما زال قطاع من هذا السور قائماً بمدينة أشبيلية حتى اليوم، ويعرف باسم سور مقارنة، ويمتد من باب مقارنة حتى باب قرطبة، وتوجد بعض بقاياه في حديقة معهد الوادي، ويتقدم السور أسوار أمامية أقل ارتفاعاً تعرف باسم البرباكانة أو البربخانة. وإن كانت الأصول الأولى لهذا السور ترجع إلى المرابطين، فقد كان للموحدين دورهم في تحصين هذا السور، فقد شيد سور أشبيلية الأمامي السلطان الموحيدي أبو العلاء إدريس سنة 626هـ/1228م، وحفر أمامه خندقاً مازالت آثاره باقية، وهو الذي مد من سور أشبيلية سوراً قليل الارتفاع يعرف باسم "الفورجة"، ينتهي إلى نهر الوادي الكبير، وإلى برج

الذهب القائم حتى العصر الحديث. وكانت الأسوار الأصلية لمدينة أشبيلية قد شيدت في عهد عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " في سنة 230 هـ - 234 هـ/844 - 848 م . وقد هدم هذا السور وأقيم سور آخر سنة 414 هـ/1043 م . وفي سنة 520 هـ/1126 م قام المرابطون ببناء السور . وقام الموحدون بإصلاح الضلع الجنوبي والضلع الغربي من السور وبناء سور خارجي وتعليته . وقد تبقى من أبواب أسوار مدينة أشبيلية باب قرطبة، والذي ترجع عمارته إلى عصر المرابطين، وذلك للتشابه بينه وبين باب لبلة الذي يرجع إلى نفس العصر . كما تبقت أجزاء من السور في كل من الجهة الشمالية والجهة الشرقية ، ويتخلل السور أبراج مربعة مصمتة، يشغل الجزء العلوي منها غرفة مغطاة بقبو متقاطع ، فتحت في ثلاثة أضلاع منها مزاغل . وهذه الأبراج المربعة المصمتة شبيهة بالأبراج المربعة المصمتة في سور قصبة ماردة التي أنشأها عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " سنة 220 هـ/835 م . ومن أهم الآثار التي خلفها الموحدون في أشبيلية بقايا القصر الإسلامي، وكذلك بقايا المسجد الجامع بأشبيلية .

مسجد القصبة بأشبيلية

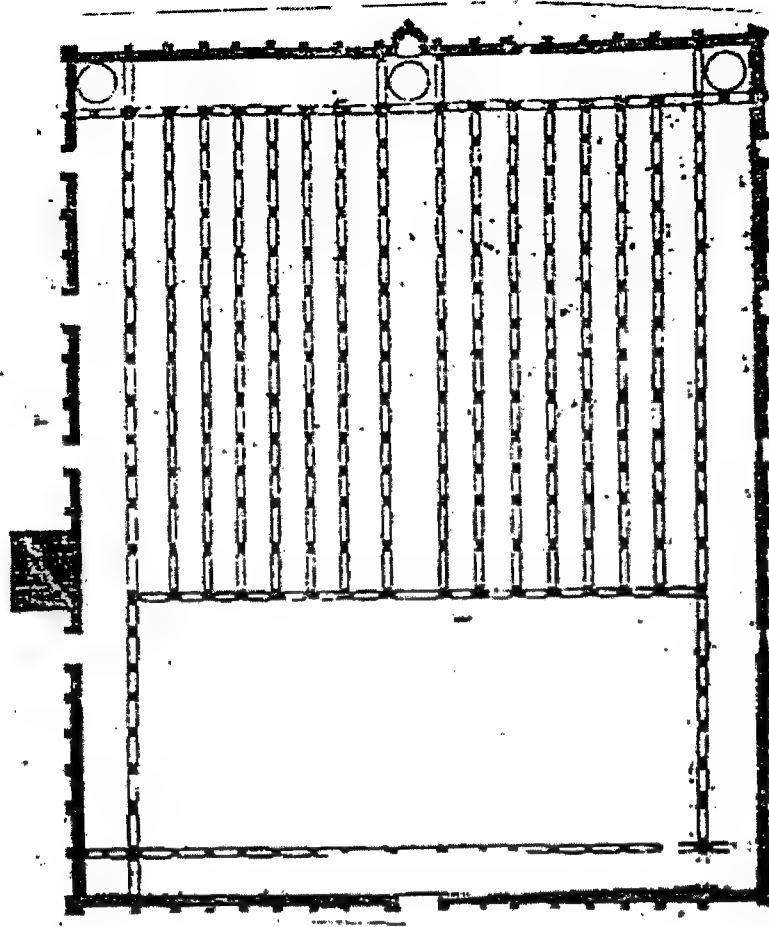
أمدنا المؤرخ ابن صاحب الصلاة، الذي عاصر بناء هذا الجامع بمعلومات تاريخية هامة عنه ، وما ارتبط به من أحداث. وقد ذكر أن الجامع بناه أبو يوسف يعقوب الموحدي على أنقاض المسجد الموحدي القديم، وذلك في سنة 564 هـ/1168 م، بعدما ضاق المسجد القديم " جامع عدبس " بالمصلين،

وأشرف على البناء العريف أحمد بن باسة. وكان لهذا الجامع ساباط على يسار
المحراب يصل منه الخليفة من القصر إلى الجامع، وله باب على يمين المحراب، كما
كانت توجد حجرة للمنبر، كما كان للجامع مقصورة خشبية بديعة . وانتهى
بناء الجامع سنة 577هـ/1181م .

الوصف المعماري :-

يتكون من مساحة مستطيلة، تتخللها تسعة أبواب، أربعة في كل من الضلع الشرقي والغربي، كما يوجد باب في منتصف واجهة ظلة المؤخر على نفس محور المحراب. وينقسم الجامع إلى صحن مستطيل مكشوف في مكان غير متوسط من الجامع، تفتح عليه ظلة القبلة والمؤخر من خلال خمس عشرة عقداً، أما الجنبان فتشرف كل منهما على الصحن من خلال سبع فتحات من عقود متجاوزة منكسرة، وقد هدمت الجنبان سنة 1028هـ / 1618م .

وتتكون ظلة القبلة من خمس عشرة بلاطة متعامدة على إسكوب المحراب، ولا تصل إلى جدار القبلة إلا في المواضع الثلاثة المخصصة لإقامة القباب، حيث يتخلل سقف إسكوب المحراب ثلاث قباب، واحدة فوق أربعة المحراب، وواحدة في كل ركن من أركان الإسكوب. والبلاطة الوسطي أكثر البلاطات اتساعاً، وتفصل بين البلاطات ست عشرة بائكة، تتكون كل منهما من ثلاثة عشر عقداً، فيما عدا البائكتين على جانبي البلاطة الوسطي، والبائكتان الجانبيتان، إذ تتكون كل منهما من أربعة عشر عقداً (شكل 29). ويغطي ظلة القبلة سقف جمالوني مغطى بطبقة من القرميد المزجج .



شكل (29) مسقط أفقي لجامع القصبة في أشبيلية .

الصومعة :-

بناها أبو يعقوب سنة 580هـ/1184م، وأشرف محمد أبي مروان
الغرناطي والي أبي يعقوب على أشبيلية على البناء، وقام بالإشراف عليها العريف
أحمد بن باسة. وعندما تصدعت سنة 584هـ/1188م أشرف على إصلاحها

العريف علي الغماري المغربي. وتشغل الصومعة مكاناً بارزاً عن الجدار الشرقي للجامع في مقابل العقدين الأخيرين من ناحية الصحن بين بلاطات ظللة القبلة . وتتكون من بدن مربع يبلغ ارتفاعه 96م، يشتمل على ممر داخلي منحدر، تقطعه ست حجرات صغيرة حتى يصل إلى الشرفة . ويتوسط الشرفة جوسق، تغطية قبة كان يعلوها ثلاثة كرات ضخمة مذهبة تعتبر أبداع ما عمل للصوامع، إلا أنه بعد أن احتل الأسبان أشبيلية قاموا بوضع تمثال سان تاف بإرتفاع 5م وهو تمثال دوار لذلك أطلق على الصومعة " الخير الدا " أي الدوارة (لوحة 30). وكما هو المتبع في صوامع بلاد الأندلس فإن بدن الصومعة مغطى بكامله بزخارف هندسية متقنة ، كما شملت هذه الزخارف سماعة باب الصومعة والتي تعد تحفة فنية رائعة الجمال ومعبرة عن جوانب الأبداع في الفن الإسلامي في الأندلس ، وذلك من حيث تكوينها العام وتشكيل حوافها بشكل مفصص وما تشتمل عليه من زخارف دقيقة وكتابات متقنة (لوحة 31).

وقد حول الأسبان الجامع إلى كاتدرائية، كما حفروا تحت قبة المحراب قبراً للرحالة كريستوفر كولمبوس . إلا أنه تبقت بالجامع بعض المعالم الإسلامية، ومنها بعض البوائك والعقود والباب الذي يوجد في شمال الصحن، ويطلق عليه الأسبان باب الغفران ⁽¹⁾. ومدخل الصومعة

(¹) للمزيد عن جامع قصبة أشبيلية انظر :-

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله آئمة وجعلهم الوارثين، ج2، تحقيق عبد الهادي التاوي، بيروت، 1964م، ص ص 271-286 .

- عبد الله عنان (د) : الآثار الأندلسية الباقية في آسيا والبرتغال، القاهرة، 1961م، ص ص 38-39 .

الفصل التاسع
عمارة بلاد الأندلس
في عصر بني نصر

يرتبط تاريخ أسرة بني نصر " بني الأحمر بمدينة غرناطة ⁽¹⁾. وكانت غرناطة عندما فتحها المسلمون مدينة صغيرة لا أهمية لها، وتابعة لولاية البيرة، ثم حلت غرناطة محل البيرة، وسميت الولاية باسمها . أخذت أهمية غرناطة في الازدياد في القرن 5هـ/11م حينما اتخذها بنو زيري عاصمة لهم، فأحاطوها بسور، وأقاموا بها القصور والمساجد إلى أن انتزعها منهم المرابطون . وقد بلغت المدينة أقصى اتساعها في عصر الموحدين، وبني بها اسحق بن يوسف عبد المؤمن " والي غرناطة " من قبل المستنصر قصراً يعرف اليوم باسم " قصر الشنيل " ، نسبة إلى نهر شنيل الذي يحد غرناطة من الجنوب متفرعا من نهر الوادي الكبير، كما أقام رباطاً للعبادة.

وقد شهدت غرناطة ازدهارا معمارياً في عصر بني الأحمر ⁽²⁾ الذين استقروا بها منذ سنة 635هـ/1238م وحتى سقوطها في قبضة فرناندو وايزابيلا في 1 ربيع الأول سنة 897هـ/2 يناير 1492م، أي أنها ظلت عاصمة لبني الأحمر " بني نصر " لما يزيد عن مائتين وستين عاماً قاموا خلالها

(1) اسم غرناطة نسبة إلى ثمرة الرمان الذي يعرف في اللغة القشتالية بـ **Granada** (أنظر:

شاك، فون: المرجع السابق، ص 114).

(2) سمي بني الأحمر بهذا الاسم نسبة إلى جدهم عقيل بن نصر والذي كان يلقب بالأحمر . نظراً لشقوته .

بإنشاء العديد من المنشآت مثل الحصن " قصبة الحمراء " الذي شيده محمد بن نصر ، والمسجد الجامع بالحمراء الذي أقامه أبي الجيوش نصر، وهدمه الأمبراطور فيليب الثاني في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م ، وأقام مكانه كاتدرائية . وترجع معظم مباني الحمراء الباقية إلى يوسف بن إسماعيل، سابع حكام بني نصر.

وكانت غرناطة ملجأ لمسلمي الأندلس عندما اشتدت هجمات الأسبان عليهم، وأخذت المدن الأندلسية تسقط بأيدي الأسبان، ففي الفترة من سنة 625هـ/1227م حتى سنة 641هـ/1243م سقطت مدن ماردة وبطليموس وقرطبة وأشبيلية وبلنسية وجزائر البليار وشاطبة ودانية ومرسية. وظلت غرناطة مأوى للفارين إلى أن سلم أبو عبد الله محمد المدينة، وبكى فقالت له أمه قولتها الشهيرة " لك أن تبكي كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال "، وانتهى بذلك الوجود الإسلامي بالأندلس بعد أن استمر بها قرابة ثمانية قرون .

قصور الحمراء بغرناطة

أطلقت كلمة الحمراء على حصن صغير بني في القرن 3هـ/9م، يقع على الطرف الغربي لهضبة السبيكة. وبعد دخول محمد بن الأحمر غرناطة سنة 635هـ/1238م بدأ في تشييد قصر الحمراء ليكون قاعدة لـ " بني نصر " . ولا يرتبط اسم الحمراء ببني الأحمر، فقد سميت هذه المنطقة في القرن 3هـ/9م بالحمراء، نسبة إلى لون تربتها الذي يغلب عليه اللون الأحمر لزيادة أكسيد

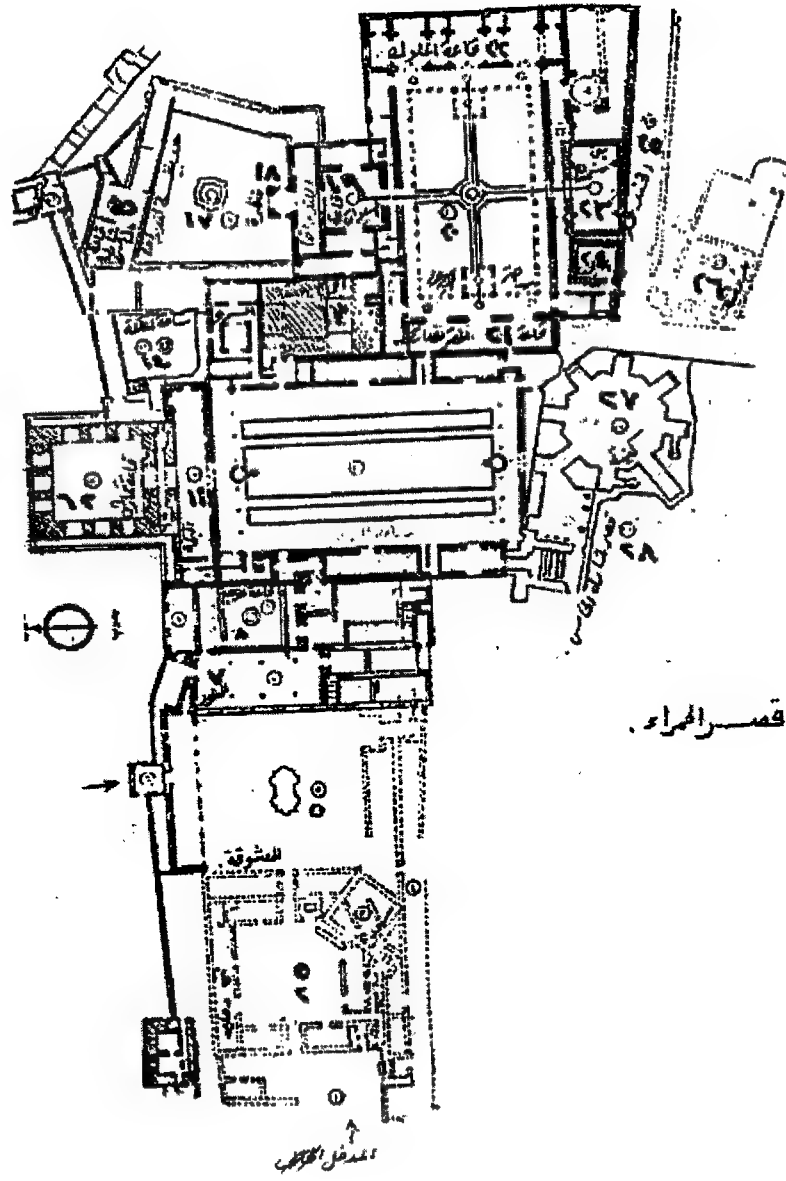
الحديد بها، ومثل هذه التسمية أطلقت على مدينة مراكش أيضا لأنها حمراء التربة والأسوار، فمنذ تأسيس المدينة في عصر الموحدين أطلق عليها " حمراء لمتونة الموحدين " وحمراء الحوز لوقوعها وسط سهل الحوز.

ويعد قصر الحمراء من أحسن القصور الإسلامية بالأندلس حالاً، وربما يكون من عوامل بقاءه أنه استعملت في بنائه الطابية "Tapia"، وهي مزيج من التراب والجير والأحجار الصغيرة، وهي طريقة مستخدمة في البناء في إفريقيا وأسبانيا منذ العصر الروماني، فقد ذكر بلينيو Plinio صلابة الجدران التي تقام من هذا الخليط، وأنها تدوم طويلاً، وتقاوم المطر والعواصف والثران، وأصلب من كل ألوان الملاط . وقد سبقه في ذكر هذه المادة ابن خلدون ⁽¹⁾ .

الوصف المعماري :

تتكون قصور الحمراء من مجموعات معمارية يتوسط كل منها ممر فسيح وتربط بينها دهاليز أو غرف. وقد تبقى من هذه المجموعات مجموعة المشور ومجموعة ساحة الريحان وبها برج قمارش الذي يعلوه قاعة السفراء وقد بني هاتين المجموعتين أبو الحجاج يوسف 733-755هـ/1333-1354م. أما المجموعة الثالثة فهي مجموعة ساحة السباع ويحيط بها أربع قاعات وهي قاعة المقرنصات ويقابلها رواق الملوك العرب، وقاعة بني سراج في اليمين يقابلها قاعة الأختين في اليسار. وقد بني هذا البهو السلطان محمد الملقب بالغني بالله ثامن سلاطين بني الأحمر من سنة 755-793هـ/1354-1391م. إضافة إلى مجموعة البرطل التي زال معظمها (شكل 30).

(1) ابن خلدون. عبد الرحمن : المقدمة ، ج 2 ، ص 320 .



شكل (30) مسقط الخقي لقصر الحمراء في غرناطة .

هذا من حيث التكوين العام، أما من حيث التفاصيل فإنه كان يؤدي للقصر مدخل رئيسي يعرف باسم "باب الشريعة"، عليه كتابة تشير إلى المنشئ وهو أبو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبي الوليد بن نصر كافي "كافئه الله" في الإسلام صنائعه الزاكية، وتقبل أعماله الجهادية، فتيسر ذلك في شهر المولد المعظم من عام تسعة وأربعين وسبعمائة (1348م). وأطلق عليه باب الشريعة لوجود مصلى بالقرب منه مخصص لصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء، كما يسمى باب العدل لوجود رسم يد ومفتاح عليه، واليد ترمز إلى العدل، والمفتاح يرمز إلى دخول العرب مدينة الحمراء⁽¹⁾. وهناك رأي بأن إلبد ترمز إلى أركان الإسلام الخمسة. وكان السلطان يصدر الأحكام عند هذا الباب. يؤدي الباب إلى ممر معقود، في الناحية اليمنى منه محراب، وفي نهايته مصلى به لوحة رخامية مضافة تشير إلى تاريخ تسليم المدينة للأسبان. وينتهي الممر بباب يعرف باسم باب النبذ، عليه نقش باسم محمد الخامس الغالب بالله، وآيات من سورة الفتح. ويؤدي الباب إلى ساحة الحب، على اليمنى منها قصر شارل الخامس الذي حل محل قسم من قصور الحمراء، وإلى اليسار قصبة الحمراء.

كان الدخول للقصر عند إنشاء من باب في نهاية ميدان الحب. أما الآن فيتم الدخول إلى القصر من ممر يؤدي إلى دهليز، ينتهي إلى قاعة المشور، التي كانت وسط سلسلة من القاعات لكنها تهدمت. وتتكون مجموعة قصور الحمراء الحالية من قسمين:

(1) محمد السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور، ص 144.

1- المشور : وهو عبارة عن قصر صغير، تبقت منه القاعة الكبرى، وتشتمل على كتابات تتضمن اسم السلطان محمد الملقب بالغني بالله . وخلف هذه القاعة يوجد مصلى ما زال يحتفظ بمحرايه الأصلي، كما توجد القاعة الذهبية المشتملة على زخارف مذهبة، وتوجد ساحة إلى جنوبها سقيفة بها بابان أحدهما " الأيمن " يؤدي إلى المدخل الأصلي للقصر لكنه سد الآن .

وكان قسم المشور مخصصاً للموظفين الذين يعاونون السلطان . وقد زالت معظم أجزاء القصر الرئيسية، وتبقت فقط بعض الزخارف الجصية والفسيفساء الرخامية . وكما ذكرنا أعلاه فإن تخطيط قصور الحمراء يقوم على نظام الساحات المكشوفة، التي يحف بها في بعض الأحيان بوائك من العقود، خلفها ممرات يدخل منها إلى القاعات التي على جوانب هذه الساحة، ومن ذلك :-

— ساحة الريحان وتتوسطها بركة مستطيلة، وأحواض تحف بجوانبها أشجار الريحان، وقد بنها محمد الخامس . ويؤدي باب ساحة الريحان الشمالي إلى هو صغير يسمى " هو البركة "، يدخل منه إلى معظم قاعات قصور الحمراء، والتي تشتمل على قاعة السفراء داخل برج قمارش (لوحة 32). ويرى البعض أن كلمة قمارش جمع أسباني لكلمة " قمرية "، وذلك لوجود عدد كبير من القمريات بهذه القاعة . وهناك رأي أن الاسم مأخوذ من اسم مكان بالقرب من مالقة، ربما يكون سكانه هم الذين بنو قصر الحمراء، أو كانوا مكلفين بالدفاع عنه ⁽¹⁾ . ومن أهم ملامح القاعة الزخارف الكتابية

(1) المقرئ : نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج1، ص ص 282-284 .

التي تشير إلى أبي الحجاج، وأبيات من الشعر، وآية الكرسي، وشعار بني نصر (لوحة 33) ، بالإضافة إلى زخارف نباتية دقيقة متقنة .

— ساحة السرو يدخل إليها من يمين بمو البركة، وهي مستحدثة في العهد الأسباني، ويعرف بفناء السرو لوجود أشجار السرو على جوانبه .

— الحمامات السلطانية تقع إلى جانب مو السرو . وتعتبر هذه الحمامات من أروع الحمامات العربية. ويتكون الحمام من قاعة استقبال ، وهي ردهة تشتمل على نافورة وسريرين من الطوب المكسو بالقرميد في داخل مساحة معقودة بعقدين على ثلاثة أعمدة، يلي قاعة الاستقبال الغرفة الدافئة، بها حوض كبير يتصل من خلال أنابيب بيت النار، وهناك أنبوب ينشر العطر في الغرفة . والغرفة الساخنة بها حوض كبير .

— قاعة الأختين تقع شرق مو البركة، وأطلق عليها هذا الاسم لأنها تشتمل على قطعتين متشابهتين وفريدتين من المرمر . أو لأنها توجد بها حنيتان ⁽¹⁾، ويحيط بالقاعة مجموعة من الشرفات، تسمى الشرفة الرئيسية بدار عائشة - نسبة إلى عائشة زوجة السلطان النصر بن أبي الحسن الغالب بالله بن سعد، الذي تولى العرش سنة 868هـ/1463م، وأم أبو الحجاج يوسف وعبد الله بن محمد آخر سلاطين بني نصر بغرناطة² - والقاعة معقودة بعقدين حدوة فرس حافظهما مفصصة، يرتكزا على عمود أوسط، وتماثل كوشتي العقد زخارف

⁽¹⁾ شاك، فون : المرجع السابق، ص 168.

⁽²⁾ قام زوجها أبو الحسن بسجنها مع ولديها في برج قمارش وذلك بعد أن تزوج من أسيرة أسبانية جميلة أنجبت له ولدين " سعد " و " نصر "، والتي استطاعت أن تؤثر على زوجها أن يجعل الملك لابنها.

نباتية دقيقة، كما يحيط بهما إطار من كتابات، تعلوه مساحة مملوءة
بزخارف موضوعة داخل أشكال هندسية .

2— ساحة السباع "الأسود" : من أجمل أجنحة قصر الحمراء، ويدخل إليها
من الباب الجنوبي لقاعة الأختين ، كما يؤدي إليها باب صغير مفتوح في الجدار
الفاصل بين ساحة السباع، وساحة الريحان، الذي كان المقر الرسمي لسلطين بني
الأحمر للإستقبالات والحفلات. وقد أنشأ ساحة السباع السلطان محمد الخامس "
الغني بالله " 755-793هـ / 1354-1391م . وقد بقيت هذه الساحة
محتفظة بمعظم معالمها، وذلك لأن الملك فرناندو وزوجته إيزابيلا اتخذها مسكناً
لهما.

وساحة السباع عبارة عن فناء مستطيل تتوسطه نافورة السباع الشهيرة،
التي يحمل حوضها إثني عشر أسداً رخامياً، يخرج الماء من أفواههم إلى نافورتين(
لوحة 34) ، إحداها بغرفة بني سراج، والأخرى بغرفة الأختين . ويحف
بالساحة في الضلع الشرقي والغربي كشكين ، يتكون كل منهما من اثني عشر
عقداً محمولة على عشرين عموداً، ويغطيه قبة نصف كروية مزخرفة بأشكال
هندسية (لوحة 35) . ويحيط بالفناء مائة وأربعة وثلاثين عموداً من الرخام
الأبيض، موزعة فرادى ومثنى وثلاث ورباع. وبعض تيجانها تشتمل على شعار
بني الأحمر " لا غالب إلا الله " . وخلف أعمدة الفناء والكشكين يوجد ممر.
ويدور حول الفناء رفرف خشبي محمول على كوابيل مزخرفة، وفي ساحة
السباع توجد بعض التأثيرات المسيحية مثل امتزاج الرنوك بالزخارف، وتعقد
الزخرفة، وقرب الزخارف من الطبيعة، وهي عناصر نجدها في العمائر المسيحية.
وخلف الممر توجد القاعات مثل قاعة بني سراج، التي يدخل إليها من منتصف

الضلع الجنوبي للفناء، وبني سراج وزراء بني نصر في غرناطة، وكان لهم دور هام في أحداث الفترة الأخيرة من حكم بني نصر لغرناطة ⁽¹⁾.

وقاعة الملوك في الناحية الشرقية من ساحة السباع " تعرف أيضا بقاعة العدل "، وهي مكونة من مجموعة من الحجرات المربعة والمستطيلة، وتعرف الوسطى منها بحجرة الملوك، وذلك لأنها تشتمل على رسم عشرة فرسان بملابس وهيئات عربية. هي تمثل ملوك غرناطة العشرة الذين تولوا الحكم من محمد الغني بالله إلى أبي الحسن والد أبو عبد الله، ونلاحظ بهذه الصور تأثيرات إيطالية مما يرجح إشتراك فنانين إيطاليين في رسمها.

— قاعة اللندراخا سميت كذلك لأنها تطل على حديقة لندراخا، ويقال أنها تحريف لجملة "عين دار عائشة"، وعين تعني النافذة، وعائشة هي والدة أبي عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة. تقع شمال قاعة ساحة السباع وشمال قاعة الأختين.

ويوجد بين قاعة الأختين وقاعة اللندراخا رواق به باب، يؤدي إلى ساحة مستطيلة أنشأها الملك شارلمان، يتصل بها رواق ضيق، يؤدي إلى "متزين الملكة"، وهو يقع في الطرف الشمالي لقصر الحمراء تحت البرج المسمى " برج المتزين ". وقد أنشئ البرج في عهد يوسف أبو الحجاج، بينما أنشئ المتزين في القرن 16م، وهو قاعة صغيرة منخفضة السقف، تشتمل على صور وزخارف مسيحية (شكل 30).

(1) يوجد على النافورة التي توجد في قاعة بني سراج نقاط حمراء يقال أنها من دم بني سراج عندما قضى عليهم بني الأحمر .

ملحقات قصر الحمراء :

الروضة والمسجد :

خارج قصر الحمراء توجد الروضة وهي مدفن ملوك بني نصر. وكان يوجد في ذلك المكان مسجد الحمراء في جنوب الروضة، والذي أنشأه السلطان محمد الثالث 709 - 720هـ/1309-1320م، وكان مسجداً صغيراً لكنه من أفخم مساجد غرناطة. وعندما احتل الأسبان غرناطة أقاموا به هيكلاً، ثم هدم سنة 984هـ/1576م في عهد فيليب الثاني ابن شارلمان، وأقيمت مكانه كنيسة سانتا ماريا ذات البرج الشاهق . ولم يتبق من آثار هذا المسجد سوى مصباح برونزي بديع محفوظ في متحف مدريد.

قصر جنة العريف ⁽¹⁾ :

يقع شمال شرق قصر الحمراء. بني في أواخر القرن 7هـ/13م، يتكون من مدخل بسيط يؤدي إلى ساحة كبيرة، يتصدرها ممر ذو ثلاثة عقود، نقشته عليه أبيات من الشعر. وكان هذا القصر مصيفاً لسلطين غرناطة، حيث أنه محاط بمحاذيق غناء، تتوسطها البركة والنوافير.

وقد اضافت الملكة " أيزابيلا " طابقاً علوياً كان جزءاً منه متحفاً، ولكن حالته ساءت الآن وخرب، بينما بقي الطابق السفلي الأندلسي الأصيل. ويبدو أنه لا يعود إلى عصر بني نصر، لأنه يشتمل على نص يشير إلى أن أبا الوليد إسماعيل الأول بن فرج جدده سنة 719هـ/1319م بعد انتصاره على don

⁽¹⁾ تعني كلمة العريف في بلاد المغرب والأندلس العماري ، فيقال عرفاء البناء أي المعمارين .

pedro, don juan⁽¹⁾ الوصيين على ملك قشتالة، وكان ذلك سنة 718هـ/ 1319م، وانتصر فيها المسلمون رغم قلة عددهم. وقد وصف الرحالة الإيطالي نافارو navagero قصر جنة العريف سنة 933هـ/ 1526م، وغيره من أجزاء قصور الحمراء قبل أن يقوم الإمبراطور كارلوس الخامس بتغيير الكثير من معالمها.

قصر البرطل :

يقع شرق ساحة السباع، وهو عبارة عن مجموعة من المباني تشمل برج السيدات، وقاعة أمامها رواق، وأمام هذه المجموعة بركة ماء . ويلاصق البرج عدة منازل .

ومن آثار أسرة بني نصر بمدينة غرناطة :-

— فندق الفحم :

بني في القرن 8 هـ/ 14م ، وسمي بهذا الاسم لأنه خصص في القرن 17م لتجارة الفحم، بينما كان يعرف من قبل بالفندق الجديد. ويتكون من مساحة مربعة يؤدي إليها مدخل تذكاري بارز في الضلع الشمالي الغربي.(لوحة 36) ويفضي المدخل إلى ممر مسقوف على أحد جانبيه غرفة الحارس، و على الجانب الآخر غرفة الفندق، ويؤدي الممر إلى فناء مكشوف يتوسطه حوض مياه. ويحيط بالفناء رواق خلفه مجموعة الغرف في ثلاثة طوابق، وتشرف هذه الأروقة على الصحن ببوائك من عقود (لوحة 37).

(¹) شاك، فون : المرجع السابق، ص 145.

الفصل العاشر

تعريف ببعض طرز العائز الإسلامية

في الأندلس

المتزل :

جاء تخطيط المتزل في بلاد الأندلس متمشياً مع الظروف البيئية لهذه البلاد. وقد خضع تخطيط المتزل في الأندلس للشكل الذي كان عليه المتزل في عصور ما قبل الإسلام . إلا أنه قد حدث تطوراً كبيراً في بناء المنازل منذ عهد عبد الرحمن الداخل وبنيه . ولم يتخذ المتزل الأندلسي طابعه المميز إلا في عهد ملوك الطوائف ، وبلغ أوج إزدهاره وتطوره في عهد الموحدين وبني نصر . وقد وصف ابن سعيد المغربي دور الأندلس بأنها في غاية الجمال حتى أنه عندما قارنها بما شاهده من البيوت المصرية جعلها في مرتبة أعلى منها بكثير، حيث وصف البيوت المصرية بأن منظرها يكدر العيون .

ويتكون البيت الأندلسي من جزئين أساسيين ؛ الجزء الأول ويمثل الواجهة الخارجية، ويغلب عليه طابع البساطة ، حيث كان يخلو من الزخرفة ، ويأتي ذلك مخالفاً لما كان عليه الوضع في داخل المتزل، حيث كان يهتم بزخرفته إلى درجة كبيرة، وذلك لأن القسم الداخلي كان يمثل محور النشاط في المتزل، كما أنه يكاد يكون مقر الإقامة الدائمة للنساء .

أما القسم الثاني فيتمثل في داخل البيت ، ويؤدي إليه مدخل يفضي إلى الفناء، بينما كان المدخل في البيوت البسيطة يشكل على هيئة ممر منكسر. وقد حدث تطور في شكل الواجهات، وبصفة خاصة في عصر بني نصر في القرن 7هـ/13م، ويتمثل ذلك في الإهتمام بالجانب الزخرفي، الذي كان يتركز بشكل أساسي على كتلة المدخل، حيث كان المدخل يحاط بأطر وأعتاب مليئة بالزخارف، كما كان يوضع على جانبيه عمودين صغيرين من الرخام، ويعلو العتب فتحات نافذة مزدوجة معقودة ترتكز على عمود أوسط . كما كان

يوجد رفرف يستند على كابولي ؛ نصفه السفلي من الجص، ونصفه العلوي من الخشب، وكلاهما مزخرف بزخارف دقيقة . وكان هذا الرفرف أو المظلة يعمل بهدف حماية الزخارف الجصية، وبلاطات الزليج التي تغطي الواجهة من حرارة الشمس . كما كانت الواجهات الخارجية للمتل تزود في بعض الأحيان "بشراجيب" أو شماسات ، وهي أشبه بالمشربيات في المنازل المصرية. وكانت مثل هذه الشراجيب أو المشربيات تعمل لحجب النساء، كما أنها كانت تغطي الشرفات البارزة ، والتي تعمل على توفير حيز من الظل في الشوارع التي تطل عليها . كما كانت تطل على الواجهة حجرة كبيرة بارزة، تستند على مساند وتعرف بالغرفة البرانية . وكانت مثل هذه الغرف تحجب الضوء، وتخفف حرارة الجو، حيث أنها كانت تمثل ممرات مسقوفة للشوارع التي تعلوها . كما أنها تؤدي في نفس الوقت إلى إستغلال مساحة من الشارع .

ويعتبر الفناء عنصراً أساسياً في عمارة المتزل الأندلسي، وكانت تمتد على جوانبه البائكات، التي تستند على أعمدة رخامية رشيقة . كما كانت جدران الممرات، والتي توجد خلف هذه الأروقة تغطي بالزليج، بينما يتوسط الفناء فوارة أو نافورة للمياه. وقد اقتصرت البيوت البسيطة على وجود آبار للمياه دون وجود الفوارة، وجاءت مثل هذه الفوارت أو الآبار وما يحيط بها من الأشجار متمشية مع طبيعة بعض المدن الأندلسية التي كانت تخلو من الأنهار مثل أشبيلية ومالقة .

وكانت توجد في الأحياء التجارية منازل بسيطة، تتكون من غرفة واحدة تعلو الحانوت يؤدي إليها درج يوجد إلى جانب الحانوت . وكانت تتخلل هذه الغرف فتحات صغيرة للإضاءة والتهوية. ويطلق على هذه الغرف

في مصطلح أهل الأندلس " لفظ مصرية ". ومازال هذا التعبير مستخدماً في اللغة الأسبانية .

ومن أمثلة المنازل في بلاد الأندلس منزل يرجع إلى القرن 9هـ/15م في غرناطة، وكان موجوداً حتى القرن الماضي، إلا أنها هدمت . وتدل الأساسات على أن المنزل كان مكوناً من هو مربع يبلغ طول ضلعه خمسة أمتار، وعلى جوانبه بائكتين، تتكون كل منهما من ثلاثة عقود، بينما كانت الجدران التي توجد خلفها تغص بالزخارف الجصية المتنوعة، التي تشتمل على بعض الكتابات مثل عبارة "التوحيد"، وشعار بني نصر "لا غالب إلا الله"، كما كان يعلو عتب الباب نوافذ توأمية معقودة بعقود نصف دائرية، ترتكز على عمود أوسط، وكان يحلي إطارات هذه العقود زخارف جصية متنوعة، بالإضافة إلى بعض الكتابات منها "العزة لله" . وقد وصف " رويبلز " منزلاً في غرناطة يرجع إلى عصر بني نصر، وذكر أنه مكون من فناء مستطيل، على ثلاثة جوانب منه بوائك من عقود، تستند على أعمدة ، ويؤدي إلى المنزل فتحة باب معقودة . وتغطي جوانب العقد زخارف نباتية . ويغطي الحجرات أسقف جمالونية منحدرية . كما عثر في المرية على أساسات منزل ترجع إلى القرن 8هـ/14م.

مما سبق يتضح أن تكوين المنزل في بلاد الأندلس لم يختلف من حيث التصميم العام عما هو عليه تصميم المنزل في العالم الإسلامي، حيث أنه يعتمد اعتماداً أساسياً على الفناء الداخلي "البهو" الذي تتوزع حوله بقية وحدات المنزل. إلا أنه يتميز ببعض العناصر مثل الغرفة البرانية، التي تغطي جزءاً من الشارع، والرفرف الذي يعلو لواجهات .

القصر:

عندما فتح المسلمون بلاد الأندلس أقاموا في القصور التي كانت موجودة بها، حيث كان لكل مدينة قصبة بداخلها قصر يقيم به الأمير، ويدير شؤون الحكم منه. وقد استولى المسلمون على هذه القصاب مثل قصبة غرناطة، وقصبة باجة . إلا أنه في عهد بني أمية بدأ المسلمون في بناء القصور منذ عهد عبد الرحمن الداخل، وكذلك في عصر عبد الرحمن الناصر، وبلغت مبلغاً كبيراً في عهد الحكم المستنصر. وفي عصر ملوك الطوائف الذي خلف العصر الأموي ازداد الاهتمام ببناء القصور، ومن أهمها قصر الناعورة في طليطلة، وقصر الجعفرية بسرقسطة، وقصر القصبة بمالقة، وقصر السماحية بالمريّة، وقصر الشراحيب بشلب، وقصر ابن عباد في أشبيلية (لوحة 38) .

وقد عثر على بقايا قصر يرجع إلى عصر المرابطين أمكن من خلاله التعرف على الشكل العام الذي كانت عليه عمارة القصر في تلك الفترة، وكانت المصادر التاريخية قد حفلت بأوصاف القصور التي أقامها حكام المرابطين في المدن المختلفة، ومنها قصر البحيرة بالقرب من باب أشبيلية والذي أمده بالمياه من قلعة جابر والقصر الموحدى بقصبة أشبيلية. أما في عصر بني نصر فقد ازداد الإهتمام ببناء القصور، ويعتبر قصر الحمراء، وقصر البرطل، وقصر جنة العريف من أهم نماذج القصور في هذه الفترة. وقد تبقت بمدينة أشبيلية قاعة الجص من القصر الذي أقامه أبو يوسف يعقوب الموحدى على أنقاض أحد القصور من عصر المرابطين، والذي كان يتكون من هو ضيق مستطيل المساحة، في أحد ضلعيه القصيرين يوجد عقد أوسط منكسر، على كل جانب منه ثلاثة عقود صغيرة، وتستند هذه العقود على أعمدة مجلوبة من أحد قصور بني عباد، ويلتف

حول تقوس العقود خطوط متماوجة. أما الجدار المقابل فيتألف من ثلاثة عقود على شكل حدوة الفرس، تستند على عمودين، كما تبقى من هذا القصر قبة مكونة من إثني عشر ضلعاً متقاطعة، وهي تشبه قبة المحراب في جامع تلمسان .

الفندق :

كانت المنشآت التي تخصص لإيواء التجار وعرض بضائعهم تسمى عند اليونان أجورا ، وعند الرومان باسم هوريا . وقد تأثر المسلمون في الأندلس بهذا النمط من المنشآت واتخذوه في مدنها، وكانت مثل هذه المنشآت تسمى في بلاد الأندلس باسم " فونديجا "، وانتقلت إلى الأسبانية باسم " فوندا "، وهو المكان الذي يأكل فيه التزلاء وينامون . ويمثل الفندق في بلاد المغرب والأندلس الحان أو الوكالة ، أو السمسرة في بلاد المشرق الإسلامي ، حيث أنها كانت أماكن تخصص لمبيت التجار، وخزن بضائعهم أو عرضها للبيع ، وكانت تسمى بأسماء السلع التي تباع فيها أو بأسماء أصحابها. وقد كثرت الفنادق في أماكن النشاط الإقتصادي من المدن الأندلسية، والتي تتركز بشكل أساسي في المكان الذي يوجد به الجامع الكبير . وقد ذكر الإدريسي أن مدينة المرية كان بها في النصف الثاني من القرن 6هـ/12م تسعمائة وسبعون فندقا .

أما عن تخطيط الفندق في بلاد الأندلس فإنه يتكون من فناء أو بهو غالبا ما يتخذ الشكل المستطيل، ويتوسط البهو فوارة للسقاية، تحيط به بوائك من العقود، خلفها ممرات يدخل منها إلى الحجرات. وتخصص حجرات الطابق الأرضي لخزن البضائع، كما يوجد بها إسطبل لإيواء الدواب . أما حجرات الطوابق العليا فإنها تخصص لإقامة التجار وعرض بضائعهم. ويؤدي إلى الفندق باب معقود بعقد متجاوز أو منكسر على شكل العقود الموحدة، ويؤدي المدخل إلى ردهة يغطيها قبو نصف اسطواني. وتقوم غرفة الفندق فوق هذه الردهة، وكان المتبع عدم وجود فتحات نافذة أو شرفات في الجدران الخارجية لكافة الغرف التي يتكون منها الفندق، وذلك تجنباً للسرقة ، بينما تستمد الضوء والهواء

من فتحات الأبواب والنوافذ التي تطل على الممرات التي تفتح على البهو، بينما كان من المتبع أن تفتح في الجدار الخارجي لغرفة الفندق فتحة نافذة معقودة بعقدين، تركز على عمود أوسط حتى يمكنه من خلالها مراقبة باب الفندق. وكان المتبع في فنادق الأندلس عدم إشتغالها على مطابخ لإعداد الطعام، بل كان على التزلاء أن يشتروا طعامهم من الخارج. كما لم تكن توجد بالغرف أسرة، بل كان الفندق يزود التزلاء بحصير للنوم عليها. ويظهر مما سبق أن التكوين المعماري بالفندق لا يختلف من حيث الشكل العام أو التفاصيل المعمارية عن نظيره من المنشآت التجارية "الوكالات- الخانات- السماسر" في بلاد الشرق الإسلامي. ومن أهم أمثلة الفنادق في العمارة الإسلامية بالأندلس فندق الفحم بغرناطة⁽¹⁾.

التحصينات:

وصلنا من بلاد الأندلس مجموعة من الحصون، حيث كان للظروف التي مرت بها هذه البلاد، والصراع مع القوى المسيحية التي كانت تتربص لاستعادة سيطرتها عليها، بالإضافة إلى وجود فترات من الصراع بين بعض الأسرات الحاكمة لبلاد الأندلس، أكبر الأثر في الإهتمام بالعمارة الحربية وتحصين المدن. ومن أهم الحصون التي وصلتنا حصن القصر، ويوجد في منطقة الشرف جنوب غربي أشبيلية. وكان هذا الموقع من الأماكن التي اعتاد المعتمد بن عباد أن يقضي فيه أوقات نزهته. وقد أثبتت الحفريات التي أجريت في هذا المكان أن الحصن أقيم على بقايا مبان رومانية قديمة. أما البقايا الإسلامية فيه فتتمثل في

(¹) عن فندق الفحم انظر، الجزء الخاص بالعمارة في عصر بني نصر، من هذا الكتاب.

بقايا الأسوار، ومن الحصون الأخرى حصن المدور الذي يقع على الطريق ما بين قرطبة وأشبيلية، وقد بني هذا الحصن سنة 142هـ/759م. وبنيت أسواره الخارجية بشكل متعرج، حتى تتوافق مع شكل النشز المقام عليه الحصن، كما تتخلل جدرانه أبراج مصمتة.

ومن أشكال الحصون التي وصلتنا القصاب، ومن أهمها قصبة المرية التي تقع في الجزء الشمالي من مدينة المرية على قمة جبل مرتفع، وتمتد القصبة إمتداداً كبيراً من الشرق إلى الغرب، وعلى طول هذا الإمتداد توجد أبراج موزعة بشكل غير منتظم، وكما هو الحال في معظم القصاب فإنه كان يوجد بها باب يصلها بالمدينة، كما كانت تشتمل على مسجد مازالت آثاره باقية. وتمتد القصبة على ثلاثة مرتفعات غير متساوية في ارتفاعها. كما أسفرت أعمال التنقيب عن كشف حمام كان مكوناً من خمس غرف تمتد على صف واحد. ويلاحظ في هذه القصبة أنها تتبع في بعض أجزائها أسلوب البناء المتبع في طراز عصر الخلافة. ومن القصاب قصبة مالقة، التي أقامها الأمير عبد الرحمن الداخل لحماية مدينة مالقة من غارات النورماندين، ثم أعيد بناؤها على أيدي باديس الصنهاجي، وذلك في الفترة من سنة 449هـ/1057م، حتى سنة 457هـ/1064م. ويتخلل أسوارها مجموعة من الأبراج مشيدة من الأحجار مع ملاط بسيط، كما أن الأسوار تجمع في بنائها بين الحجر والآجر. وقد اكتشفت بقايا القصر ومجموعة من الغرف التي كانت مخصصة للعاملين في البلاط.

وعندما توطد ملك المسلمين في بلاد الأندلس قاموا بإنشاء مجموعة من القلاع، وذلك لمواجهة أطماع الأسبان المستمرة، ورغبتهم في طرد المسلمين من

الأندلس. وتدل معظم المدن التي أسسها المسلمون في الأندلس على أنها اكتسبت الصبغة الحربية، ومنها قلعة جابر، وحصن الفرج .

تقع قلعة جابر على بعد 12 كم من أشبيلية. وتعد هذه القلعة من أهم أمثلة الحصون الإسلامية في الأندلس، وتشكل القلعة مدينة صغيرة، تشتمل على كافة المنشآت الخدمية. وقد عرفت باسم قلعة جابر في عهد الموحدين، بينما كان يطلق عليها من قبل اسم قلعة " الرعواق ". وقد جدد الموحدون هذه القلعة وأسوارها، وزودوها بالخنادق، وتشبه أسوارها أسوار أشبيلية. وكانت القلعة تتكون من سياجين، بينهما سور فاصل، يتوسطه باب، وعندما استولى فرناندو على المدينة أجرى إصلاحات بالقلعة، كما أجريت بها إصلاحات في القرن 10هـ/16م، وعندما استولى الفرنسيون على المدينة في القرن 12هـ/18م خربوا أسوارها، كما فتحوا فيها العديد من الفتحات للمدافع، مما أدى إلى تغيير مظهر القلعة، إلا أن أبراج الموحدين مازالت تحتفظ بالكثير من معالمها الأصلية .

الختاتمة

مما سبق يتضح ما يلي :

— ينطبق على عمارة بلاد المغرب والأندلس خاصية الوحدة والتنوع التي تعد من أهم خصائص الفن الإسلامي ، إذ أن هذه العماثر وإن كانت تتبع في تخطيطها النمط التقليدي الذي ساد في معظم بلاد العالم الإسلامي ، إلا أنها تتميز بخصائص تميزها مثل وضع القباب على أجزاء من إسكوب المحراب ، والبلاط الأوسط . وتميزت معظم هذه القباب بأن ظواهرها مضلعة ، بينما كانت بواطن بعضها من ضلوع بارزة ، وهو الطراز الذي ظهر أولاً في بلاد الأندلس ثم انتقل إلى عمارة بلاد المغرب ومنها قبة المحراب في جامع تلمسان. كما تميزت عمارة بلاد المغرب والأندلس بالمآذن المربعة الأبدان المزخرفة بشاء والمداخل التذكارية البارزة. وإنفردت عمارة بلاد الأندلس بالعقود المتراكبة.

— قدمت بلاد المغرب والأندلس تراثاً من العماثر الدينية والمدنية التي تتميز بفخامة البناء وثناء الزخارف ، مما يجعلها من مفاخر الحضارة الإسلامية .

— وفدت على عمارة بلاد المغرب والأندلس تأثيرات متبادلة بينها. كما كان للظروف السياسية دورها في نقل تأثيرات مشرقية إلى بعض بلاد المغرب التي تعرضت للغزو العثماني. ولم يكن الأمر قاصراً على التأثير ، بل أثرت عمارة بلاد المغرب والأندلس بشكل كبير في عمارة بعض بلاد شرق العالم الإسلامي . كما أثرت العمارة الأندلسية في العمارة الأوروبية.

— تعرضت الكثير من العمائر الدينية الأندلسية إلى تغيير لمعاملها وخاصة بعد تحويلها إلى كنائس مما أدى إلى تغيير في تخطيطها بما يتناسب مع إستعمالها ككنائس أو كاتدرائيات. كما حولت صوامعها إلى أبراج للأجراس وقواعد تماثيل .

ملحق

معجم مصطلحات العمارة في المغرب والأندلس

إسكوب :

تجمع أساكيب، وهو مصطلح يطلق في العمارة الإسلامية بشمال إفريقيا والأندلس على المساحة المحصورة بين جدار وبائكة من العقود، أو بين بائكتين من العقود الممتدة موازية لجدار القبلة⁽¹⁾.

باربخانة - باربكانة :

سور يتقدم السور الأصلي للمدينة ويكون أقل ارتفاعاً منه ، وذلك بغرض زيادة التحصين . ويوجد مثال له في سور مدينة أشبيلية .

برشلة :

تطلق على السقف المشكل بهيئة جمالون في بلاد المغرب الأقصى .

بلاط :

هي المساحة المحصورة بين بائكتين أو بين بائكة وجدار ، وتمتد متعامدة على جدار القبلة أو موازية له ، والغالب أن تكون متعامدة على جدار القبلة ، حيث شاع استخدامها في عمارة بلاد المغرب ، ومنها البلاط الأوسط الذي يكون

(¹) أحمد فكري (د) : مساجد القاهرة ومدارسها . المدخل . دار المعارف . القاهرة . 1961م . ص 92 .

أكثر اتساعاً عن بقية البلاطات ، حيث ورد عند " البكري " على نهاية البلاط الأوسط قبة البهو " .

بيت الصلاة :

مقدم المسجد أو ظلة القبلة .

بيلة :

عبارة عن حوض يعرف بهذا الاسم في المصطلح المغربي ، ويعني المكان الذي يجتمع في أسفله الماء، ويتوسط دار الوضوء ⁽¹⁾ .

تربيعة :

يطلق في العمارة الليبية على الجزء من القبو الممتد بطول الرواق، حيث يتم تقسيمه لفواصل ينتج عنها مساحات مربعة ، ومن أمثله في العمارة الليبية تربيعات الأقبية في مسجد " بن مقبل " ، ومسجد " بن سليمان " ⁽²⁾ . ومن أمثله في العمارة التونسية اقباء مسجد بو فتاة في سوسة .

جامور :

تطلق في بلاد المغرب العربي على الجزء العلوي من الصومعة ، ومن ذلك ما ورد عند وصف صومعة الجامع الكبير بقلعة بني حماد بالجزائر من أن الصومعة ما زال معظمها موجوداً إلا القسم الأعلى " السلامات والجامور " ⁽³⁾ .

(¹) سوسن محمود سليمان (د) : جامعة القرويين . ص 92 .

(²) صلاح أحمد البهنسي (د) : العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول . 958 - 1123هـ/1551-1711م . رسالة دكتوراة . كلية الآثار . جامعة القاهرة . 1994 . ص 315.

(³) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص ص 315-316 .

حجرة مواقيت :

الحجرة التي تجاور الصومعة من أعلى سطح المسجد ، وكانت تحتوي على مجموعة من المنجانات " الساعات " . ويذكر " تيراس " أن هذه الحجرات لم تظهر بهذا الترتيب إلا مع أوائل المساجد المرينية . وهناك حجرة تسمى " مبيت المراعي " ، وهي حجرة مخصصة لإقامة مراعي أوقات الصلاة في المساجد، وكانت تجاور الصومعة ، وتخصص لإقامة الموقت لأوقات الصلاة ⁽¹⁾ .

حدارة :

مكعب من الحجر أو الرخام يوضع ما بين القرمة والطنفة أعلى تيجان الأعمدة، وذلك لزيادة ارتفاع المساند التي تستند عليها أرجل العقود، وبصفة خاصة في العمائر التي كانت تتميز أبدان الأعمدة فيها بالقصر كما هو الحال في جامع عقبة ابن نافع بالقيروان ، والجامع الأزهر في العصر الفاطمي ⁽²⁾ .

حرد :

تطلق في بلاد المغرب على الشكل الغير متساوي الأضلاع ، فيقال على سبيل المثال صحن حرد ، وتعني صحن أضلاعه غير متساوية .

حمام :

استخدم لفظ الحمام في العمارة الليبية في طرابلس منذ العصر العثماني الأول للدلالة على نوع آخر من العمائر كان مخصصاً لإيواء الأسرى الأوروبيين .

(¹) محمد محمد الكحلوي (د) : مساجد الموحدين في المغرب الأقصى والأندلس . ص ص 518 - 519 .

(²) أحمد فكري (د) : مساجد القاهرة ومدارسها . ج 1 . العصر الفاطمي . ط 1 . دار المعارف . القاهرة . 1965 . ص 52 .

وكما ذكر الأسير الأوروبي " جيرارد " فإن هذه التسمية لأماكن إيواء الأسرى قد جاء بها الأسرى أنفسهم ، وشاعت في أوساطهم . حيث كان العرب يطلقون على مثل هذه الأماكن " زنزانة " ⁽¹⁾ .

خصة :

مصطلح أهل المغرب ، ويشمل الأنبوب الذي يخرج منه الماء ، والحوض الذي يتجمع فيه الماء ، ومن أمثله الخصة الحسنة التي أضافها الموحدون بجامع القرويين بفاس في عام 599هـ/1203م ، وهي في الاصطلاح المغربي تعني فوارة المياه . كما يطلق على الخصة مصطلح سقاية ، حيث عرفت الخصة السابقة باسم السقاية، وعندما تداعت في عهد الأشراف السعديين أقاموا بدلاً منها سقايتين متواجهتين على جانبي الصحن ⁽²⁾ .

رباط :

مكان مخصص لإقامة الجند المرابطين للمراقبة والزود عن ديار الإسلام ، وحماية الثغور . وهو منشأة حربية ذات وظيفة دينية . وقد انتشرت الأربطة على امتداد السواحل والحدود ، حتى قيل أن الخير كان ينتقل من طنجة في المغرب الأقصى إلى الإسكندرية في نفس الليلة ، وذلك عن طريق إشعال النيران في قمم الأبراج التي توجد في هذه الأربطة هذا إذا ما تعرضت البلاد إلى خطر أو هجوم في الليل. أما إذا حدث خطر في النهار ، فيكون إبلاغ ذلك عن طريق الدخان .

(¹) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص 316 .

(²) سوسن سليمان (د) : مرجع سابق . ص ص 98 ، 107 .

ومن أهم أمثلة الأربطة رباط سوسة، ورباط المنستير في تونس . ويشتمل الرباط على مجموعة من أبراج الدفاع والمراقبة تتخلل جدرانها الخارجية ، بالإضافة إلى حجرات مخصصة لسكن المرابطين، ومسجد أو مصلى، واسطبل للخيل ، وبعض المرافق من المطابخ ودورات المياه .

ربض:

الحلي الذي يوجد خارج أسوار المدينة في بلاد الأندلس.

ركابة :

تطلق على الجلسة الحجرية أو الرخامية " المسطبة " التي توجد في عمائر طرابلس الدينية سواء على جانبي دركاة المدخل كما في مدرسة عثمان باشا الساقزلي ، أو في أحد جوانب الفناء المكشوف الذي يحيط ببيت الصلاة ، أو على جانبي المحراب في داخل بيت الصلاة ، والتي كانت تخصص لجلوس المعلم أثناء إلقاء الدرس .

والركابة على جانبي دركاة المدخل في عمائر طرابلس الغرب تماثل المسطبة أو المكسلة في العمائر المملوكية في مصر والشام ، غير أنها وضعت بداخل الدركاة ، وذلك لأن مداخل عمائر طرابلس لم تكن موضوعة في داخل حجور كالتى كانت توضع بها المداخل المملوكية ⁽¹⁾ .

روشن :

تطلق في العمارة الليبية على فتحات النوافذ بكافة أنواعها ⁽²⁾ .

(¹) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 318 .

(²) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 319 .

روضة :

تطلق على الضريح الذي يلحق بالعمائر الدينية في مختلف بلدان الشمال الإفريقي⁽¹⁾ . حيث كان المتبع في عمائر مدينة طرابلس في العصر العثماني وضع ضريح للمنشئ خلف المحراب، كما كانت توجد بالمدارس مثل هذه الأضرحة وتكون إلى جانب بيت الصلاة ومن أمثلتها الضريح في مدرسة عثمان باشا الساقزلي، كما تطلق على أحواش الدفن ، مثل روضة بني نصر جنوب قصر الحمراء .

زلاقة :

تستخدم في عمارة شمال إفريقيا للدلالة على الدعامات المائلة الساندة للجدران الخارجية للبناء كوسيلة لتدعيم الجدران بداية من العصر الحفصي في تونس وليبيا، وذلك عوضاً عن استخدام الأبراج الأسطوانية أو المستطيلة التي كانت تدعم جدران المباني في الفترات السابقة، كما في رباط سوسة ورباط المنستير . ومن أمثلة استخدام الزلاقات كدعامات مساندة في العمارة الحفصية زلاقات جامع الهواء في تونس القرن 7هـ/13م ، ودعائم جامع عقبة بن نافع بالقيروان، التي أضيفت في العصر الحفصي⁽²⁾ .

زنقة :

(¹) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 319 .

(²) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 438 .

الممر الضيق الذي يصل بين شارعين أو الممر المسدود ، وتتفرع الزنقات أو الزناق من الشوارع التي تتخلل المدينة، كما بزناق شوارع المدن العريضة والإسلامية، وبصفة خاصة في المدن القديمة في بلاد شمال أفريقيا والمغرب (1) .

سدة :

تطلق على دكة المبلغ في ليبيا لفظ السدة ، والتي تنسحب أيضاً على الأسرة الخشبية في خلاوى الطلبة أو غيرها (2) . كما ذكرت الكاتبة " توللي " عند وصفها لمقر إقامة يوسف باشا القرمانللي في قلعة طرابلس " السراي الحمراء " بأن الصالة محاطة بثماني حجرات تسمى أربع منها " سدات " وتستخدم غرفاً للنوم (3) .

سقاية :

تعرف الأسبلة في بلاد المغرب الأقصى باسم " سقايات " ، ومن ذلك على سبيل المثال سقايات جامع القرويين في مدينة فاس بالمغرب الأقصى .

ضرب الباب :

طريقة من طرق البناء المستخدمة في العمارة الليبية الدينية والمدنية ، ويستخدم فيها خليط من الجير والرماد أو الرمل وأجزاء من الحجر الجيري أو الآجر والماء ، ويصب الخليط في قوالب من خشب، ويدك جيداً حتى يصبح على هيئة قوالب متماسكة تستخدم في البناء (4) .

(1) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 321 .

(2) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص 321 .

(3) توللي : عشرة أعوام في طرابلس . ص ص 260 - 261 .

(4) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 322 .

طابية :

مزيج من التراب والجير والأحجار الصغيرة، وهي طريقة مستخدمة في البناء في إفريقيا وأسبانيا منذ العصر الروماني، فقد ذكر بلينيوس Plinio صلابة الجدران التي تقام من هذا الخليط، وأنها تدوم طويلاً، وتقاوم المطر والعواصف والسنيران، وأصلب من كل ألوان الملاط " وقد سبقه في ذكر هذه المادة ابن خلدون (1) . وهي طريقة مازالت مستخدمة في شمال أفريقيا (2) . ومن أهم أمثلة المباني المشيدة بالطابية قصور الحمراء في غرناطة .

عرصة :

يطلق في ليبيا على العقد أو القوس ، ومن ذلك مثلاً شارع الأربع عرصات بمدينة طرابلس القديمة ، والذي سمي بهذا الاسم لوجود أربعة عقود على امتداده . وقد تعني الكلمة كل بقعة متسعة بين الدور ليس فيها بناء (3) .

عزة :

هي الحربة أو اللواء الذي يركزه شيخ القبيلة في الصحراء لتحديد اتجاه القبلة . والمعروف أن مثل هذا الأمر قد اتبع في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وقد ورد في كتاب الجامع من صحيح البخاري أن بلالاً كان يحمل العزة أمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المصلى في العيدين فيركزها في الأرض، ويحدد بها القبلة والسترة (4) .

(1) ابن خلدون. عبد الرحمن : المقدمة ، ج2، ص 320 .

(2) هوست : أخبار المغرب ، ص 263 .

(3) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 322 .

(4) العسقلاني ، ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري . الجزء الأول . ص 106 .

وتطلق العترة في بلاد المغرب على الحاجز الخشبي الذي يفصل ظلة القبلة عن بقية أجزاء المسجد . وكانت عبارة عن ألواح بسيطة من خشب الأرز كما يجامع القرويين ⁽¹⁾ . كما تطلق العترة بشكل أساسي على المحراب الصغير الذي يتخذ في إحدى الدعامات المشرفة على الصحن لتحديد اتجاه القبلة للمصلين في صحن المسجد .

وقد انتقل هذا العنصر من بلاد المغرب إلى مصر ، وظهر في زيادة الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله في الجامع الأزهر في سنة 524-544هـ/1129-1149م ، وكذلك في سقيفة مشهد السيدة رقية بمدينة القاهرة 528هـ/1133م ⁽²⁾ .

عين الزرزور :

فتحة صغيرة في أرضية شرفات المنازل الليبية ، وخاصة الشرفة التي تبرز عن جدران الطابق الثاني ، وتعلو باب الدخول إلى المتزل مباشرة ، حتى يمكن من خلال هذه الفتحة الصغيرة رؤية الواقف بالباب ، بينما لا يستطيع الواقف بالباب رؤية من بالشرفة لضيق هذه الفتحة ⁽³⁾ .

غورارة :

⁽¹⁾ سوسن سليمان يحيى (د) : مرجع سابق . ص 93 .

⁽²⁾ أحمد فكري (د) : مرجع سابق . العصر الفاطمي . ص 141 - 142 .

⁽³⁾ صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 322 .

إحدى طرق البناء المستخدمة في العمارة الإسلامية الليبية ، وهي عبارة عن رص قطع من الحجر الجيري الغير مشذبة ، ثم يصب فوقها نوع من الملاط المكون من الطين⁽¹⁾ .

فورجة :

تطلق في بلاد الأندلس على البناء الذي يمتد متعامداً ما بين السور الأصلي للمدينة والسور الأمامي القصير " البربخانة " ، وذلك بغرض تقويتها، أو لكي يكون قناة لنقل المياه من النهر إلى المنشآت داخل السور .

فندق :

استخدمت كلمة فندق في بلاد المغرب العربي من ليبيا إلى المغرب وبلاد الأندلس للدلالة على المنشآت المخصصة لإيواء التجار وعرض وتخزين بضائعهم. ومن أمثلة الفنادق فندق الزهر ، وفندق ميزران بمدينة طرابلس . وإن كانت كلمة فندق قد ارتبطت بهذه المنشآت في بلاد المغرب والأندلس، إلا أنها قد ظهرت في النص المنقوش فوق باب مدخل فندق العروس والمعروف باسم خان العروس ، والذي شيد في عهد صلاح الدين الأيوبي عام 577هـ/1181م بالقرب من بلدة القطينة على طريق القوافل بين دمشق وحمص⁽²⁾ .

قبة البهو :

(¹) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 323 .

(²) منظمة المدن والعواصم الإسلامية : أسس التخطيط المعماري والتصميم الحضري لمدينة القاهرة الإسلامية . ص 479 .

القبة التي تعلو مقدمة البلاط الأوسط من ناحية الصحن . وهي تقليد مغربي ظهر في مسجد القيروان بتونس ، ضمن إضافات سنة 261هـ/875م . كما ظهرت بمسجد الزيتونة بمدينة تونس ضمن الإضافات الفاطمية في عام 381هـ/991م . وظهرت في المساجد الفاطمية في الجامع الأزهر ضمن إضافة الحافظ لدين الله بين سنتي 526-544هـ/1131-1149م .⁽¹⁾

قصبة :

قصبة المدينة هي الشارع الأعظم بها . وتمثل أكبر شوارعها اتساعاً . وتقسم المدينة إلى شطرين ، ويتوزع على جانبيها باقي خطط وشوارع المدينة . وتطلق كلمة قصبة في شمال إفريقيا والمغرب والأندلس على القلعة أو الحصن الذي يشيد وسط المدينة، أو في جانب منها ويتصل بأسوارها، وتعمل القصبة كخط دفاع ثاني عن المدينة، وعادة ما كانت تشتمل على مقر إقامة الحاكم أو الوالي⁽²⁾.

مجنية :

هي الظلة المقامة على جانبي الصحن من الناحيتين الشرقية والغربية .

مربوط - مربوط :

كلمة تطلق في شمال أفريقيا على الضريح المستقل الغير ملحق بأي مباني . وهو عبارة عن مساحة صغيرة مربعة يتخللها فتحة باب ، وتغطي بقبة ذات قطاع مدبب أو نصف كروية صغيرة ، وفي كل ركن من نهايات الجدران من أعلى

(1) أحمد فكري (د) : مرجع سابق . العصر الفاطمي . ط 1 . ص 141 .

(2) أسامة طلعت عبد النعيم (د) : المدخل المنكسر . ص 331 .

شرافة حجرية بسيطة ⁽¹⁾ . ويطلق في بلاد المغرب على الأضرحة الصغيرة المغطاة بقباب "مربوط" ⁽²⁾ .

مربعة :

هي المساحة المنحصرة بين أربعة أعمدة أو أربع دعامات ، سواء كانت في بيت الصلاة، أو في مؤخرة المسجد، أو في مجنبته من مجنباته ⁽³⁾ .

مربوعة :

حجرة تلي باب الدخول في منازل طرابلس ، وتؤدي إليها فتحة باب من دركاه المدخل ، كما يفصل بينها وبين بقية وحدات المنزل فتحة باب أخرى ، وتسمى مربوعة لأنها تحتفظ في معظم الأحيان بالشكل المربع ⁽⁴⁾ . وتخصص لاستقبال وإقامة الضيوف ، ويلحق بها في معظم الأحيان دورة مياه .

مساتريح :

يطلق في طرابلس الغرب على الشرفة التي تتقدم وحدات الطوابق العليا من المنازل، وتطل على الفناء الأوسط ، حيث تستند على أعمدة رخامية أو خشبية، ويهتم بزخرفة هذا الجزء من البناء بالزخارف الجصية القالبية ⁽⁵⁾ .

مسيل :

(¹) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 323 .

(²) كمال الدين سامح (د) : العمارة في صدر الإسلام . ص 166 .

(³) أحمد فكري (د) : مساجد القاهرة ومدارسها . المدخل . ص 92 .

(⁴) صلاح أحمد البهنسي (د) : المرجع السابق . ص 324 .

(⁵) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 324 .

لفظ محرف عن كلمة مسجد، وقلب الجيم ياء توجد في لغة أهل اليمن وبلاد المغرب . ومن المرجح أن هذه التسمية ترجع إلى عصر الدولة الموحدية عندما كانت مسيطرة على شمال إفريقيا من طنجة إلى طرابلس⁽¹⁾ . ويوجد في تونس أثر يسمى " مسيد القبة " الذي تعلم فيه العلامة ابن خلدون⁽²⁾ .

مشكاة :

دخلة حائطية صغيرة معقودة غير نافذة في جدران المساجد والمنازل في عمارة شمال إفريقيا ، وتخصص لوضع أدوات الإضاءة⁽³⁾ .

مشور :

الساحات الخارجية في القصور الملكية في بلاد المغرب والأندلس⁽⁴⁾ .

مصرية :

غرفة صغيرة تعلو مداخل المنازل أو الفنادق في شمال إفريقيا والمغرب والأندلس ، وتخصص في معظم الأحيان لإقامة الحارس أو المستول عن الفندق، لأنها تعلو باب الدخول ، كما تشرف على الطريق، مما يتيح له المراقبة والحراسة⁽⁵⁾ .

مظمور :

(¹) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 324 .

(²) سليمان مصطفى زبيس : مرجع سابق . ص ص 105-106 .

(³) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 325 .

(⁴) أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ) : روضة الآس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيه من

أعلام الحضرتين مراكش وفاس . تحقيق عبد الوهاب بن منصور . المطبعة الملكية . الرباط . 1964م.

جـ 12 . ص 13 .

(⁵) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 325 .

دهليز أو سرداب أسفل المنازل والقصور يخصص لخزن بعض الأشياء الثمينة ، كما يستخدم في بعض الأحيان كسجن لإيواء الأسرى⁽¹⁾. وقد اكتشف رفينو المطامير التي كانت توجد أسفل منازل مدينة تونس ويحفظ فيها السكان أشياءهم الثمينة ومواد المعيشة⁽²⁾.

مقربص :

تطلق في بلاد شمال إفريقيا وبلاد المغرب والأندلس على حلية معمارية⁽³⁾ تتكون من قطع من الحجر أو الخشب على شكل عقود صغيرة تكون متجاورة ، وكل مجموعة منها تسمى حطة . وتستعمل حطات المقرنصات أعلى الحوائط أو الحنيات أو المداخل أو بمناطق انتقال القباب . وقد ظهرت المقرنصات لأول مرة بعبادة باب مدفن جنبادي كابوس في جورجان بإيران 397هـ/1006-1007م . وفي مصر وجدت المقرنصات لأول مرة في كورنيش الجزء السفلي من صومعة مسجد الجيوشي بالقاهرة 478هـ/1085م⁽⁴⁾ .

منجنانة :

تطلق في بلاد المغرب على الساعة الدقاقة وتحتفظ المدرسة البوعنانية في فاس بساعة دقاقة " منجنانة " صنعها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني سنة 758هـ/1356م .

(1) صلاح أحمد البهنسي (د) : مرجع سابق . ص 326 .

(2) عبد العزيز الدولتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، ص 209.

(3) سليمان مصطفى زبيس : القبة التونسية . دراسات في الآثار الإسلامية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة 1979م . ص 95 .

(4) منظمة المدن والعواصم الإسلامية : مرجع سابق . ص 442 .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. ابن أبي زرع : القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . الرباط . 1973 .
2. ابن بطوطة : " محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي " ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت . د.ت
3. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي)، صورة الأرض (المسالك والممالك)- طبعة ليدن 1873
4. ابن خلدون . عبد الرحمن : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1971 .
5. ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، السفر الثاني ، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، 1964م .
6. البكري . أبو عبيد : المسالك والممالك - الجزء الخاص بشمال أفريقيا ، الطبعة الثانية ، الجزائر 1957 .
7. التجاني (ابو محمد عبد الله بن محمد) ؛ رحلة التجاني في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي (706-708هـ) نقله حسن حسني عبد الوهاب - تونس 1958.

8. التلمساني ، أحمد بن محمد: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس . ج 12. تحقيق عبد الوهاب بن منصور . المطبعة الملكية . الرباط . 1964م.
8. الجزنائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس. الرباط . 1387هـ/1967م.
9. المقرئ : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، 3 أجزاء ، طبعة بولاق .

المراجع العربية

1. أحمد فكري (د) : المسجد الجامع بالقيروان ، دار المعارف ، 1936 .
2. _____ : العمارة في الأندلس ، مجلة أنكاتب المصري ، مجلد 2 ، عدد 4 يناير 1946م .
3. _____ : مسجد الزيتونة ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد 4 ، عدد 2 سنة 1952م .
4. _____ : مساجد القاهرة ومدارسها- المدخل ، دار المعارف ، القاهرة ، 1961 .
5. _____ : مساجد القاهرة ومدارسها- الجزء الأول : العصر الفاطمي، دار المعارف ، القاهرة ، 1965 .
6. أسامة طلعت عبد النعيم (د) : ملامح تخطيط المدخل المنكسر في العمارة الدفاعية . كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الأثرين العرب . القاهرة . 1999م .
7. _____ : العمارة الإسلامية في الأندلس . القاهرة . 2000 .
8. _____ : العمارة الإسلامية الدفاعية في مدينة لبله، حوليات إسلامية، العدد 37، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 2003 .

9. سليمان مصطفى زبيس : آثار الدولة الحسينية بالقطر التونسي، إدارة الآثار والفنون الجميلة بتونس، مطبعة سابي تونس 1955.
10. _____ : القبة التونسية . دراسات في الآثار الإسلامية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة 1979م .
11. سوسن سليمان يحيى (د) : جامعة القرويين . ملتقى مدارس العمارة بالمغرب الإسلامي . مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة . العدد 8 . 1997م .
12. شاك، فون: الفن العربي في أسبانيا وصقلية، ترجمة الدكتور / أحمد مكى. دار المعارف 1985.
13. صلاح أحمد البهنسي (د) : العمارة الدينية في طرابلس في العصر العثماني الأول . 958 - 1123هـ/1551-1711م . رسالة دكتوراة . كلية الآثار . جامعة القاهرة . 1994.
14. عبد الحميد عبد السيد : مسجد قديم بمدينة سرت : ترجمة عديلة حسن مياس . مجلة ليبيا القديمة ، منشورات مصلحة الآثار الليبية . طرابلس . المجلدان الثالث والرابع 1966-1967م . روما 1968. ص ص 72-75 .
15. عبد العزيز الدولاتلي :مدينة تونس في العهد الحفصي .تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، دار سراس للنشر . تونس .د.ت.
16. عبد الله عنان (د) : الآثار الأندلسية الباقية في آسيا والبرتغال، القاهرة، 1961م.

17. عبد الهادي التازي (د) : جامع القرويين . الحروف المنقوشة في خدمة الآثار. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. القاهرة . 1973.
18. على فهمى خشيم (د) : الحاجة من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، ط1، طرابلس، 1974م.
19. فاروق صادق عسكر : مئذنة المسجد الجامع بالقبروان .دراسة أثرية تحليلية . مجلة دراسات أثرية إسلامية . المجلد الثالث . هيئة الآثار المصرية القاهرة . 1988.
20. الفاضل بن عاشور : أثر الحفصيين في إنشاء المدارس في المغرب، الجزء الأول، تونس ، فاس، 1945 .
21. فريد شافعي (د) : العمارة العربية في مصر في عصر الولاة . المجلد الأول . القاهرة . 1971 .
22. كريسويل : الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادي عبيلة ، ط 1 ، دار قتيبة ، دمشق ، 1984 .
23. كمال الدين سامح (د) : العمارة في صدر الإسلام ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . القاهرة ، 1964.
24. محمد حسن سعد (د) : المهدية في الإسلام ، ط 1 ، مصر ، سنة 1953م
25. محمد السيد عبد العزيز سالم (د) : بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية ، مجلة المجلة ، عدد 12 لسنة 1957 .

26. _____ : بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطرد ، عدد 1 ، 2 ، 1957م .
27. _____ : أثر الفن الخلافي بقرطبة في العمارة المسيحية بأسبانيا وفرنسا ، مجلة المجلة ، عدد 14 لسنة 1958 .
28. _____ : العمارة الحربية بالأندلس ، مقالة بدائرة معارف الشعب ، عدد 64 ، كتاب الشعب 1959 .
29. _____ : التأثيرات المعمارية في الأندلس في عمارة المغرب الأقصى ، التأثيرات الأندلسية في تونس ، التأثيرات الأندلسية في الجزائر ، مقالة بدائرة معارف الشعب ، عدد 64 ، كتاب الشعب 1959 .
30. _____ : الأندلس ، مجموعة مقالات عن تاريخ مدن الأندلس ، دائرة معارف الشعب ، عدد 61 ، القاهرة 1959 .
31. _____ : العمارة الدينية بالأندلس ، دائرة معارف الشعب ، عدد 61 ، سنة 1959 .
32. _____ : جامع قرطبة ، كتاب الشعب ، عدد 78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ 2 ، عام 1960 .
33. _____ : مسجد القرويين بفاس ، كتاب الشعب ، عدد 78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ 2 ، عام 1960 .

34. _____ : جامع الأندلسيين ، كتاب الشعب ،
عدد 78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ 2 ، عام 1960.
35. _____ : مدارس فاس ، كتاب الشعب ، عدد
78 ، بيوت الله مساجد ومعاهد . جـ 2 ، عام 1960.
36. _____ : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس
، بيروت ، عام 1962 .
37. _____ : العمارة الإسلامية في الأندلس
وتطورها ، مجلة عالم الفكر ، عدد 1 ، دراسات إسلامية ، 1984 .
38. _____ : قصور أشبيلية في العصر الإسلامي ،
مجلة عالم الفكر ، عدد 3 ، المجلد 15 لسنة 1984 .
39. محمد محمد الكحلاوي (د) : مساجد المغرب والأندلس في عصر
الموحدين ، ج1 ، القاهرة ، د.ت .
40. _____ : المدارس المغربية . دراسة أثرية
معمارية . مجلة العصور . المجلد السادس . الجزء الأول . 1991 م .
41. _____ : عمارة المدرسة بين مصر والمغرب
دليل على التواصل الحضاري . كتاب الندوة العلمية الأولى لجمعية
الأثرين العرب . القاهرة . 1999 م .
42. محمد محمود الجهيني : مساجد درنة الأثرية وعناصرها الشرقية والمغربية
تأكيد للتواصل الحضاري مع ليبيا ، ضمن كتاب أعمال الندوة العلمية
الأولى لجمعية الأثاريين العرب . القاهرة 1999.

43. مسعود رمضان شقلوف وآخرون : موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج1، منشورات مصلحة الآثار الليبية ، طرابلس ، د.ت
44. مورينو ، ممانويل جوميث : الفن الإسلامي في أسبانيا . ترجمة لطفي عبد البديع (د) ، السيد محمود عبد العزيز سالم (د) .مراجعة جمال محمد محرز .الدار المصرية للتأليف والترجمة
45. ميساننا ، غاسبري : المعمار الإسلامي في ليبيا، ترجمة على الصادق حسنين ، طرابلس، 1973م .
46. ميكاكى ، رودلفو : طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القره مانلى، تحقيق كمال الخربوطلى، مراجعة حسن محمود، كمال الدين عبد العزيز الخربوطلى، القاهرة، 1961م.

المراجع الأجنبية

1. Lezine. A. : Mahdiya. Paris. 1965.
2. El- Mahmoudy, A : Post Fifteenth Century A.D Architecture. in Libya. M.A Thesies. Victoria Univ. Canada, 1985.
3. Maslow. B. Les Mosques de Fes et Noad de Maroc Paris. 1934.
4. Terrasse.H La Grande Mosquee de Taza, Paris 1956
5. Warfilli, M.S ; The Old City of Tripoli (AARP), Tripoli ,1976.

فهرس الأشكال

- شكل (1) : مسقط أفقي لجامع عقبة بن نافع بالقيروان .
- شكل (2) : مسقط أفقي لجامع الزيتونة بتونس .
- شكل (3) : شكل توضيحي للتكوين المعماري والزخرفي لمئذنة جامع الزيتونة بتونس.
- شكل (4) : مسقط أفقي لمسجد بوفتاتة في سوسة .
- شكل (5) : مسقط أفقي للجامع الكبير في سوسة .
- شكل (6) : أشكال مختلفة للتيجان الحفصية كما ظهرت في عمائر طرابلس وتونس .
- شكل (7) : مسقط أفقي للطابق الأرضي في رباط سوسة .
- شكل (8) : مسقط أفقي للمسجد في الطابق العلوي في رباط سوسة .
- شكل (9) : مسقط أفقي للجامع الكبير بالمهدية .
- شكل (10) : مسقط أفقي للمسجد الجامع بتلمسان .
- شكل (11) : مسقط أفقي لجامع القرويين في فاس يبين الإضافات التي أضيفت إليه حتى نهاية العصر المريني .
- شكل (12) : مسقط أفقي لجامع القرويين في فاس والمدارس الملحقة به .
- شكل (13) : مسقط أفقي للمسجد الجامع في تنمل .
- شكل (14) : مسقط أفقي لجامع تازي الموحدي .

- شكل (15) : مسقط أفقي لجامع تازى الموحيدي والمرييني .
- شكل (16) : مسقط أفقي لجامع الكتبية الأول .
- شكل (17) : مسقط أفقي لجامع الكتبية الثاني .
- شكل (18) : مسقط أفقي للجامعي الكتبية الأول والثاني .
- شكل (19) : مسقط أفقي لجامع القصبة في مراكش .
- شكل (20) : مسقط أفقي للمدرسة المستنصرية في تونس .
- شكل (21) : مسقط أفقي للمدرسة البوعنانية بمدينة فاس في المغرب
- شكل (22) : مسقط أفقي لمدرسة عثمان باشا الساقزي بمدينة طرابلس الغرب
- شكل (23) : مسقط أفقي لجامع يوسف داي بمدينة تونس .
- شكل (24) : مسقط أفقي لجامع أحمد باشا القره مانلي بمدينة طرابلس الغرب
- شكل (25) : مسقط أفقي لجامع قرطبة في عهد عبد الرحمن الثاني .
- شكل (26) : مسقط أفقي لجامع قرطبة بعد زيادة المنصور محمد بن علي فيعهد هشام بن الحكم .
- شكل (27) : مسقط أفقي لمسجد باب مردوم في طليطة .
- شكل (28) : مسقط أفقي لمسجد الدباغين في طليطة .
- شكل (29) : مسقط أفقي لجامع القصبة في أشبيلية .
- شكل (30) : مسقط أفقي لقصر الحمراء في غرناطة .

فهرس اللوحات

- لوحة (1) : منبر جامع عقبة بن نافع بالقيروان .
- لوحة (2) : تفصيل لأشكال الزخارف في منبر جامع عقبة بن نافع .
- لوحة (3) : قبة البهو بجامع عقبة بن نافع .
- لوحة (4) : المقصورة الخشبية بجامع عقبة بن نافع .
- لوحة (5) : البلاطات الخزفية على جانبي محراب جامع عقبة بن نافع .
- لوحة (6) : أشكال الأعمدة وتيجانها والحدارات بجامع عقبة بن نافع .
- لوحة (7) : صومعة جامع عقبة بن نافع .
- لوحة (8) : واجهة البلاط الأوسط ناحية البهو ومناطق إنتقال القبة التي تعلوه .
- لوحة (9) : الكتابات التسجيلية على واجهة السقيفة التي تتقدم جامع الزيتونة .
- لوحة (10) : منظر عام للجامع الكبير في سوسه ، يظهر فيها الظلات والصحن والقباب والأبراج .
- لوحة (11) : باب زويلة وجزء من سور مدينة المهدية .
- لوحة (12) : المدخل المؤدي إلى السقيفة الكحلة بمدينة المهدية والبرجان على جانبيه .
- لوحة (13) : صومعة جامع القرويين في فاس وحجرة المؤذن .

- لوحة (14) : منبر جامع القرويين في فاس .
- لوحة (15) : الأبواب التي تطل على البهو بجامع القرويين ويزخرفها الزخارف الثعبانية، كما تظل القبة التي تعلو بلاطة البهو .
- لوحة (16) : قبتا المسجد والضريح في مدرسة عثمان باشا السافزلي بمدينة طرابلس الغرب .
- لوحة (17) : منبر الجامع الجديد بمدينة تونس
- لوحة (18) : الشرفة بداخل بيت الصلاة بجامع حمودة باشا بمدينة تونس .
- لوحة (19) : مئذنة جامع يوسف داي بمدينة تونس .
- لوحة (20) : مئذنة جامع محمود خاذاندار بمدينة طرابلس الغرب .
- لوحة (21) : منظر عام لمسجد قرطبة في الأندلس .
- لوحة (22) : صومعة جامع قرطبة .
- لوحة (23) : أحد أبواب الجامع الكبير بقرطبة وتظهر الرسوم الآدمية أعلاه بعد تحويل المسجد إلى كنيسة .
- لوحة (24) : إحدى واجهات مسجد قرطبة، ويظهر بها الزخرفة من تشبيكات العقود.
- لوحة (25) : العقود المتراكبة في بوائك جامع قرطبة .
- لوحة (26) : مداخل مسجد باب مردوم والعقود المتشابكة التي تعلوها.
- لوحة (27) : الواجهة الشمالية لمسجد باب مردوم بطليطلة .
- لوحة (28) : برج الذهب بمدينة أشبيلية .
- لوحة (29) : سور مدينة أشبيلية
- لوحة (30) : صومعة جامع قصبة أشبيلية " الخير الدا " .

- لوحة (31) : سماعة باب صومعة جامع قصبة أشبيلية " الخيرالدا"
- لوحة (32) : برج قمارش وجزء من الرواق الشمالي بقصر الحمراء في غرناطة .
- لوحة (33) : شعار أسرة بني نصر " لاغالب إلا الله "
- لوحة (34) : ساحة السباع بقصر الحمراء في غرناطة .
- لوحة (35) : الأعمدة والعقود والنقوش التي تعلوها في ساحة السباع بقصر الحمراء .
- لوحة (36) : مدخل فندق الفحم في غرناطة .
- لوحة (37) : فناء وأروقة فندق الفحم في غرناطة .
- لوحة (38) : جانب من قصر ابن عباد في أشبيلية .

نماذج الأسئلة

أسئلة الفصل الأول :

- 1- اعتمد تخطيط مساجد بلاد المغرب على عناصر أساسية. اكتب عن أهم عناصر تخطيط المسجد في بلاد المغرب.
- 2- تميزت عمارة الصومعة "المئذنة" في بلاد المغرب بعدة خصائص. اذكر أهم عناصر التكوين المعماري والزخرفي للمئذنة في بلاد المغرب.
- 3- ينقسم الطراز المعماري في بلاد الأندلس إلى ثلاثة طرز رئيسية. اكتب عن المميزات التي تميز كل طراز منها.

أسئلة الفصل الثاني:

- 1-مرت عمارة جامع عقبة بن نافع بالقيراون بعدة مراحل. تتبع الإصلاحات والتجديدات التي طرأت على جامع عقبة بن نافع منذ إنشائه حتى نهاية العصر الفاطمي.
- 2- يعتبر جامع الزيتونة في مدينة تونس من أهم مساجد بلاد المغرب. اكتب عن تخطيط المسجد وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.
- 3- يمثل رباط سوسة نمودجا متميزا لعمارة الرباط في بلاد المغرب في العصر الإسلامي. اكتب عن تخطيط الرباط وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.
- 4- على الرغم من صغر مسجد بوفتاته في مدينة سوسة إلا أنه يشتمل على عناصر معمارية كان لها تأثيرها في العمارة الفاطمية. اكتب عن تخطيط المسجد وطراز تغطيته ومظاهر تأثيره في العمارة الفاطمية.

5- يجمع جامع سوسة الكبير بين عناصر الطراز المعماري الأغلي والطراز المعماري الفاطمي. تحدث عن عمارة المسجد في عصر الأغلبة وفي العصر الفاطمي.

أسئلة الفصل الثالث:

1-تضم ليبيا بقايا العمائر الفاطمية المبكرة. اكتب عن الآثار الفاطمية الباقية في ليبيا.

2- تمثل مدينة المهدية نمودجا لعمارة المدينة في العصر الفاطمي. اذكر أهم ملامح التخطيط المعماري لمدينة المهدية في العصر الفاطمي، ومظاهر تأثيرها في عمارة مدينة القاهرة الفاطمية.

3- كان لجامع المهدية تأثيره الواضح في عمارة جامع الحاكم بأمر الله بمدينة القاهرة. تتبع أهم مظاهر تأثير جامع المهدية في جامع الحاكم بأمر الله بمدينة القاهرة.

4- يمثل جامع تلمسان نمودجا مميذا لعمارة المسجد في بلاد المغرب في عصر المرابطين. اكتب عن تخطيط وعمارة جامع تلمسان في الجزائر.

5- طرأت على جامع القرويين في فاس عدة تعديلات منذ انشائه وحتى القرن الماضي. تتبع أهم ملامح تخطيط وعمارة جامع القرويين منذ نشأته وحتى نهاية عصر المرابطين.

أسئلة الفصل الرابع:

1- تنعكس في عمارة جامع تنملل الملامح المميزة لعمارة المسجد في عصر الموحدين. اكتب عن تخطيط جامع تنملل.

2- يعتبر جامع تازى من أهم عمائر الموحدين في بلاد المغرب. اكتب عن تخطيط جامع تازى عند إنشائه وأهم الإضافات التي أضيفت إليه خلال العصور التالية.

3- تتمثل في عمارة كل من جامع الكتبية الأول والثاني العناصر المميزة لعمارة المسجد في عصر الموحدين. أذكر أهم عناصر تخطيط كل من جامع الكتبية الأول والثاني في عصر الموحدين.

4- يعد جامع قصبة مراكش من الآثار المميزة في عصر الموحدين. اكتب عن تخطيط المسجد وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.

أسئلة الفصل الخامس:

1- اكتب عن تاريخ نشأة المدارس في كل من بلاد المغرب في العصر الإسلامي والآراء المختلفة حولها.

2- تعتبر المدرسة البوعنانية في مدينة فاس نموذجا مميزا لعمارة المدرسة في بلاد المغرب. اكتب عن نشأة المدرسة البوعنانية وعناصر تخطيطها، مع إبراز العناصر المغربية والمشرقية بها.

3- طرأت على عمارة المدرسة في بلاد المغرب في العصر العثماني بعض التعديلات. اكتب عن عمارة مدرسة عثمان باشا الساقلية بمدينة طرابلس كنموذج لعمارة المدرسة في بلاد المغرب في العصر العثماني.

أسئلة الفصل السادس:

1- كان للعلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس أثرها الواضح في انتقال التأثيرات المعمارية والفنية من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب. تتبع مظاهر التأثير الأندلسي في العمارة الإسلامية في كل من تونس والمغرب الأقصى.

2-اختلفت الآراء حول التأثير العثماني في عمارة بلاد المغرب. اذكر الآراء المختلفة في هذا الخصوص.

3- تتبع مظاهر التأثير العثماني في عمارة المسجد في كل من ليبيا وتونس والجزائر، مع ذكر أمثلة لكل مظهر من مظاهر التأثير.

4- يعتبر جامع أحمد باشا القره مانلي في مدينة طرابلس مثالا لما طرأ على عمارة المسجد في ليبيا نتيجة للتأثير العثماني. اكتب عن تخطيط جامع أحمد باشا القره مانلي، وما يشتمل عليه من العناصر المعمارية المتأثرة بالظراو العثماني.

أسئلة الفصل السابع:

1-يعتبر الجامع الكبير في قرطبة من أهم الآثار الإسلامية في بلاد الأندلس. تتبع تخطيط المسجد والإضافات التي أضيفت إليه منذ نشأته وحتى فترة حكم المنصور محمد بن أبي عامر.

2- فند الآراء المختلفة التي قيلت حول بعض العناصر المعمارية المشتمل عليها جامع قرطبة وبخاصة العقود المتراكبة والقبة ذات الضلوع.

3- يمثل مسجد باب مردوم في مدينة طليطلة نموذجا لعمارة المسجد في بلاد الأندلس في عصر ملوك الطوائف. اكتب عن تخطيط المسجد وطراز تغطيته وزخارف واجهته ومظاهر التأثير في كل منها.

4- يعتبر جامع "بن عدبس" بمدينة أشبيلية من المساجد الأولى في هذه المدينة ويظهر فيه التأثير بطراز تخطيط جامع قرطبة. اكتب عن تخطيط هذا المسجد.

أسئلة الفصل الثامن:

1-تشتمل مدينة أشبيلية على بقايا أسوار تمثل الطراز المميز لعمارة الأسوار وما يتخللها من الأبراج في عصر المرابطين والموحدين. اكتب عن عمارة أسوار مدينة

أشبيلية في عصر المرابطين والموحدين وما يتخللها من الأبراج، مع ذكر المميزات التي تميزها.

2- يعتبر مسجد قصبة أشبيلية من أهم آثار الموحدين في بلاد الأندلس، كما أنه مثال لما تعرضت له الآثار الإسلامية في بلاد الأندلس من الانتهاك. اكتب عن تخطيط مسجد قصبة أشبيلية وما طرأ عليه من تغييرات بعد سقوط أشبيلية في أيدي الأسبان.

أسئلة الفصل التاسع:

1- تضم مدينة غرناطة أهم القصور المتبقية من عصر بني نصر. اكتب عن كل من ساحة المشور وساحة السباع وأهم التكوينات المعمارية لكل منهما.

2- أُلحقت بقصر الحمراء عدة ملحقات. اكتب عن التكوين المعماري لكل من مسجد الحمراء وقصر البرطل وقصر العريف والحمامات السلطانية الملحقه بالقصر.

3- يعتبر فندق الفحم مثالا لعمارة الفندق في بلاد الأندلس في عصر بني نصر. اكتب عن تخطيط فندق الفحم وأهم العناصر المعمارية التي يشتمل عليها.

أسئلة الفصل العاشر:

1- اتسمت عمارة المنزل في بلاد الأندلس بسمات معمارية وفنية مميزة. اكتب عن تخطيط وعمارة المنزل في بلاد الأندلس في العصر الإسلامي، وأهم المعالجات الزخرفية المتبعة في منزل الأندلس.

2- يعتبر الفندق من المنشآت التجارية الهامة في بلاد الأندلس. اكتب عن عمارة الفندق في بلاد الأندلس وأهم المميزات التي يتميز بها، مع ذكر أمثلة.

3- اتخذت العمارة الحربية في بلاد الأندلس طرازاً مميزاً لها. اكتب عن أهم التحصينات في بلاد الأندلس وأهم ما تتميز بها من العناصر المعمارية.

اللوحات



لوحة (1) منبر جامع عقبة بن نافع بالقيروان



لوحة (2) تفصيل لأشكال الزخارف في منبر جامع عقبة بن نافع



لوحة (3) قبة البهو بجامع عقبة بن نافع



لوحة (4) المقصورة الخشبية بجامع عقبة بن نافع



لوحة (5) البلاطات الخزفية على جانبي محراب جامع عقبة بن نافع



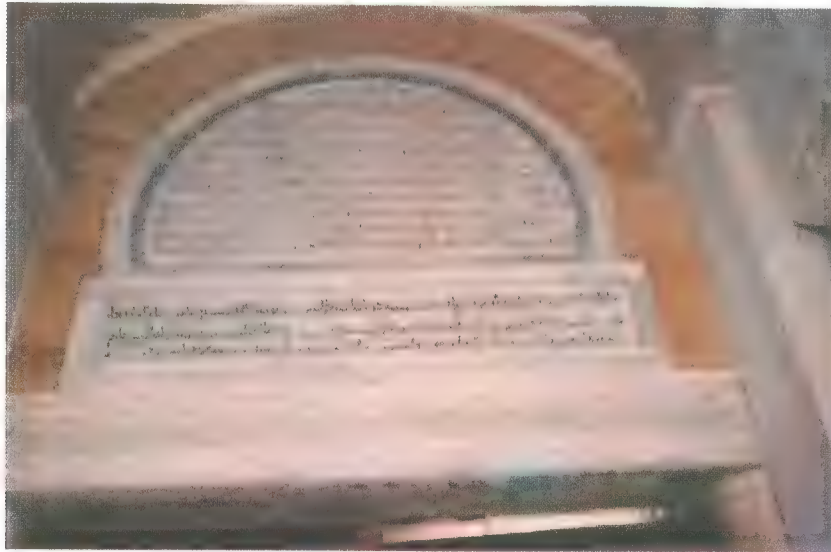
لوحة (6) أشكال الأعمدة وتيجانها والحدارات بجامع عقبة بن نافع



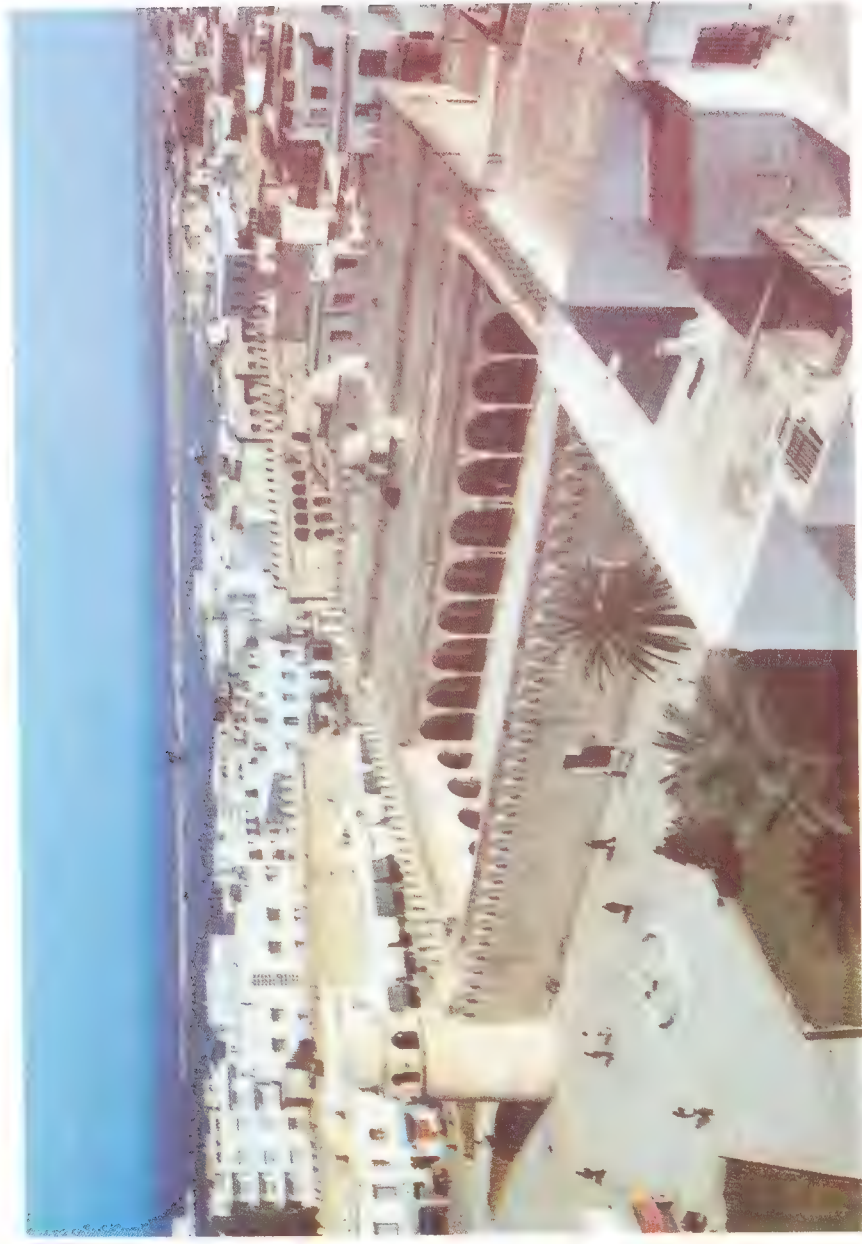
لوحة (7) صومعة جامع عقبة بن نافع



لوحة (8) واجهة البلاط الأوسط ناحية البهو ومناطق إنتقال القبة التي تعلوه



لوحة (9) الكتابات التسجيلية على واجهة السقيفة التي تتقدم جامع الزيتونة



لوحة (10) منظر عام للجامع الكبير في سوسة ، يظهر فيها الطلات والصحن والقباب والأبراج



لوحة (11) باب زويلة وجزء من سور مدينة المهدية



لوحة (12) المدخل المؤدي إلى السقيفة الكحلة بمدينة المهدية والبرجان على جانبيه



لوحة (13) صومعة جامع القرويين في فاس وحجرة المؤذن



لوحة (14) منبر جامع القرويين في فاس



لوحة (15) الأبواب التي تطل على البهو بجامع القرويين ويزخرفها الزخارف
الشعبانية، كما تظل القبة التي تعلو بلاطة البهو



لوحة (16) قبّتا المسجد والضريح في مدرسة عثمان باشا الساقزي بمدينة
طرابلس الغرب



لوحة (17) منبر الجامع الجديد بمدينة تونس



لوحة (18) الشرفة بداخل بيت الصلاة بجامع حمودة باشا بمدينة تونس



لوحة (19) مئذنة جامع يوسف داي بمدينة تونس



لوحة (20) مئذنة جامع محمود خاذاندار بمدينة طرابلس الغرب



لوحة (21) منظر عام لمسجد قرطبة في الأندلس



لوحة (22) صومعة جامع قرطبة



لوحة (23) أحد أبواب الجامع الكبير بقرطبة وتظهر الرسوم الآدامية أعلاه بعد
تحويل المسجد إلى كنيسة



لوحة (24) إحدى واجهات مسجد قرطبة، ويظهر بها الزخرفة من
تشبيكات العقود



لوحة (25) العقود المتراكبة في بوائك جامع قرطبة



لوحة (26) مداخل مسجد باب مردوم والعقود المتشابكة التي تعلوها



لوحة (27) الواجهة الشمالية لمسجد باب مردوم بطليطلة



لوحة (28) برج الذهب بمدينة أشبيلية



لوحة (29) سور مدينة أشيلية



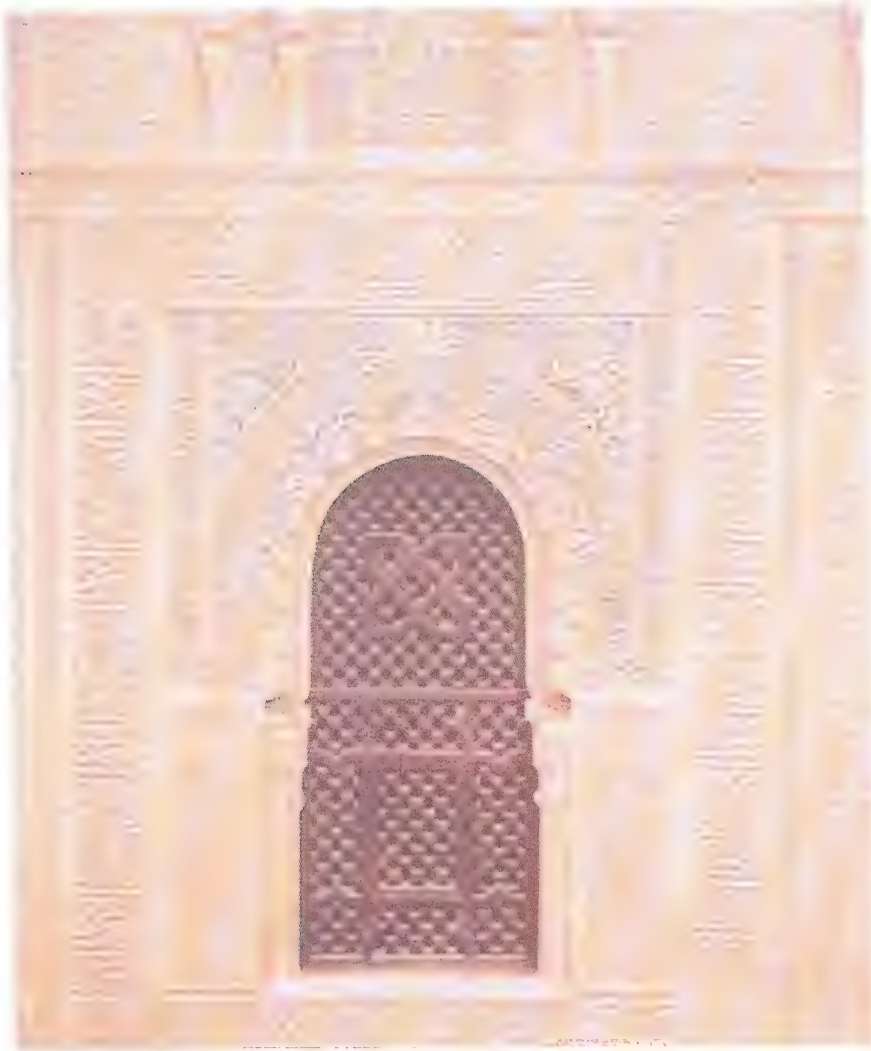
لوحة (30) صومعة جامع قصبة أشيلية " الخير الدا "



لوحة (31) سماعة باب صومعة جامع قصية أشبيلية " الخير الدا "



لوحة(32) برج قمارش وجزء من الرواق الشمالي بقصر الحمراء في غرناطة



لوحة (33) شعار أسرة بني نصر " لا غالب إلا الله "



لوحة (34) ساحة السباع بقصر الحمراء في غرناطة



لوحة (35) الأعمدة والعقود والنقوش التي تعلوها في ساحة السباع
بقصر الحمراء



لوحة (36) مدخل فندق الفحم في غرناطة



لوحة (37) فناء وأروقة فندق الفحم في غرناطة



لوحة (38) جانب من قصر ابن عباد في أشبيلية

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	3
تمهيد تاريخي : مجمل تاريخ بلاد المغرب والأندلس في العصر الإسلامي	7
الفصل الأول : مميزات الطراز المعماري المغربي والأندلسي	13
الفصل الثاني : عمارة الأغلبية في تونس	24
- جامع عقبة بن نافع بالقيروان	25
- جامع الزيتونة بمدينة تونس	35
- مسجد بوفتاة في سوسة	43
- جامع سوسة الكبير	47
- رباط سوسة	52
الفصل الثالث : عمارة الفاطميين والمرابطين في شمال إفريقيا	57
- مقدمة	58
- جامع سلطان	59
- جامع الناقة في طرابلس الغرب	60
- تأسيس مدينة المهدية	62
- جامع المهدية	65
- مسجد قلعة بني حماد	70
- جامع تلمسان	72
- جامع القرويين في فاس	76
الفصل الرابع : عمارة الموحدين في بلاد المغرب	84
- مسجد تملل	85
- جامع تازي	89

95	- جامع الكتبية في مراكش
105	- مسجد قصبة مراكش
108	الفصل الخامس : عمارة المدرسة في بلاد المغرب
117	- طراز المدرسة في بلاد المغرب في العصر العثماني
121	الفصل السادس : التأثيرات في عمارة بلاد المغرب
122	- التأثيرات الأندلسية
126	- التأثير العثماني في عمارة بلاد المغرب :
134	- دراسة لنموذج من العمائر المقامة من العصر العثماني في شمال أفريقيا
141	الفصل السابع : عمارة بلاد الأندلس في عصر الخلافة وعصر ملوك
142	- الجامع الكبير بقرطبة
151	- جامع بن عبدس
153	- مسجد باب مردوم
156	- مسجد الدباغين
158	- قصر الناعورة
159	الفصل الثامن : عمارة الموحدين في بلاد الأندلس
164	- مسجد القصبة بأشبيلية
169	الفصل التاسع : عمارة بلاد الأندلس في عصر بني نصر
171	- قصور الحمراء بغرناطة
180	- فندق الفحم
181	الفصل العاشر : تعريف ببعض طرز العمائر الإسلامية في الأندلس
182	- المنزل
187	- الفندق
188	- التحصينات

191	الخاتمة
193	- ملحق : معجم مصطلحات العمارة في المغرب والأندلس
207	- قائمة المصادر والمراجع
216	- فهرس الأشكال
218	- فهرس اللوحات
221	- نماذج الأسئلة
227	- اللوحات

